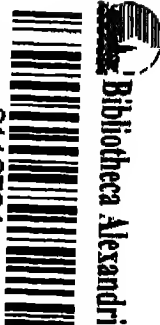


محمد كامل سليم  
سكرتير سعد زغلول الخاص

كتاب اليوم  
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

الكتاب الأول في تاريخ مصر  
الكتاب الثاني في تاريخ مصر



0112504

Bibliotheca Alexandrina

ثقافة اليوم وكل يوم  
يصدرون مؤسسة أخبار اليوم

# كتاب اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

**على أمين**

رئيس التحرير :

**أمين محمد عبد**

نائب رئيس التحرير :

**عبد العزيز عبد العظيم**

مدير التحرير :

**هشام فريد**

العدد ١٠٧

مارس ١٩٧٦

ربيع الأول ١٣٩٦

الإدارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع  
الصحافة ٩٧٧٧٧٧ سيرة غزوة

## الاشتراكات

الجمعية الأولى ٥٠٠ ج.م. اتحاد البريد العربي والأفريقي

**البريد العام**

الجمعية الثانية ٢,٣٠٠ باقية دول العالم ..

الجمعية الأولى ٢,٣٠٠ ج.م. اتحاد البريد العربي والأفريقي

**البريد الجوي**

الجمعية الثانية ٥٠٠ باقية دول العالم ..

ترسل القيمة إلى إدارة الاشتراكات (١) ٣ شارع الصحافة بالقاهرة ٧٧٨٦٠٧٧٧٧٧

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف:	.....
رقم التسجيل:	.....



ثقافة اليوم وكل يوم

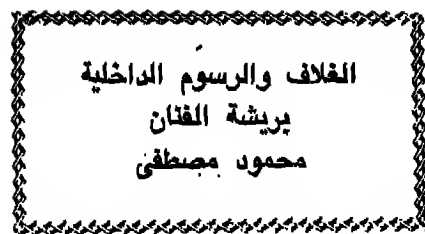
# أزمة الوفد الكبرى سعد وعدي

بقلم محمد كامل سليم  
سكرتير سعد زعاول الخاص



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)  
مركز تنظيم مكتبة الإسكندرية العامة

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة



## المقدمة

من دواعي الاسى والاسف ان حياة الوفد فى أوروبا كانت مضطربة .  
اشد الاضطراب ، حافلة بالمتاعب والخلافات والمنازعات والانفعالات  
والازمات من أول يوم وصل فيه الوفد الى باريس فى ١٩ من أبريل  
١٩١٩ ، الى أول يوم وصل فيه الى لندن يوم ٦ يونيو ، والى آخر  
يوم فى المفاوضات التى جرت بين الوفد ولجنة ملنر حتى انتهت  
فى ١٠ من نوفمبر . وقد سجلت تفصيلات كل هذه المراحل فى  
كتابى « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتھا » و « صراع سعد فى  
أوروبا » وفيهما بيان مفصل لكل الخلافات والاعتراقات والازمات  
واسبابها ونتائجها .

وفى هذا الكتاب الثالث « أزمة الوفد الكبرى » تاريخ مفصل  
لكل ما حدث فى باريس بعد أن عاد اليها الزعيم سعد زغلول  
والوفد ثم عدلى اثر انتهاء المفاوضات المستطيلة المتعثرة مع لجنة  
ملنر .

استمرت الخلافات والنزاعات والصراعات بين سعد وأغلبية  
الأعضاء فى الوفد حتى عادوا فى ٢٦ من يناير ١٩٢١ الى مصر  
غاضبين منشقين وراغبين فى تأييد عدلى علنا .

وفى أبريل ١٩٢١ عاد الزعيم سعد زغلول الى مصر واستقبل  
استقبالا شعبيا رائعا لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد .

سر هذه الازمات الخطيرة ان أغلبية الأعضاء فى الوفد حاولوا  
المستحيل هذه المرة ، حاولوا فى استماتة وإصرار حمل الزعيم  
سعد زغلول على تأييد عدلى فى الوزارة الجديدة التى سيؤلفها  
بإيحاء وتأييد من ملنر ، وقد ألفها بعد أيام . وحاولوا حمل  
الزعيم على ترك عدلى يتولى المفاوضات الرسمية وحده مع الحكومة  
الانجليزية على أساس مشروع ملنر كما هو وبدون تعديله  
بالتحفظات التى جعلها الزعيم شرطا أساسيا لقبول المفاوضات

الرسمية ، واخيرا حاولوا ما هو اكثر استحالة ، وهو أن يتنحى الوفد والزعيم نفسه عن الاشتراك فى هذه المفاوضات المقبلة ، وترك الفرصة لعدلى كرئيس للوزارة يتولاها ويمارسها وحده عسى أن ينجح فيما سبق أن فشل فيه الوفد مع منلر .

ردود الفعل عند الزعيم سعد زغلول فى هذا الموضوع يمكن تصورها ولا يمكن تلخيصها ، ولكن يمكن قراءتها فى هذا الكتاب بكل تفصيلاتها .

حسبى أن أسجل كلمة موجزة ، لقد اعتبر الزعيم اقتراحات الاغلبية سخافة وحماقة ، وأكد أنه لن يقبلها بحال من الاحوال ، ثم قال فى غضب وسخرية : « كيف يتنحى زعيم الامة ووكيلها عن مهمته الاصلية وممارسة واجباته ويتركها لعدلى ، وما أدراك ما عدلى ، مجرد دخيل وعميل للانجليز والاستعمار وموافق على « الحماية » . ثم قال : « من يتشكك فى ذلك انما هو خادع أو مخدوع » .

هنا انفجرت قنبلة هذه الازمة الوفدية الكبرى ، انما كانت القارعة الحاسمة القاتلة التى قضت على الوفد قضاء مبرما وانتهت حياته فى أوروبا الى غير رجعة .  
والآن أرى من واجبى أن أميط اللثام عن حقيقة شخصية عدلى وطبيعته التى فطر عليها ، واسلوب تفكيره ونظرته الى الحياة ، وفلسفته الخاصة الفريدة . سأحاول وقد عرفته مدة طويلة أن أرسم صورة قلمية له وللزعيم سعد زغلول ، للمقارنة بينهما وتفهم أهداف كل منهما وبيان رسالته فى الحياة كما حددها كل منهما لنفسه وسعى فى تحقيقها ، ولعل القارئ بعد هذه المقارنة يستطيع أن يحكم بين الرجلين ، أيهما كان أهدى سبيلا وإى الاثنين كان أصلح وأولى بخدمة القضية الوطنية للبلاد .

سعد : رجل الشعب ، ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين واشتعل قلبه وعقله بمشاعر المحكومين ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر :

وعدلى : رجل الديوان ، أرستقراطى ، فيه دم تركى أجنبى ، عظيم المراء ، نبت فى بيئة الحكام ، وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال .

سعد : ثقافته عربية أدبية دينية اسلامية ، تعلم الفرنسية على

كبر واتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه وقراءاته وكثرة أسفاره الى الخارج .

**وعديلى :** ثقافته فرنسية ، ونشأته وتربيته وعاداته فرنسية ، وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان أقدر على الكلام بالفرنسية أضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ، ولم يعرف العربية الفصحى ، ولم يقرأ كتابا من كتب الادب العربى .

**سعد :** رجل أخلاق ومبادئ ، مطبوع على الصراحة والشجاعة والثقة بالنفس والصدق والامانة .

**وعديلى :** رجل مصالح أولا وأخيرا ولا يعنى بسواها ، وكل وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فورا مادامت لا تعرضه للمتعاب والاختار ، ويرى أن المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ، والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة .

**سعد :** رجل عاطفى مشبوب العواطف يحب بكل قلبه مع العطف والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار ، ويغضب فى عنف على كل منحرف عن الصدق والامانة والفضيلة والاستقامة ، ويحزن فى عمق على ما يصيب أحبابه ومن يثق فيهم . لهذا كان حزنه أشد ما يكون سوادا وعمقا عندما علم بالقبض على عبد الرحمن فهمى ومساعديه من شباب المصريين الأبرياء ، وبلغ من حزنه وغضبه وانفعالاته أن صمم على قطع المفاوضات مع ملئز سخطا واحتجاجا على غدر الانجليز وجرائمهم ضد الأبرياء من مواطنيه ، وفى طليعتهم عبد الرحمن فهمى الذى اعتمد عليه كل الاعتماد فى الاشراف على الثورة والثوار ، وكان فى نظره مثالا أعلى فى الاخلاص والنشاط والاستقامة ومضاء العزيمة والقدرة على التنظيم . وقال لى سعد بعد أن قبض الانجليز على عبد الرحمن فهمى : « ان الفراغ الذى حدث بعد هذا القبض لا يمكن أن يملأه شخص ولا لجنة ، وان جريمة الانجليز مؤامرة لثيمة لا تغفر » .

**وعديلى :** متكبر لا يترك أية عاطفة تسيطر عليه ، فهنو يقلد الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة أن تفوت عليه مصلحة يريد لها . وهو بحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشأته لا يعترف بالمثل العليا ولا يعرف الفداء ، ولا يتأثر كثيرا بما يصيب الآخرين . سلوكه يتوقف على ما يراه ، فان كان ما يراه صعبا جدا أعرض عنه وانصرف الى سواء ، وان كان ما يراه مفيدا

وممكننا بمجهود يسير أقبل عليه ودافع عنه وقام بالعمل لتحقيقه ،  
ومصلحته الشخصية هي الهدف الأول والآخر على الدوام .

لا يرى أى معنى للتمسك بالمبدأ أو الثبات على عهد أو مقاومة  
القوة القاهرة ، ويرى أن التمسك بذلك إنما هو من مظاهر الغياف  
وقلة العقل وانعدام الزوج المعنوية ، وأن المثل العليا والتضحية في  
سبيلها عبث في عبث وتصرفات خيالية لا تليق .

لهذا كان عدلى مثل رشدى يعتقد اعتقادا جازما بأن الاستقلال  
الذى يطلبه سعد ويسعى إليه إنما هو ضرب من المحال ، وأن مصر  
في طورها الحالى وضعفها المتناهى لا قبل لها بمقاومة بريطانيا ،  
وهي في ذروة قوتها وسلطانها وغناها ونفوذها بين الدول ، وكان  
يرى كذلك أن تعريض الانسان حياته لاططار السجن أو النفى أو  
الموت في سبيل الاهداف الوطنية جنون في جنون .

عدلى ورشدى في هذا كله توأمان متفقان ومنسجمان .  
ولكن عدلى وسعد : كيف يتفقان ويتفاهمان وينسجمان ؟  
وأخيرا لا بد من كلمة عن أسلوب سعد في الكلام والخطابة ،  
وأسلوب عدلى فيهما .

كان أسلوب سعد في الكلام أسلوب المحامى القدير ، يصغى  
أولا في صبر وأناة الى من يحدثه ويسجل في ذاكرته كل ما يسمع  
لا سيما النقاط الضعيفة والحجج الهزيلة ، ثم يبدأ في الرد بحج  
هدوء وتؤدة ، يفند المزاعم والحجج الواهية ويرد على مطالب الخصم  
وأسانيده وأهدافه ومرامييه ويظهر ما فيها من فساد وبطالان وكثيرا  
ما يسخر منها قبل أن يسحقها سحقا وبعد ذلك يدلى برودده  
القائمة على الحق ، ويعرض قضيته في سلسلة من الحجج القوية  
المرتبة المتناسكة المتدفقة في جد صارم وفي وضوح عجيب يدعمه  
المنطق وبزينة جمال الاسلوب وروعة الفصاحة في الاداء والادلاء  
وفي فن الخطابة كان سعد المثل الاعلى يهز المناظر وبفصاحته  
وأسلوبه البديع الأخاذ يسحر الملايين .

أما أسلوب عدلى فكان من طراز آخر يختلف كل الاختلاف عن  
أسلوب سعد في الكلام ، هو أسلوب السياسى الناعم الملمس الذى  
لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، كما سبق أن  
ذكرت ذلك عنه ، حتى اذا اضطرب الى الكلام بالعامية فان الايجاز  
كان ميزته الظاهرة ، وهو على عكس سعد لا يتناول أية حجة ضعيفة



من خصمه ليرد عليها ، وانما كان يبدأ بتلخيص ما سئمه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد أو تجريح فيرضى بذلك صاحبه . وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض .

وكان ملنر يحب الاصغاء الى عدلى ويستريح الى أسلوبه الخالى من كل انتقاد ، وكان ملنر يشكو من سعد ويتهيب الاجتماع والاشتباك معه فى مناقشة ، ويتبرم من أسلوبه الناقد الجسرى القوى الصريح .

واما فى فن الخطابة فعلى صفر ولا يرتجل أبدا ، وكان اذا اضطر الى القاء خطبة أعدها له عبد الخالق ثروت أو الاستاذ محمود عزمى ، يضع له الشكل على كل كلمة حتى لا يخطئ فى النحو أو فى النطق الصحيح للكلمات ، ولعله بذلك كان السياسى الوحيد فى مصر الذى لا يعرف الخطابة ولا يحبها ويتفادها بقدر الامكان .

بقيت ملاحظة على أعظم جانب من الاهمية ، فالوفد لم يخطر بباله أن يدعو عدلى الى الحضور الى باريس الا بناء على الحاج عدلى نفسه وطلبه ، وعدلى فى الواقع لم يكن رسول الوفد لدى ملنر ، بل كان على العكس رسول ملنر الى الوفد ، مهمته أن يقنع الوفد بالدخول فى المفاوضة مع ملنر ، وهو يعلم أو كان يجب أن يعلم أن ملنر ولجنته لم يذهبوا الى مصر للمفاوضات ، وانما للتحقيق فى اسباب الثورة واقتراح نظام جديد لحكم مصر فى دائرة الحماية . فى حين أن سعد يهدف الى الغاء الحماية وتحقيق الاستقلال والجلاء ، ومع ذلك أراد عدلى من الوفد أن يعود الى مصر ليساعد ملنر على انجاز مهمته على أحسن وجه حتى يتمكن من وضع تقرير شامل بعد سماع ذوى الراى من المصريين ، فلما فشل عدلى فى هذه المهمة أراد الحضور الى باريس ليقنع الزعيم والوفد بمفاوضة ملنر فى أوروبا تحقيقا لرغبة ملنر فى سماع الوفد حتى يخرج تقريره شاملا كاملا .

وان جميع مراسلات عدلى الى الزعيم فى باريس كلها ناطقة بأنه حاول اقناع الوفد بوجهة نظر ملنر ، وحتى جريدة التيمس نفسها نشرت فى ذلك الحين أن عدلى سيسافر الى باريس للراحة « كما زعم عدلى » ولكن لاغراء سعد والوفد للاتصال والمفاوضة مع ملنر .

وكان عدلى بذلك ينشد الحظوة لدى ملنر وقد نجح فى نيلها واستمتع بها ، ولم يكثرث مطلقا بصداقة الزعيم ولا بتوكيل الامة للوفد فى تحقيق المطالب الوطنية .

ولهذا يمكن القول بأن عدلى كان مجرد سمسار فى قضية مصر بينما كان سعد وكيل الامة ، هو صاحب قضية مصر ، يحيا ويموت من أجلها ، ويحتمل الاحوال فى سبيل تحقيقها .

ولم يكن لعدلى رسالة فى الحياة الا أن يصل الى كرسى الوزارة ثم يصبح رئيس الوزراء ، وقد نجح فى ذلك وتحققت شهوته . . .

وأما الزعيم سعد زغلول فكانت له رسالة ، ورسالته كانت ذات شعبتين :

الشعبة الاولى - ذات طابع سياسى له أربعة أهداف أساسية وهى : الغاء الحماية البريطانية ، الاعتراف لمصر بالاستقلال التام ، انتهاء الاحتلال وتحقيق الجلاء ، وأخيرا اقامة نظام ديمقراطى برلمانى يضمن حرية الفرد ويحدد سلطة الحاكم ، فتقوم الوزارات وتسقط بناء على الثقة البرلمانية .

والشعبة الثانية - ذات طابع اجتماعى وهو توحيد صفوف الامة ، وخلق اتحاد بين المسلمين والاقباط ، وكان هدفه اتحاد اندماج وحب وثقة ، وتجلت عملية الانصهار والاتحاد فى بوتقة الجهاد فى الثورة العارمة سنة ١٩١٩ ، كما عمل على تحرير المرأة بعد قاسم أمين ودعاها وشجعها على النزول الى ميدان الجهاد الوطنى فاشتريكت النساء مع الرجال فى المظاهرات وفى اجتماعات اللجان ، وبهذا تم تحرير المرأة المصرية وزال الحجاب بعسد أن كانت المرأة سجيئة وراء الابواب .

ونجحت رسالة الزعيم سعد زغلول فى النهاية بعد أن ذاق الامرين ودفع الثمن غاليا ، وكان الثمن هو العذاب والنفى من وطنه ثلاث مرات وهو فى شيخوخته وكثرة أمراضه ، مرة الى جزيرة مالطة ، والثانية الى جزيرة سيشل على خط الاستواء حيث الحر القاتل ، والثالثة الى جبل طارق بعد أن اشتد عليه المرض فى جزيرة سيشل .

ولو سئلت مصر الثائرة عن المقارنة بين سعد وعدلى ل قالت :

ان المقارنة بين سعد وعدلى كالمقارنة بين الذهب والرماد .

محمد كامل سليم

## الفصل الأول

### سعد وعدلى

باريس فى ١٢ نوفمبر الى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠ :

لم يعقد الوفد جلسة واحدة • وكان الاعضاء أعطوا لانفسهم اجازة للاستجمام •

والاعضاء الذين حضروا لزيارة الرئيس والاجتماع به كل يوم هم :

واصف غالى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى •

وبقية الاعضاء زاروا الرئيس واجتمعوا به مرتين فى هذه الفترة •

لم يحضر عدلى من لندن الا بعد أربعة أيام من سفرنا منها • والظنون حوله وحول تأخيرته كثيرة حائمة هائمة : فالرئيس سعد يظن أن سبب تأخره راجع الى ما يجرى بينه وبين ملنر الآن من رغبة فى التفاهم والاتفاق بينهما على ما ينبغى احداثه من التغييرات التمهيدية فى مصر وذلك بمناسبة قرب عودة عدلى الى مصر قبل نهاية هذا الشهر ، والرئيس لا يشك لحظة واحدة فى أن عدلى سيؤلف الوزارة القادمة •

بينما عبد العزيز فهمى واخوانه يظنون أن عدلى قد يكون متوعكا منحرف المزاج ، وبين هذين الظنين الرئيسيين ظنون كثيرة صغيرة ولا أرى فائدة من تسجيل الهواجس والظنون •

ولما حضر عدلى الى مسكن الرئيس مساء ١٥ نوفمبر ( وكان عنده أعضاء الوفد جميعا وكانوا على علم بوصول عدلى وزيارته ) ، لم يتحدث عن أسباب تأخره فى لندن فى هذه المدة ، ولم يسأله أحد كذلك ، ما دام أنه لم يتطوع بالاخبار من تلقاء نفسه • إذ ليس عدلى عضوا فى الوفد ولا هو ملزم بتقديم

بيان عن تصرفاته الشخصية ، ولكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الرئيس سعد قد استاء أشد الاستياء من سكرته هذا ومن امتناعه المريب عن الادلاء ببيان - ولو موجزا - عن سبب تخلفه فى لندن

### نداء الى الامة

أملى على الرئيس نداء موجزا الى الامة يهدف الى دعم الصفوف وشحن الهمم وهذا نصه :

أيها المواطنين الاعزاء :

« لقد رفعت منذ عامين عن كبرياتكم القومى ذلك العبء الذى كان يثقل كاهله . وبصيغة الاستقلال أعلنتم فى وجه العالم بأسره حقكم فى الحياة . وما زلتم منذ ذلك اليوم تثبتون انكم جديرون بآمانكم الوطنية . وجاءت نتيجة الاستنارة بآيكم فى مشروع الاتفاق مثبتة أن الاستقلال ليس فى نظركم كلمة تردد فى الفضاء يغير معنى ، بل أنتم تريدونه استقلالا حقيقيا خليقا بكم وبمستقبلكم الذى سيرسل غدا أشعته الوضاعة على مصر الحرة . »

وهذا الاستقلال سنحصل عليه باتحادنا وبروح التضحية والايمان بأنفسنا وبعدالة قضيتنا المقدسة ايماننا هادئا عميقا صادقا .

( سعد زغلول )

### انفجار قبيلة نجيب

١٦ نوفمبر ١٩٢٠ :

حدث اليوم ما هو أفظع مما توقعت ، وانى لمحزين .

ولكن مالى أتعجز الحوادث فأحكم على اليوم كله ؟ يجب أن أبدا من البداية .

فى الساعة الثامنة صباحا خرجت من البنسيون وأنا منشرح الصدر عظيم الشعور بجمال باريس وجمال الحياة وشاعرا بأن المتاعب خلفناها وراءنا ، وأن هذا اليوم على الأقل سيكون يوما هادئا ناعما سعيدا إذ لا عمل لدى الرئيس أو الاعضاء ، والجميع سيستريحون فى هذا اليوم المشمس وسيخرجون جميعا للرياضة بعد متاعب العمل وطول العناء ، وفكرت فى الذهاب الى فرساي أو قضاء اليوم فى غابة بولونيا الجميلة .

كانت هذه خواطرى حتى وصلت الى مكتبى فى الشقة التى يسكنها الرئيس ، وفى الساعة التاسعة نادانى الرئيس فدخلت



### زعيم الامة : سعد زغلول

عليه ، فكلفنى بأن اتصل بالاعضاء تليفونيا لى يحضروا جلسة  
للوفد تعقد فى مركز الوفد فى الساعة العاشرة والنصف صباحا ،  
فذهلت ودهشت وخرجت ..

كنت مستعدا منذ دقائق معدودات ان اراهن على ان الوفد لن  
يجتمع اليوم وما هو على وشك الاجتماع .. وبعد اقل من نصف  
ساعة ابليت الرئيس ان اجتماع الوفد سيتم فى الموعد الذى حددته  
ولكن كل عضو سألنى عن سبب الاجتماع فقلت : لا اعلم ، ثم

استطردت فقلت فى شىء من الایحاء ( يظهر یا باشا انهم كانوا ينتظرون الاستراحة ٠٠ هذا اليوم كأجازة )

فاجاب الرئيس متجاهلا ما رميت اليه : « لقد تسلمت صباح اليوم برفقية من محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية جساء فيها أن أخبارا لم تنشر سببت قلق الخواطر بسبب الخلاف القائم بينى وبين عدلى ، ويرجو ملحا حسم الخلاف محافظة على وحدة الصفوف » . فقلت : « كيف تقلق الخواطر بسبب أخبار لم تنشر ؟ » فسكت الرئيس ولم يرد فخرجت مسرعا وتذكرت برفقيه نجيب .

وفى الموعد المحدد اجتمع أعضاء الوفد وفتحت الجلسة فاطلعهم الزعيم على البرقية فسكتوا جميعا ولم ينس أحدهم بكلمة ، فاستغرب الرئيس هذا السكوت المريب فخرجت الى مكتبى ، وبعد قليل حضر عدلى ووجهه مغبر مكفهر ، لونه مزيج من الصفرة والسواد ، وملامحه تصرخ بالعبوس والتجهم والغضب المكتوم الظاهر ، ودخل قاعة الجلسة فى سرعة مضطربة (على غير عادته)، فلما استقر به المقعد تلا الرئيس مرة ثانية برقية محمود سليمان باشا ، فقال عدلى فى هدوء متكلف : « انه تسلم كذلك برفقية أفظع منها » . وقدم صورة طبق الاصل للبرقية التى أرسلها أحمد نجيب مراسل الاخبار الى أمين الرافعى ، ثم قال :

« ان مراسل الاخبار الذى يدفع الوفد له مصاريف أسفاره وأقامته وبرقياته يتهمنى ويقول ان عدلى قسم الوفد وعرقل المفاوضات وسعى فى عدم قبول تحفظات الامة ، وهذا كله كذب بهتان » .

ثم قال فى مرارة ظاهرة : « اننى منذ أربعة أيام فقط كنت مع ملنر وقلت له ان الشعب المصرى لا يمكن أن يقبل مشروعه بدون النص على الغاء الحماية ، فهل هذه البرقية جزائى ؟ »

فاجاب الرئيس . « لا علم لنا بهذه البرقية ، وليس فى الوفد أحد يعلم بها » .

« ولقد نشرت جريدة التيمس يوم سفرنا من لندن فى ١١ نوفمبر رسالة لمراسلها جاء فيها : ان الامة المصرية قابلة لمشروع ملنر وان كل ما طلبته هو مجرد رغبات ، ولكن زغلول هو الذى قلبها الى تحفظات ، وان أعضاء الوفد وعدلى باشا لا يؤيدون ذلك » . فما حيلتنا اذا كانت اخبار الوفد أصبحت معروفة للجميع ، ونحن نتألم أشد الألم لهذه الحال » .

وقال عبد العزيز فهمي : « ليس هذا هو الموضوع ، وإنما الموضوع هو كيف يجزئ أحمد نجيب مراسل الاخبار على ارسال برقية كاذبة مضللة كهذه البرقية من غير علم أحد فى الوفد » .

وقال المكباتى : ( موجها الكلام الى الرئيس سعد ) ان محمد على بك علوبة أمين الصندوق كثيرا ما شكنا من أنه يدفع أجور برقيات الى مصر دون أن يطلع عليها ، وقد أخبرنى الآن أنه دفع أجرة هذه البرقية الخطيرة الى نجيب رأسا دون أن يطلع عليها » .

فصرخ الرئيس فى وجهه : « ما دليلك ؟ أنت توجه التهم الخطيرة جزافا ومن غير تفكير » .

وهنا حاول لطفى السيد أن يشرح قصد المكباتى . فقاطعه الرئيس قائلا : « لماذا تحاول شرح شيء واضح وقصده من الاتهام ظاهر » ؟

فقال لطفى السيد : « اننى كعضو ويمكننى أن اتكلم ومن حقى أن أبدى الراى » .

وقال محمد محمود : ان المكباتى لم يقصد شيئا .

فقال الرئيس فى غضب : انك تتكلم ضد ضميرك .

فصرخ محمد محمود وانفعل قائلا : « كيف تنسب الى ذلك ، انا لا اقبل هذا الكلام ولا هذا الاسلوب ، وهذه المعاملة الجافة » .

فوقف الرئيس سعد وخرج من الجلسة وهو فى أشد حالات الغضب والانفعال . واستمرت المناقشات حوالى عشر دقائق والاصوات مرتفعة والالفاظ الجارحة تتناثر يمينا وشمالا تخرج من هنا وهناك ، وتصيب هذا أو ذاك ، ثم تبعثر المجتمعون وانصرفوا ، خرجوا أفرادا وجماعات ، ثم فلتحت النوافذ بعد خروجهم حتى تخرج الزوبعة التى شهدتها هذه القاعة والتى ملأت جوها فى شكل خانق اليم .

هكذا انفجرت قنبلة نجيب فى دوى هائل ، والله وحده يعلم نتائجها المستورة الأخرى .

هكذا قامت الزوبعة وهكذا انتهت ، ولكن هل هى حقا انتهت ؟ وما كاد الرئيس ينسحب من الجلسة غضبا واحتجاجا حتى صاحبه الدكتور حامد محمود الذى كان جالسا بجوارى ، واضطرت الى البقاء حتى أرى نهاية هذه المأساة .

فلما خرج الاعضاء جميعا جمعت أوراقى وذهبت فورا الى مسكن الرئيس لاطمئن عليه لان وجهه كان محتقنا شديدا الاحمرار ، وخشيت أن يصاب بمكروه وهو مريض بقلبه وارتفاع الضغط ومرض السكر . دخلت عليه ومعه الدكتور حامد فاخذ يحدثنا بما دار فى الجلسة بما لا يخرج عما كتبت آنفا ، وبعد قليل حضر على ماهر والنحاس وسينوت حنا وواصف غالى وويصا واصف وتكلموا فى شأن التفاهم مع عدلى ومع كل واحد من جماعته ، وذكروا أنهم خمسة والآخرين أغلبية ، وذلك تلافيا للانقسام .

### الاعتراف الخامس عشر

فقال الرئيس : انى افعل ما تطلبون ولكن عليكم أن تعلموا من الآن أن هذا الترقيع لا يجدى ولا يفيد لان عدلى قد جربته طويلا وخرج على وسعى فى اسقاطى لغير ما سبب اثبته . ولقد مكنته من نفسى . ودافعت عنه ضد خصومه ، ومن غير طلب منه ، وهو يجد الآن نفسه فى مأزق ويريد الاستعانة بى للخروج منه ، حتى اذا خرج قد بلى ظهر المجن ، وفعل ما لا يفعله اعداؤنا الحقيقيون .

« خذوا ذلك منى واحفظوه عنى . ان اصحابه مهما حصل الاتفاق معهم لا تخلص نياتهم ولا تصفو سرائرهم ولا يتأتى العمل معهم لخير البلاد بل يكونون دائما حجر عثرة فى طريقنا ، ولقد تحملت من الآلام كثيرا ، والعمل مع المخالفين من أشق ما يكون وخطر مما يتصوره الانسان ، ومع ذلك فانى لا أريد أن أخيب رجاءكم هذه المرة » . فانصرفوا شاكرين .

### الاعتراف السادس عشر

بعد خروجهم قال لى الرئيس :

« والله ان فراقهم خير وأولى ، وان الفرصة سانحة الآن ولكن الاعداء يشمتون ، والاتحاد ينثلم . فما الذى انا صانعه ، ودوام الحال على هذا المتوال مستولية كبرى ، ومع ذلك لا أعجل ، وعلى بالصبر الجميل فله تدبير وهو أحكم الحاكمين » .

وفى المساء حضر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وحمد الباسل ومحمد على علوية ، كما حضر الاعضاء الخمسة المناصرون للرئيس ، ولم يحضر المكباتى ومحمد محمود وعدلى .



وكانت جلسة هادئة أريد بها تسوية الأمور وإزالة ما فى النفوس من آلام لا خير فيها ، أعادت الحياة الى مجاريها الطبيعية .  
وانفض الاجتماع فى الساعة الثامنة مساء والاعضاء باسمون .

### حديث بينى وبين محمد على علوبة



وبعد العشاء نزلت الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه كالعادة فحضر صدفه صديقى محمد على علوبيه ، وعلمت منه أن أمين الرافعى أراد نشر برفقيه نجيب ولكن الرقيب منع نشرها .  
وأمين الرافعى هو صاحب جريدة الاخبار وسكرتير لجنة الوفد المركزية فى غياب مصطفى النحاس ، وأن اسماعيل صديقى باشا اطلع على البرقيه وأخذ صورتها وأرسلها الى عدلى .

تم التفت الى صاحبنى وقال فى جد ظاهر : محمد على علوبة « يا سنان كامس . . انى اريد أن أوجه سؤالاً الى صديقك وأن اسمع جوابك الصريح وأنت مطلع على كل الدقائق من سياسة الوفد وأعضائه ومسلك عدلى ، ماذا كان رأيك وشعورك لأول وهلة عندما علمت ببرقيه نجيب الحاملة لهذه الاتهامات الخطيرة ضد عدلى ؟ »

فقلت : يا سيدى لست فى حاجة الى أن تستنجد بضميرى وتناشده لى أعطيك الجواب الصريح ، أن هذه البرقيه قد صدمتنى وأحدثت فى نفسى دهشة وألماً لأنها خطيرة ونشرها يؤدى حتماً الى توسيع هوة الخلاف فى الوفد وفى الأمة .

فقال : حسن جداً . ولكن ما رأيك الآن اذا كان سعد باشا لم يشعر بدهشة ولا بالألم عندما عرضها عدلى فى الجلسة . بل نفى علمه بها وأخذ يتكلم فى موضوع آخر .

فقلت : أتريد أن تستدرجنى ببراعة المحامى المحقق الى الاعتراف بأن الرئيس يعلم بأمرها سلفاً .

فقال : « ما فى ذلك شك . والا كان يشعر بالدهشة مثلك » .

فقلت : « هذا ليس بدليل ، وأن من يعرف سعد باشا يدرك لأول وهلة أنه رجل أخلاق ، بل لعله يسرف فى اقحام الأخلاق فى

السياسة ويحكم على السياسيين أحكاما خلقية قبل أن تكون سياسية . وأنا أجزم بوازع من ضميرى أن سعد باشا لا يمكن أن يحارب عدلى فى الظلام ببرقية كهذه ، لأن سعد باشا قوى جسدا وصريح جدا وشجاع جدا ويشعر بلذة ما بعدها بلذة فى الكفاح . فإذا أراد أن يحارب عدلى فستكون حربا صريحة علنية وهو المنصر لا محالة وعدلى هو المهزوم لا محالة فى أية حرب تقوم بينهما . « فقال محمد على علوبة : « هذا صحيح . وأنا كذلك أستبعد الدس على سعد ، ولكن أغلب الظن أن مصطفى النحاس هو الذى أوحى بها وشجع على إرسالها . »

فقلت : « ولماذا تريد توجيه التهم بمجرد الظن ، ولا تصبب التهمة كلها على رأس نجيب وحده . أنه رجل مثقف وناضج وقد جاوز الخمسين وعليه وحده تقع المسئولية كاملة ، ومع ذلك ما رأيك أنت فيما حدث فى جلسة الصباح من تهور المكباتى ؟ »

فقال : « أن جلسة الصباح كانت محمومة ، والمكباتى رجل متهور ومجنون . وأنا الذى أطلقت عليه اسم « المدبأتى » عندما كنا أعضاء فى الجمعية التشريعية . »

فقلت : « ولماذا حضرتم لمقابلة الرئيس فى المساء ، ولماذا خرجتم بإسمين ؟ »

فقال : « أن الخصام لا معنى له ولقد اعلزنا لسعد عما حدث فى جلسة الصباح وأرضيناه ووعده هو من ناحية أن يزور محمد محمود باشا . أما المكباتى فسعد لا يريد أن يجتمع به أو يراه أو يسمع عنه كلمة واحدة . ثم اتفقنا كذلك على أن يحضر عدلى غدا لزيارته . »

ثم استطرد قائلا : « أن عدلى هذا رجل نبيل حقا وهو عائد الى مصر بعد أيام . ولا يريد أن يعود الا وهو وسعد على وفاق وسلام ، وقد رحب سعد بزيارة عدلى له غدا وقال لنا انه سيعمل على تصفية الجو واعادة مياه السلام الى مجاريها . » فشكرناه وخرجنا بإسمين كما تقول . .

١٨ نوفمبر ١٩٢٠ :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم حضر عدلى لزيارة الرئيس سعد وظل معه ساعتين كاملتين . وعلمت من الرئيس قبيل حضوره بأن على ماهر لعب الدور الأكبر فى التوسط بين عدلى وسعد للصلح بينهما .



سعد زغلول .. وعدلى يكن

### محادثة ثاية فى الصراحة بين عدلى وسعد

قال لى الرئيس بعد ظهر اليوم :

« ان عدلى اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل » واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد . فقلت انها خطة تفريق ، وأنه لم يكن ينبغي له ان يضع نفسه على رأس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه بمشروع مع بعض اعضاء الوفد وارسلته الى ملتر من غير اطلاق عنييه أولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تامر ، وتصرفه فى الكلام مع ملتر بالانجليزية مرتين وعدم اخبارى بما دار بينهما .

فقال عدلى : « ان ملنر قال فقط ( هل ضاع ما املناه »  
وسقط ما بيناه ) »  
فقال الرئيس : « ألم يكن هذا مهما لتعرفا مقدار حرصه وضرورة  
لشيثنا بما هو فى الواقع حياتنا »  
فقال عدلى بعد ان ( مط بوزه ) ان ذلك كله لا اهمية له .  
سعد : عظيم جدا ، ولكن جاء فى كلامك او فى لهجتك ما يدل  
على انك نطن ان لى دخلا فى هذه البرقية .  
عدلى : لا بل اعتقد انك غير اهل لذلك ، ولكن كنت انتظر منك  
عندما تطلع على البرقية ان تستنكرها او تقول ان عدلى غير اهل  
لهذه التهم .  
( وهنا دخل عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ثم خرجا بعد دقيقة  
واحدة ) . وبعد خروجهما قال عدلى :  
... انى اريد ان اوضح الحالة فى هدوء ومن غير غضب او انفعال .  
سعد : اتى اسمع بكل ارتياح .  
عدلى : انى خدمت القضية المصرية باخلاص . واذا كان لى  
راى يخالف راىك او راى الوفد فلا ضرر فى ذلك ، وما الزمت  
أحدا برأى ، ولا عطلت على الوفد رأيه ولا ذنب لى أن يكون بعض  
الاعضاء من رأى . ولكنى شكرت محمد محمود امتداحه لى فى  
بعض الحفلات . وما أثرت عليه وعلى اخوانه بزيارة السراى الا  
لان الكتابة منك اليهم تعتبر تعليمات ، وعدم اخبارى اياك بموعد  
عودتى من ( فيتل ) لم يكن تقصيرا منى فى حقك ، وانما كان لما  
علمته من مصادر مختلفة من انك عائد من ( فيشى ) فى ١٦ سبتمبر  
ووجدت ان هذا الوقت يناسب انتهاء من العلاج ، وجاء فى  
كلامك معى فى اول مقابلة بعد العلاج ان الامة أبدت رغبات وامانى  
وفوضت لكم الراى لتحقيق ما تستطيعون تحقيقه لها وانكم اذتم  
جعلتموها شروطا وتحفظات . ومع هذا كله فقد قلت للمنر فى  
المقابلة الاخيرة ان الامة المصرية لا تريد المفاوضات الرسمية الا  
بعد الغاء الحماية ، وجلست معه ساعة كاملة لاقنعه باهمية ذلك .  
قلم يقتنع . وقال لى ملنر « انك اذا كلمتنى عشر سنين لتقنعنى  
بذلك فانى لا اقتنع » ، فسكت كمدا ولم اخبرك بذلك حتى لا تغضب  
وتثور ، وتركت لك الامر حتى تعالجه انت بما تراه مناسبا ولعلك  
تكون اكثر توفيقا منى فى ايجاد حل لذلك مع ملنر وما كنت احضر  
عندك فى الاغلب الا تفاديا من المناقشة والجدل العقيم مع اولئك  
الاطفال .

سعد : انى لاحظ عليك أنك اطلعت على برقية ملنر الى اللنبى بواسطة الاعرج فى ٣٠ يونيو ، واجتمعت بى بعد ذلك ولم تحدثنى عنها مع أن ذلك كان ضروريا جدا على الأقل للاتفاق على ما يجب علينا عمله ازامها . وعلمت من محمد محمود أنك قلت له أنك ستؤلف الوزارة القادمة ، وأنك ولفى السيد متفقان على ألا يكون للوفد رأى فيمن تختارهم العمل معك . ثم توالى الاجتماعات بينك وبين فريق من الاعضاء ووضعتم مشروعا قدمتموه الى ملنر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولفى السيد . ولم اطلع عليه الا بعد ارساله الى ملنر بخمسة أيام . فهل هذا يلىق ؟ تم انى قلت لك مرارا ان مشروع ملنر مشروع حماية ولا يمكننى تأييده . كما أنك لم تفعل شيئا لازالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقا بفريق من اعضاء الوفد . وروج المدويون المشروع بعد أن اتفقوا معى على عرضه على الامة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتببت انت الى بعض اصداقك فى مصر بالمسعى الى حمل الامة على قبوله كما يطلب ملنر ، وبدأت التفكير والعمل فعلا للتأليف وزارة لاجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ، وفى الجلسات الثلاث عقدنا مع لجنة ملنر بحضورك لم تشترك فى المفاوضات بكلمة واحدة ولم تساعد بشئ ، بل قلت لى فى الاولى عندما كنت اعارض وظائف المستشارين البريطانيين «أنك رضيت بالمستشار المالى» فلم ارد عليك .

« وفى الثانية سالتنى عما اذا كان فى الامكان أن اقول للامة ان الغاء الحماية محتمل احتمالا كبيرا . فاجبك بانى لا أستطيع أن اقول هذا ، اذ ليس لدى ما يؤيده .

« كل هذا جعلنى اعتقد أنك فى طريق آخر ، وكنت تأخذ صور بعض البرقيات من علوبه وتبلغها للاعرج بقبول الامة للمشروع مع بعض الرغبات والامانى حتى اقتنع ملنر كل الاقتناع بأن التحفظات آتية منى وحدى لا من الامة ولا من باقى اعضاء الوفد . وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبته برفضها ، فلو أنك اعلنت أنك لا تعمل الا بالاتفاق مع الوفد .

وهنا قاطع عدلى الزعيم قائلا : « ان هذا الزام مما لا يلزم » . فقال سعد : « أنك الآن متهم . ووطنيتك قد وضعت موضع الشك » .

فقال عدلى باسم : « أمن اجل هذا ارسل مراسل الاخبار برقية باتهامى فى وطنيتى ؟ »

سعد : « ان الواجب عليك ان تدافع عن نفسك وان تعلن أنك متضامن مع الوفد » .  
( وهنا سكت عدلى قليلا ووعده بالتفكير )  
وافترق الصحابان على أن يجتمعا فى المساء .

### برقية عدلى وبرقية سعد

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لمقابلة الرئيس سعد ،  
ومعه البرقية الآتية نصها ، اعدما لارسالها الى محمود سليمان  
رئيس اللجنة المركزية :

« منذ تأليف الوفد وأنا أبذل كل ما فى وسعى لمساعدته فى  
جهوده وسأبقى محافظا على هذه الخطة ، وسأعمل بالاتفاق معه ،  
وليس فى أعمالى ولا فى أقوالى ونياتى ما يبرر تلك الاشاعات السيئة »  
اغتبط الرئيس سعد بهذه البرقية كل الاغتيال ولا أخاله الا  
اعتبر نفسه منتصرا . وهل بعد ذلك انتصار ؟ ولعله لهذا الاعتبار  
وحده أرسل من ناحيته البرقية الآتية الى محمود سليمان :

« الاشاعات الخاصة بعدلى لا أساس لها . وان الاتفاق تام  
بينه وبين الوفد ، وأنه لا يعمل عملا الا باتفاق سابق معه » .  
وهكذا وضعت الاوراق على الجدار المشقوق مرة أخرى لكى يبدو  
سليما للعيان ، متين البنیان . وهو فى الواقع متداعى الركان  
مززع الكيان والله المستعان . ومهما يكن من أمر فان الجو قد  
صفا فجأة وتحسن تحسنا ملحوظا .

وقد علمت اليوم أن عدلى سيسافر يوم ٢٠ نوفمبر عائدا الى  
مصر . ولعل هذا هو السر فى حرصه على تحسين الجو بهذه  
السرعة ، وعلى ارضاء الرئيس سعد بأى ثمن . وقد دفع الثمن  
باهظا فيما اعتقد ، والمضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم  
بركوبه .

### مأدبة غداء لتوديع عدلى

باريس فى ١٩ نوفمبر :

حضر على ماهر مبكرا فى الصباح وخلا بالرئيس نصف ساعة  
اقترح فيها عليه أن يقيم مأدبة غداء توديعا لعدلى ويدعو اليها جميع  
اعضاء الوفد ، فرفض الرئيس أول الامر ولكن على ماهر رجا

والح فقبل الرئيس أخيرا وكلفه بأبلاغ الدعوة ، وعلمت أن عدلى قبل الدعوة مغتبطا وبغير تردد كما قبلها الاعضاء جميعا ما عدا محمد محمود الذى اعتذر بسبب مرضه .

وبدأت المادبة ، واستمرت وانتهت فى جو من البشر والانسراح . كان الرئيس يوجه بعض الكلمات الطيبة والنكات الى من كانوا بالامس القريب مخالفين ، وكان يمازحهم جميعا كأن لم يكن شيء . ثم زار بعد الولاية محمد محمود فى فندقه للاطمئنان على صحته ، ومكث عنده ساعة كاملة تعاتبا فيها طويلا وافترقا بسلام وابتهام ، وقبل خروج الرئيس حضر عدلى فدهش الرئيس لهذه الزيارة والمقاء الثانى على غير انتظار . وقال لعدلى : « سأراك مسرة أخرى غدا فى المحطة » .

فأجاب عدلى : « انك كريم أرجوك الا تكلف خاطرك بالحضور فان الجوى شديد البرودة » وقدم الشكر جزيلا .

### عدلى يسافر من باريس عائدا الى مصر

باريس فى ٢٠ نوفمبر :

اليوم سافر عدلى من باريس عائدا الى مصر ، وحضر لتوديعه فى المحطة جميع أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس سعد . وقد لاحظت أن جو التوديع ومظهره كان باردا ومتكلفا ، إذ وقف الرئيس فى ناحية ومعه بعض الاعضاء ، ووقف عدلى فى ناحية ومعه البعض الآخر وكان القطبان يلتقيان من آن لآخر فى شيء من التكلف ولا يطول لقائهما . ولم ينتظر الرئيس حتى تحرك القطار لاشتداد البرد فاستأذن وانسحب مع واصف غالى . وسمعت عدلى يقول لعبد العزيز فهمى « ان نكران الجميل متأصل فى النفوس . وما هو فنزيلوس قد سقط بعد أن جعل اليونان قوية وأصبحت مساحتها ضعفين » . قالها وعلى وجهه كل سمات الحزن والانقباض والكآبة .

تمنيت أن أسترق السمع لأعرف رد عبد العزيز فهمى ، ولكنى جفلت وامتنعت وتحركت من مكانى .

ويا ليت شعبرى ، ما الذى كان يعتمل فى نفس عدلى حين قال قولته ، ورمى فى حسرة جملته ؟

ما الخاطر الحزين الذى دار فى رأسه وكشف لى عن يأسه ؟

هل ذكر الماضي القريب فانتفض وجزع ، أم ذكر المستقبل القريب  
فخاف وفزع ؟

الم يفارق سعدا وهما على صفاء ، أم استوى عنده الصفاء  
والجفاء لانه يعلم أن الظاهر غير الباطن ؟

هل ظن أن ما بينهما طلاء فى طلاء ، وأن ما خفى فيه البلاء  
كن البلاء ؟

### الحقيقة واضحة

وأخيرا تحرك قطار الشرق السريع فى الساعة الثامنة قاصدا  
البندقية ، انطلق القطار يطوى الارض طيا وفى جوفه ( عدلى )  
كنزه الثمين .

وجلس عدلى وحيدا يطوى الذكريات طيا ، وفى جوفه همه  
الدفين .

وانصرف المودعون وهم بين رجلين لفراقه : رجل يساوره الالم  
ويداعبه الامل ، ورجل يشعر بالمغبطة ويتنفس الصعداء .

أما أنا فالتست أحد الرجلين ، وانصرفت شاعرا بأن صفحة من  
تاريخ مصر الحديث قد طويت ، وأن صفحة جديدة قد فتحت ،  
ومشيت مفكرا فيما كان وما يكون .

ونكرت قول الشاعر :

سهرت أعين ونامت عيون	لامور تكون أو لا تكون
فطارد الهم ما استطعت عن	النفس فحمل ذلك الهم جنون
ان ربا حماك فيما مضى	سيحملك فى غد ما يكون

باريس فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ :

خرجت من البانسيون هذا الصباح الباكر وفى رأسى سؤال  
حائر وجملته محيرة . أما السؤال فهو :

لماذا كانت حفلة الغداء لتوديع عدلى خالية من التكلف وغلب  
عليها المزاح والانشراح ، وكانت حفلة التوديع فى المحطة غاية فى  
التكلف ، وغلب عليها البرود والجفاء ؟



أما الجملة المحيرة فهي التي قالها عدلى لمعبد العزيز فهمى  
« ان نكران الجميل متاصل فى النفوس » هل أنقلها الى الرئيس  
سعد ؟ هذا محال ، فان هذه الجملة لم يقلها عدلى ليسمعها سعد .

ان الجملة وقعت على أذننى على الرغم منى ، وبغير قصد من  
عدلى وهو رجل مكروب أراد أن يفرج عن نفسه بالقائها فى اثناء  
همساته الى صديقه الحميم عبد العزيز فهمى .

ما كدت اعود الى مكتبى حتى نادانى الرئيس وطلب الى ان  
اجلس كعادته معى كلما أراد أن يتحدث الى طويلا ، او ان يملئ  
عنى شيئا اكتبه ، سألنى عما اذا كنت بقيت فى المحطة أمس حتى  
تحرك القطار بعدلى . فاجبت بالإيجاب . وحدثته فى كل شيء الا  
عن « نكران الجميل المتاصل فى النفوس » فسكت سعد . وأطرق .  
ثم رفع رأسه وقال :

### الرئيس يأسف على ارسال برقيته

« لعباك تدهش يا كامل اذا قلت لك انى آسف على ارسال  
تلغرافى الذى دافعت به عن عدلى . ذلك لانه تلغراف حاسم وجازم  
ولا يتفق مع الحقيقة والواقع » .

فقلت : ان عدلى سبقك بارسال برقية حاسمة جازمة وهى  
تنطوى على تعهد منه باستمرار العمل والتضامن معك ومع الوفد .  
وجاءت برقيتك ردا طبيعيا يتفق مع الحقيقة الجديدة والواقع  
الجديد .

فقال سعد : ان الترفيع لا يفيد . وسيعمل عدلى ما يريد فى جو  
اكثر ملائمة له الآن ، وبدلا من أن يلقى استنكارا على تصرفاته  
وشكا فى ذنباته ، سيقى عند وصوله حسن الاستقبال من الشعب ،  
وسيفهم ملئرا والانجليز أنه الحصان الرابع فى الكاسب بالبرقيتين :  
برقيته وبرقيتى . ومتى بدأ بداية حسنة فسيقرب لى ظهر المجن عن  
قريب . اننى عندما حادثته وعاقبته على بعض تصرفاته معى لم  
أسخ منه اعتذارا عنها ، ولا اقرارا بجميل بذلناه ، وخرجت بعد  
كلامه بأنه فعل ما فعل عامدا متعمدا وأنه غير آسف على ارتكابه  
ما ارتكبه مما يخالف الصداقة الخاصة والأمانة العامة ، ولعله  
لم ينكشف الا على افترساح عمله ، وخيبة أمله ، ولا يخالجنى شك  
فى أنه لا يتأخر عن متابعة خطته اذا تهيأت له الوسائل والظروف .»



حافظ عفيفي



ويصا واصف



مصطفى النحاس

### ثلاثة من الاعضاء يقررون العودة الى مصر

هنا حضر لزيارة الرئيس مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفي الذي ظهر اخيرا انه في غاية الاعتدال ، وأنه يميل ميل على ماهر في حب الوساطة لاصلاح العلاقات وازالة الخلافات ، وتصفية الجور من المعكرات . وقال الدكتور حافظ عفيفي :

« يا باشا اننا نعتمد على حكمتك في اصلاح الحال ودوام صلاحه وفي استمرار الوحدة والوثام ، واننا عائدون الى مصر بعد اسبوع وكلنا امل في قدرتك على ذلك وتدعو لك بدوام الصحة والتوفيق » .

فاجاب سعد : « لقد عزمتم انتم الثلاثة على العودة الى مصر مع اني سبق ان راجعتكم في ذلك . ولكن محمد علي علويه اخبرني بانكم اشتريتم التذاكر وازمعتهم السفر في ٢٧ نوفمبر فشعرت بان هذا تصرف غير لائق من جانبكم لانكم لم تخبروني به قبل البت فيه . واذا كنتم تريدون مساعدتي حقا فلماذا تتعجلون العودة في هذه الظروف قبل ان نتعاون معا على تسوية كل الخلافات الموجودة الآن في الوفد ؟ »

فسكنوا قليلا . ثم اظهروا الاسف ، وقدموا الاعتذار ، ولكنهم مصممون على السفر .

## نبئت للرئيس فكرة !

وبعد خروجهم أخبرنى الرئيس أنه يتوقع أن كثيرين من أعضاء الوفد سيعودون الى مصر مثلهم • فانه قد فكر فى الامر وقرر ألا يعارض أحدا له رغبة فى العودة • وأما هو فسيظل يجاهد فى أوروبا بكل ما لديه من وسائل حتى تنال مصر استقلالها التام • ويكفيه فى هذه الحالة أن يكون معه اثنان فقط ( واصف غالى وأنا ) كمساعدين له • وأما باقى الاعضاء فمن الخير أن يعودوا كلهم توفيراً للمال وحسماً للمخلاف •

سمعت هذا الكلام من الزعيم فأثرت السكوت •

## جلسة لتحديد موقف الوفد

٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ :

حضر الى مقر الوفد لطفى السيد ومحمد محمود وعلى ماهر والمكباتى وحمد الباسل ، ثم حضر الرئيس ومعه واصف غالى ومصطفى النحاس ووبصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وسينوت حنا ، وبعد نصف ساعة حضر عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة •

وكان موضوع الجلسة « تحديد موقف الوفد ازاء من يقوم بالمفاوضات الرسمية قبل الغاء الحماية بنص صريح » • وانقسم الاعضاء كما هى العادة الى فريقين :

الاول فريق الرئيس الذى رأى وجوب استنكار كل من يتعرض للمفاوضات الرسمية •

الثانى - فريق انصار عدلى الذى رأى أن من مصلحة البلاد أن يتركه الوفد حتى يأتى بما لا يتضمن هذا الانهاء ، ثم يستنكره الوفد ويحاربه •

فاجاب الرئيس : « بل يجب منعه محافظة على وحدة الامة • وما دامت الامة قد اقامت الوفد وكيلا لها فلا يجوز له أن يتخلى عن وکالتہ وواجبه ويترك اى شخص يتفاوض من غير اتفاق » • ابق معه على القواعد والاسس والاهداف ، فاذا لم يتم هذا الاتفاق مع الوفد وجب على هذا الشخص أن يتنحى عن هذه المسئولية • »

وهنا قال المكباتى : « وما رأى اذا كانت مع هذا المفاوض  
الرسمى كتابة تشتمل على وعد بإلغاء الحماية ؟ » فاجاب سعد :  
« ننتظر فى هذه الكتابة ومضمونها ثم نسبر حسب ما نفهمه منها » .  
قال عبد العزيز فهمى : ان واجب الوفد الاول فى الظروف  
الحاضرة هو ان يتلافى انقسام الامة ، اما انقسام الوفد فان من  
الممكن تلافيه وذلك بان تعلن الاغلبية التى كانت تعارض الرئيس  
بانها أصبحت الآن من رايه ، وأن الوفد بالإجماع موافق على عدم  
الدخول فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات معها  
بالمعنى الذى يبينه سعد باشا . وبهذا لم يعد فى الوفد أى انقسام ،  
وأما انقسام الامة فالسييل الى تفاديه هو عدم محاربة عدلى لافى  
السر ولا فى العلن . ثم تكلم المكباتى فقال : « اذا كان عدلى على  
راس هيئة أخرى ويتولى المفاوضات الرسمية لكى يبذل جهوده  
ويستخدم كل وسائله لكى يحصل على قبول التحفظات ، فكيف يسمح  
لوفد ضميره ان يخذله ويحاربه ؟ »

فأبان الرئيس فى شىء من الانفعال خطأ هذه الفكرة وقال :  
« لا يمكن للوفد ان يقف مكتوف اليدين ازاء هيئة كهذه تغتصب  
مهمته ووكالته ، ثم يؤيدها على زعم الباطل بانها تتجرى على  
خطئه وتهدف الى غايتها . ان هذا التصرف ( لو تم ) يكون زورا  
شنيعا من خداع النفس وخداع الناس » .  
وانتهت الجلسة الى غير قرار والاعصاب متوترة .

والعجيب ان كل عضو فى الوفد تكلم وأطال وأسهب . وكان  
كل منهم يدور فى حلقة مفرغة ، وليس فيما قيل فكرة جديدة  
جديرة بالتسجيل ، بل حجج مكررة فى عبارات متباعدة ، وهدف  
كل فريق هو نفس الهدف من غير تعديل ولا تبديل .

المكباتى يكشف عن النية لمنحية الرئيس عن المفاوضات المقبلة :

بعد العشاء نزلت كالعادة الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه ،  
وهى قريبة جدا من البانسيون الذى أسكن فيه ، وذلك لاقضى ساعة  
فى الهواء الطلق وأتفرج على الناس الذين يروحون ويغدون ،  
ويجلسون ويقومون ويتهايمسون ، والرجال والنساء فى سعادة  
ظاهرة لا يبدو على أحد منهم ولا على واحدة منهم غير البشر  
والابتسام . وأن الانسان ليسعد اذا عاش وسط السعداء ويكتئب  
اذا عاش وسط الاشقياء ، والابتسام يعدى وينشر جوا من الراحة

والسكينة والسلام . وكنت عظيم الامل فى هذه الراحة والسكينة والسلام ، ولكن لم يتحقق املى . فقد حضر المكباتى وحمد الباسل وجلسا معى فاستدرجتهم الى الحديث عن الباعث الحقيقى الذى يدفعهما الى هذا الاتجاه المخالف لوجهة نظر الزعيم سعد فى نفس الوقت الذى يعلنون فيه أنهم متضامنون معه كل التضامن فى وجوب عدم دخول الوفد فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات أولا وقبل كل شيء .

فقال المكباتى « المدبائى » فى صراحة عجيبة « انهم يريدون فى الحقيقة تلحية الرئيس سعد عن المفاوضات فلا يعالجهما فى المستقبل ولى حرموا انفسهم من ذلك أيضا وانهم يريدون فى الوقت عينه أن يتولى أمر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لأن عدلى فى نظرهم أكثر مرونة وسياسة من سعد » ثم قال ضاحكا « لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا أننا على رآيه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد قبول التحفظات ، ولكن سعد « ثعلب » لم ينخدع بما قلناه » . قالها ضاحكا مغرقا فى الضحك ، وسمعتها حزينا غارقا فى الحزن .

افترقنا بعد ذلك وعدت الى مسكنى وعادتنى الفكرة القديمة او السؤال القيم :

هل ابلغ الرئيس ما سمعت ؟ ولكن ما فائدة ذلك ؟ كلا . لن ابلغه لانى أخشى أن تزداد العلاقات فسادا وسوءا بينه وبينهم ، وما أنا بناقل أخبار ، تضر ولا تنفع ، والجهل بها خير ألف مرة من الوقوف عليها ، وفى العلم بها بعض الشقاء وزيادة البلاء .

٢٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

أدهشنى الرئيس اليوم اذ أخبرنى أنه عزم على الانقطاع عن الذهاب الى مقر الوفد ( فى شارع باريف ) اتقاء لشر المكباتى وسفاهته ، فقد أدرك بطلنته وفراسته ما يريدون وما يبيتون وما يتآمرون عليه فكيف لو ابلغت ما سمعته من المكباتى ليلة أمس . ثم قال لى فى حزن غامر يمازجه ايمان عامر :

### الاعتراف السابع عشر

« لا اظن أن الامة اصابها هزال يجعلها ترضى بما كانت ترفضه ، وتقبل هذه الحماية بعد أن تشبعت بروح الاستقلال . انى لن أهبط

مع الهابطين • وادعو للحماية بعد ان كنت رسول الاستقلال ، ولان  
يركنى قومي خير من ان تركهم • ولان أبقي وحدي وهم ينزلون ،  
خير للامة من انزل مع النازلين ، ولان يقال تخلى عنه قومه خير  
من ان يقال ركنوا اليه فقدر بهم استمنوه «خانهم ، ورفضوه  
فخفضهم ، نعم لم يعد امامي أمل كبير أو صغير للعسل ، ولكن  
العجى خير من الغدر » •

٢٥ نوفمبر :

حضر لزيارة الرئيس فى مسكنه الاعضاء الذين اعتادوا مقابلته  
وزيارته يوميا ، وهم واصف غالى وسينوت حنا ومصطفى النحاس  
وعلى ماهر والدكتور حافظ عفيفى •

وفى الساعة ١١ صباحا حضر على غير انتظار عبد العزيز  
فهيمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد  
الباسل ولم يحضر المكباتى لحسن الحظ حتى لا يعكر الجو بأرائه  
واساليه الخشنة المثيرة • وفى هذا الاجتماع القى الرئيس  
بفكرته التى نبتت فى رأسه اذ قال :

« بما ان عمل الوفد الآن قد أصبح قليلا ، وتقدير ملئر سيظهر  
قريبا ، ولا ينتظر منه ان يأتى بما هو خير من مشروعه ، اظن ان  
الاحسن ان يعود الى مصر عدد من الاعضاء ليراقبوا الحالة  
العامة هناك ويبقى آخرون هنا على قدر الحاجة » •

فوافق لطفى السيد وعبد العزيز فهيمى على هذه الفكرة فورا ،  
ورغبا فى ان يكونا من المسافرين ، ولكن محمد على علوبة قال :

« ان الاولى انتظار تقرير ملئر وتاجيل البحث فى اقتراح الرئيس  
الى وقت آخر » • فلم يعترض الرئيس على ذلك •

ويخيل الى ان هذا الاجتماع الذى حضره بعض انصار عدلى لم  
يكن المقصود منه فى نظرهم الا التاكيد من ان الزعيم سعد ملتزم  
جانب السكوت والهدوء بالنسبة لعودة عدلى الى مصر •

وفى اثناء تناولى الشاي معه أخبرنى الرئيس انه ارق الليلة  
البارحة طويلا وكان دائم التفكير فى الانحلال الموجود فى الوفد  
وتعذر البقاء عليه ، واستحالة علاجه وشماتة الاعداء فيه ، وهو  
اليوم فى أشد حالات الحزن ثم قال :

« ان الله عودنى خيرا كلما ضاقت بى الامر واشتد الكرب » •

وفى المساء حضر على الشمسى من جنيف لمزيارة الرئيس ، فلما سمع من الرئيس بياناته وآراءه فى انقسام الوفد ، اقترح على الرئيس أن يخرجهم من الوفد وأن يعين غيرهم ، فلم يوافق وقال : « أن فى هذا صدمة كبرى للامة » .

### حالة الرئيس الصحية

٢٦ نوفمبر :

علم الرئيس صباح اليوم أن لجنة الوفد المركزية تفكر فى اقامة حفلة كبيرة لتكريم عدلى وتعبئة الجهود استعدادا لحسن استقباله . فغضب الرئيس غضبا شديدا وقال : « انها رعونة تسوق الناس هذه الايام الى فعل ما يخالف مصالحهم » .

وأنه لمن دواعى الاسى والاسف الشديد أن لاحظ بدء الانهيار فى صحة الرئيس . فقد امتنع منذ ايام عن اكل اللحوم ، وهو كثير الارق مصاب بالسكر ، وبه ضعف ظاهر وهزال شديد ، واولنه يميل الى الصفرة ، وهو كثير الخفقان لان به ضعفا فى القلب ، الله يلفظ به ويرحم مصر المسكينة الفقيرة فى الرجال .

ويا عجبا كل العجب . هل قضى علينا أن نعيش كاكباش ناكل من مرعى واحد ثم نتناطح بعد الاكلة ؟

ولكن هى الطبيعة البشرية فاما حبا أو كرها واما وثاما أو خصاما وحضر مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف مستأذنين فى السفر غدا ومودعين الرئيس ، وكان منظر الرئيس مؤثرا مثيرا للاشجان والاحزان .

### عودة الاعضاء الثلاثة الى مصر

٢٧ نوفمبر :

ذهبت الى المحطة لتوديع الاعضاء الثلاثة العائدين الى مصر ، وقد دهشت اذ لم أجد أحدا من الاعضاء الآخرين ذهب الى المحطة لتوديعهم . فكنت الوحيد المودع لهم ، وقلت مازحا لمصطفى النحاس : « الرئيس يمثل الوفد سياسيا ، وأنا أمثل الوفد فى القيام بمراسم التوديع » . وهنا ضحكنا جميعا وتبادلنا بعض النكات التى جعلت جو التوديع جو مرح وابتسام .

## مواعيد عملى وشأى الرئيس

٢٨ نوفمبر - ٥ ديسمبر :

هذه فترة سكن وركود وجمود وهمود وخمود . ولم يسبق أن مر على الوفد فترة مثلها فى طولها ( ثمانية أيام معا ) لم يحدث أى اجتماع رسمى أو غير رسمى للوفد ، والأعضاء يأتون الى مقر الوفد ويخرجون أفرادا أو مثنى وثلاثا ، بلا نظام أو اطراد ، يستفهمون عما عنده من الاخبار المنشورة فى الجرائد الانجليزية أو مجلس العموم البريطانى فأخبرهم بما يكون ، ولم يذهب الرئيس مرة واحدة الى مقر الوفد بل لم يخرج من مسكنه قط ، وأهم ما نشر خبران موجزان لا يتجاوز كل منهما أربعة أسطر :

الاول : أن عدلى وصل الى مصر واستقبله بعض الانصار .

والثانى : ان تقرير ملنر ينتظر أن يصدر فى شهر ديسمبر الحالى .

ومواعيد مكتبى ومقابلاتى للرئيس هى من الساعة التاسعة صباحا الى الواحدة بعد الظهر ، ومن الساعة الرابعة بعد الظهر الى السابعة مساء ، ومن التاسعة مساء الى العاشرة والنصف ليلا . ثم أخرج لأقضى نصف ساعة فى كافية فوكيه أنسج فيها الهواء الطلق ، وأنسى فيها متاعب اليوم برؤية الحياة اللاهية الهادئة فى هذه البقعة الجميلة من الارض .

هذا هو النظام الرتيب طوال الاسبوع كله ، لا أعرف يوم جمعة أو أحد للراحة ، اذ ليس لى يوم للعطلة والراحة فى أى اسبوع أو فى أى شهر .

ولعل أجمل فترة عقب اليوم كله هى التى أقضيها مع الرئيس بعد الظهر حين أتناول الشأى معه ، وشأى الرئيس غريب بسيط طريف :

- ١ - شأى باللبن .
- ٢ - أربعة بريوش .
- ٣ - عين الجمل المقشر .

والرئيس يحب عين الجمل المقشر لما فيه من مواد غذائية عظيمة تتناسب وحالته الصحية المعطوبة بمرض السكر .



## خطاب رابع من أحمد أمين

٦ ديسمبر :

تسلمت اليوم خطابا من مصر تاريخه ٢٠ نوفمبر وهو من صديقي الشيخ أحمد أمين . يقول فيه :

« ان الحالة فى مصر هادئة هدوءا تاما ولكنه لا يرى أهى كما قال القائل :

أرى تحت الرماد وميض نار      ويوشك أن يكون لها ضرام  
أم هو سكوت من اعياء التعب . وفيه يقول :

« لا تنس يا كامل أن السواد الأعظم من الامة غير مثقف ، وانه كان يساق الى الوطنية سوقا فان لم يكن بجانبهم من يقوهم ، ويصلب عودهم ويرفع فيهم الروح المعنوية ، عادوا الى سيرتهم الاولى . ولا تنس أننا ولیدون فى الوطنية قريبو عهد بالمبادئ الجديدة ، وان الخمرة فى الامة هم الشباب المتعلم وهؤلاء قليل عددهم اذا نسبوا الى الامة . وان توالى الضغط على الامة قرونا طويلة من فرس وروم وعرب وترك وانجليز افقد الامة صراحتها وشجاعتها واضعف قوتها وشهامتها . ولكن ما يعزينا هو أننا أصبحنا نرى التطور يسير سريعا وشعورنا بشخصيتنا وقوميتنا ينمو نموا حثيثا يبعث على الارتياح ، ولكن مما يؤسف له هذه الايام أن السواد الأعظم من الامة يبيت ويصبح هو لا يفكر الا فى مشكلته الاقتصادية الناشئة من انخفاض أسعار القطن ، فهو يبلى أعماله ومشروعاته على أن يبيع القطن بأربعين جنيها فاذا بثمنه الآن دون العشرة . والقطن كما تعرف معبود الفلاح والمالك على السواء . . لقد استقبل عدلى باشا استقبالا طيبا بعد أن حامت حوثة شكوك كثيرة حتى جاءت برقية الرئيس وكان لا بد منها ليستعيد عدلى باشا مكانته . . فرجعت القلوب الى عهدها الاول . . تعد له اخلاصه وتقدر له حسن مسعاه . وما النتيجة يا كامل وما المنتظر؟ والى ماذا نحن صائرون ؟ انت الآن فى مستوى أعلى ، فانت أوسع منا أفقا وأقدر منا على رؤية ما لا سبيل لنا الى رؤيته ، فهل تشاركنا فيماترى ؟ وسلام الاخوة الصادقة اليك منى ومن سائر اصدقائك الاوفياء » .

اطلعت الرئيس على هذا الخطاب بأن قرأته عليه . . ثم نظرت

الى الرئيس فوجدته مطرقا مفكرا فى شىء من القلق الواضح والحزن الملموس . وهو الآن يعرف تمام المعرفة أن صديقى الشيخ أحمد أمين من أكثر الناس تدقيقا وأعمقهم تفكيراً وأعظمهم اخلاصاً . ولولا أن دخل فى هذه اللحظة على ماهر وواصف غالى وسبنوت حنا ، لاستمرت جلستى مع الرئيس . ولعرفت منه خوالج نفسه وأفكاره ازاء ما ورد فى ذلك الخطاب .

### اشتداد أزمة القطن

٧ ديسمبر :

وردت الجرائد من مصر وأعمدتها طافحة بأخبار أزمة القطن ، وأهم ما لفت أنظارنا أن تشكل وقد من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديریات ، وأن وفودا عديدة صغيرة أخذت تتكون كذلك مع أنها ليست لها طلبات خاصة ، فقال لى الرئيس :

« يحسن أن يمثل الحالة الاقتصادية ويعالج الأزمة الحالية وفد واحد كما يعمل فى المسائل السياسية ، ورد واحد يمثل البلاد . ثم استطرد قائلا : أن أخوف ما أخافه من كثرة هذه الوفود وكثرة اتصالها بالحكومة أن تستغل استغلالا سياسيا أى تستخدمها الحكومة لتحقيق أغراض سياسية لا تتفق مع قضية الاستقلال . »

أما الوفد الكبير الذى تكون من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديریات فقد تقدم باقتراحات ثلاثة هى :

أولا - تحديد زراعة القطن بثلاث الأراضى فى العام المقبل .

ثانيا - إلغاء اتفاقات الحكومة فى استجلاب الحبوب من الخارج ، وذلك للمحافظة على أسعار الحبوب الوطنية فى السنة المقبلة ، وحتى لا تقع البلاد فى أزمة حبوب كما وقعت الآن فى أزمة قطن .

ثالثا - تشتري الحكومة مليون قنطار من صغار الفلاحين المضطرين للبيع .

وذلك حفظا لأسعار القطن من التدهور . وثمن هذا المليون يأتى من مبلغ المليونين من الجنيهات التى حصلتها الحكومة من الضريبة المفروضة على القطن ، والتى لا ينتظر أن تستعمل الآن لأن الحكومة لا تشتري حبوبا من الخارج . ثم أن الباقي تدفعه الحكومة من

وقال لى الرئيس : « هذه اقتراحات معقولة ومقبولة • ولعل الصعوبة الوحيدة فيها هى فى معرفة السعر الذى تشتري به الحكومة قنطار القطن من المليون المراد شراؤها • »

فقلت : « ألا يمكن تحديد هذا السعر على أساس تكاليف الإنتاج  
للقنطار القطن مضافا إليه الربح المحض المعقول ؟ »

فقال الرئيس : « تكاليف الإنتاج تختلف باختلاف المناطق والمديرية وتختلف باختلاف المزارعين والملاك ، والرياح الذي تراه أنت مجزيا ومعقولا قد يراه غيرك لا مجزيا ولا معقولا . وهذه هي الصاعب » .

وهنا أطرق قليلا ثم استطرده قائلا :

« ان الناس يجب أن يفهموا أن شهوة الغنى لا يجوز أن تنسبهم كرامتهم المسلوقة واستقلالهم الذى ضحوا بالكثير من أجل تحقيقه ، وانه لمن دواعى الاسف أنى لم أجد فى أية جريدة مصرية كلمة واحدة فى هذا المعنى تبصر الناس وترشدهم سواء السبيل ، بل لم أجد فى أية جريدة مصرية اقتراحات عملية مفيدة لحل الأزمة القبطية ، بل كل الجرائد لجأت الى الطريق السهل : وهو التشنيع على الحكومة واتهامها بالتقصير وبأنها لم تفعل شيئاً لتخفيف ويلات الازمة دون أن تقترح من جانبها خطة العمل الواجب اتباعها ، فسياسة الجرائد والحالة هذه سياسة هدم ونقد وتدمير لا سياسة بناء واقتراح وتعمير » .

## حیدرتی الآن

پاریس فی ۸ دسمبر سنۂ ۱۹۲۰ :

جالت في نفسى اليوم خواطر في شكل أسئلة وغير أسئلة :  
هل أستمّر في كتابة هذه اليوميات مهما تكن حوادث بعض الايام؟  
هل يحسن أن أتفادى اليوميات بأن كتب (( أسبوعيات )) أى  
أى أكتب مرة واحدة كل أسبوع ؟  
هل يحسن أن أكتبها « شهريات » أى شهرا شهرا .

لمقد نضرب معين الحوادث الكبرى التى ينطوى العلم بها على متعة أو فائدة .

فانتهت مفاوضات الوفد مع لجنة ملنر الى غير رجعة .  
وانتهت كل المشاكل اليومية أو جلها التى كانت تشوب بسبب تلك المفاوضات أو المحادثات .  
وانتهت قصة عدلى وتدخله فى شئون الوفد بعد عودته الى مصر .

وانتهت اجتماعات الوفد لقلة العمل وكثرة السأم وانتظارا لظهور تقرير لجنة ملنر .  
وانتهت حتى زيارات كثرة الاعضاء للرئيس واصبح بينهم وبينه جفاء وشبه قطيعة .

واصبح لا يقابل الرئيس يوميا الا ثلاثة اعضاء هم ، على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا يزورونه فى مسكنه .  
والرئيس لا يذهب الى مقر الوفد فى شارع ماربيف .  
- وأعضاء الوفد يذهبون الى مقر الوفد بغير نظام ولا اطراد .

وأنا اقضى ساعتين كل صباح فى مكتبى بمقر الوفد ثم انتقل الى مكتبى الآخر بمسكن الرئيس حيث أحمل اليه ما عندى من أخبار الجرائد الانجليزية ومقالاتها بعد ترجمتها الى العربية .  
ثم اقضى بقية ساعات العمل صباحا وبعد الظهر ومساء مع الرئيس فى مسكنه .

وأكثر الاعضاء حضورا الى مقر الوفد أربعة هم محمد على عنوبة وحمد الباسل ومحمد محمود والمكبائى .

وأما عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فلا يحضران ، ولا أعرف من أنبأتهما شيئا غير ما أسمعته من محمد على علوية وبودى أن أزورهما ، وأتحدث اليهما ولكن ذلك عسير أو مستحيل لأنى لا أملك من وقتى غير ساعات قليلة افضيها فى الطعام والراحة ، وقلما تكفى للراحة والطعام .

والآن أعود مرة ثانية الى موضوعى الاصيل حتى لا ابتعد عنه بالشروء والاستطراد ، هل أكتب يوميات أو اسبوعيات أو شهريات ؟  
ولكن لماذا يجب أن أبت فى هذا الموضوع ؟ ولماذا ألتزم بخطة معينة لا احيد عنها ؟

ولماذا لا أكون حرا في أن أكتب ما أشاء . ومتى أشاء ؟  
إذا كان المعين الحالي قد نصب فهناك معين جديد ينتظر ظهوره  
وتفجره وتدفقه .

وقد نشرت جريدة التيمس صباح اليوم أن تقرير لجنة ملنر  
سيرفع غدا الى الحكومة البريطانية التي ستدرسه بكل عناية ومنتظر  
نشره وإذاعته مع قرار الحكومة بعد شهر أو شهرين على الأكثر  
أي في فبراير ١٩٢١ .

وستتفاهم الازمة داخل الوفد يقينا . .  
وسيعود أكثر الأعضاء الى مصر حتما كما فهمت ذلك من  
عبد العزيز فهمي ومحمد على علوية .

وستتولى عدلى رئاسة الوزارة القادمة بغير شك .  
وسينقسم الوفد على نفسه . ما في ذلك أدنى شك ، فان دوام  
الحال الراهنة من المحال .

وستنقسم الامة على نفسها لا محالة . .  
وسيضطرب سعد وسيفكر ويكافح في شدة وعنف ، وهو في  
هذا يجرى على سبيلته .

وسيعود الى مصر حتما عاجلا ولا أقول أجلا . .  
كل هذا أراه من البدهة بمكان . وكل ذلك في حاجة الى  
تفصيل وتسجيل .

فلن ينضب المعين لمن يريد أن يكتب ويصور أطوار النفس  
البشرية ويسجل الاحداث التاريخية ونحن نعيش الآن في فترة  
حاسمة في تاريخ البلاد . بل نحن الآن من صناع التاريخ ، وحرام  
أن تمر هذه الحقبة من الزمن بدون أن تسجل تفصيلا وتعرف  
معرفة صادقة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا تزييف فيها ولا تحريف ،  
ولا نقص فيها ولا اسراف فلاستمر فيما أنا فيه والله المعين .

### تقرير لجنة ملنر

باريس في ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

اليوم قدم ملنر تقرير لجنته - الى حكومته - التي تعتبره أعظم  
وثيقة رسمية مدروسة لأعظم / مشكلة سياسية تواجهها في الوقت  
الحاضر وسينشر التقرير وتعرف كل تفصيلاته مع قرار الحكومة

البريطانية بشأن مقترحاته في النصف الثاني من فبراير سنة ١٩٢١ . وأن السبب في تأخير نشره هذه المدة الطويلة هو الرغبة في ترجمته الى اللغة العربية لكي ينشر في لندن والقاهرة في وقت واحد ، وسترسل بعض النسخ من التقرير الى اللبى في مصر ليتولى المترجمون تحت اشراف رجاله القيام بالترجمة في سرية تامة ، حتى اذا تمت الترجمة وطبع التقرير باللغة العربية أمكن نشره واذاعته .

### قصة عجيبة

أصبح الزعيم سعد حبيسا في مسكنه لا يستطيع الخروج منه لاشتداد برد الشتاء الى خمس درجات تحت الصفر ونزول الثلج هذه الايام . وفي اثناء تناولى الشاي معه عصر اليوم أخبرنى بتصرف غريب مثير من عبد العزيز فهمى . قال :

(( عندما كنا في لندن حضر عملى عدلى وكان غاية في التودد والتواضع ، وكان معى عبد العزيز فهمى ومحمد محمود ومصطفى النحاس وواصف غالى ، فرويت لهم حادثة وقعت لى ، وهى شروعى فى شراء اطيان من الدائرة السننية وعدولى عن الشراء لأن صديقا حميما لى أخبرنى عند توجهى لشراؤها بأن البيع قد ناجل فى هذه الاطيان ، وقال « لا تتعب نفسك بالذهاب » فرجعت واشترائها هو فى الحال )) .

ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه جريمة تستحق العقاب لأنها نوع من النصب والاحتيال » فقال عبد العزيز فهمى : « ان القانون لا يحمى العبطاء » .

فاجاب الرئيس : « لا عباطة هنا . وانما هى ثقة صديق بصديقه » فقال عبد العزيز فهمى : « لا تؤاخذنى ، وأورد مثلا ثم ختمه بقوله : « ان العبطاء لا تحميهم القوانين » . هذا سكت سعد وأطرق قليلا ثم قال لى :

« لاحظت وشعرت ان عبد العزيز فهمى كان يقول هذا الكلام مجاهدا شعورا فى نفسه يحاول منعه من هذا القول . ولكن شعورا آخر كان يدفعه اليه . وكأنه أراد أن يقول لعدلى : « انظر كيف استخف بمكانة هذا الرجل وأعده من العبطاء » . ثم سكت الرئيس مرة أخرى وأطرق كأنه يعالج خواطر اليمه تزعجه او شعورا بالغيط يحاول كتمانها . ثم رفع راسه وقال لى فى الم ظاهر :

## الاعتراف الثامن عشر

« لقد كظمت غيظي وقلت في نفسي سبحان الله ما أضعف نفوس بعض الرجال وما أسخف عقولهم ، لقد عجبت من أمر هذا الرجل الذي يطلع الحقد من صدره ، ولكنني عدت فحمدت الله إذ رأيت أن هذا من العلامات الطيبة على أن الفضيلة التي يحسدني عليها راسخه في . ثم رثيت لحاله لأن الحسد سيأكل نفسه حتى يهلكها ، بينما الحقد يضره ويشفيه وينوبه ثم يفنه » .

وانما رجل الدنيا وواحدھا من لا يعمل في الدنيا على احد

سمعت هذا الكلام الذى فيه من الحزن والكمد اضعاف ما فيه من الغيظ والغضب ، وبدا على التأثر الشديد والانفعال الذى اغالبه فيغلبنى . واقاومه فهزمنى . ولم يخف ذلك كله على عين سعد النافذة . فقال باسم ايتسامه فلسفية : « ما رايك يا كامل : فقلت وكانى صحوت من غاشية » انا يا سيدى فى دهشة وذهول : ان هذا الرجل ظالم . فما فى الامر بلاهه او عباطة . وما كنت اتصور فيه سلاطة اللسان والتهجم الى هذا الحد او الى اى حد ، بل كنت اعتقد انه رجل عالم فاضل عظيم التواضع جم الادب متزن يتكلم بحسب شان كل رجل قوى واثق من نفسه » .

فقال سعد : أرايت الآن مبلغ خطئك في رأيك وعقيدتك في هذا الرجل ، ومن يديرى فعلك كثيرين مثلك يرون أنك هذا فيه .

ثم سكت دقيقة أو دقيقتين قضاهما في اطراف وتفكير - ومن عادتي ان اسكت ولا اتحرك اقل حركة كلما رايتَه مطرقا ومفكرا في هدوء وسكون ، وذلك حتى لا يشعر بوجودي فينصرف الى تاملاته كما يشاء : ثم رفع راسه ، ونظر الى وقال :

« ما رأيت رجلا مغرورا بنفسه في تواضع ولا خبيثا في صالح ، ولا عسوفاً في عادل ، ولا كذوباً في صادق ، ولا جباناً في شجاع ، ولا مغلباً في ثابت ، ولا مرأثياً في صريح أكثر من هذا الرجل ، عبد العزيز فهمي » .

وهنا أخرجت مسرعا القلم من جيبي - وسجلت هذا الحكم  
الفريد ، في هذا الأسلوب الجديد ، كتيبت ثم تلوته عليه لاستوثق  
من صحة كل كلمة قلها . فابتسم وقال : « أنت أشبه بالفونوغراف  
سجلت كل كلمة ولم تفتك كلمة واحدة .. ما أقوى ذاكرتك ... »

## سعد زغلول وعبد العزيز فهمى فى الميزان

١٠ من ديسمبر ١٩٢٠ :

سعد زغلول وعبد العزيز فهمى أقوى شخصيتين مصريتين عرفتهما فى حياتى حتى الآن ، ولا يقارن بهما أى مصرى آخر فى مصر إلا رجحت كفتها وأثبتت المقارنة أفضلية هذين الرجلين ، وإمتيازهما البارز على كل من عداهما .

والعجيب أنى أحبهما حبا جما رغم ما بينهما من تفاوت فى المذهب ، واختلاف فى النظرة وفى السياسة .

ان أوجه الشبه بينهما كثيرة :

فكلاهما ذكى مفطر فى الدكاء ، فصيح اللسان بليغ البيان الى أقصى درجات الفصاحة والبلاغة .

وكلاهما صريح لا يتردد فى التعبير عن رأيه والدفاع القوى عن وجهة نظره . ولعل سعدا أصرح وأقوى منه .

وكلاهما قوى الشكيمة قوى الشخصية عنيف الكفاح ولعل سعدا أقوى وأعنف .

وكلاهما محام بارع ضليع درس القانون وثفقه فيه وتعمق ، ولعل عبد العزيز فى ذلك المحق .

وكلاهما حاضر البديهة شديد السخيرية فتاك المنطق عظيم الاعتداد بنفسه وهما فى ذلك فرسا رهان .

وكلاهما مناقش لا يمل ، ومجادل لا يكل ، ومحاور مداور بالمنطق المتين والعقل المكين ، ولا يلين ولا يستكين .

وكلاهما متعصب لرأيه لا يحيد عنه قيد أنملة ، حبه للاقتناع أضعاف أضعاف استعداده للاقتناع .

وأوجه الخلاف بينهما قليلة العدد : ولكنها كبيرة فى الوزن والشأن والخطر وبعد الأثر .

فسعد خطيب مصقع يهز المنابر . ويؤثر فى النفوس أبلغ تأثير ، فى المتعلمين والجاهير على حد سواء ، وعبد العزيز فهمى لا يسمو الى هذه المرتبة بل هو دونها بمراحل فليس له سمته ولا صوته ولا روعته .



وسعد زعيم أمة وصاحب رسالة ورئيس رجال ثورة واسمه  
يفعل في مصر مثل السحر وزيادة ، وعبد العزيز فهمي زعيم أغلبية  
من أعضاء الوفد .

وسعد يرفض مشروع ملنر وينادي بالتحفظات ويتمسك  
بالاستقلال .

وعبد العزيز فهمي يقبل مشروع ملنر ويستخف بالتحفظات  
ويعتبر الاستقلال محالاً في الظروف الراهنة .

وسعد يريد تحقيق ما يريد تنفيذا للتوكيل الذي حصل عليه  
من الأمة ، فيجد في عبد العزيز فهمي وأصحابه وعدلى العقبة  
المكائد والصخرة الصماء .

وعبد العزيز فهمي يريد تحقيق ما يريد فيجد في سعد المارد  
الذي يستحيل التغلب عليه .

من هنا نشأت الكراهية بين هذين الرجلين العظميين .

كلا الرجلين العظميين النابهين ( سعد زغلول وعبد العزيز  
فهمي ) يريد التخلص من صاحبه اللدود اللجوج حتى يخلو له  
الجر فيحقق ما يريد ، ولكن ليس الى الخلاص من سبيل حتى الآن .

### حديث الرئيس مع عبد الملك حمزة واسماعيل كامل

١١ من ديسمبر :

حضر لزيارة الرئيس صباح اليوم عبد الملك حمزة واسماعيل  
كامل ، وبعد خروجهما مرا بمكتبي وبقيا معي نصف ساعة .  
وعرفت منهما أنهما من رجال الحزب الوطنى ولا يعجبهما حال  
الوفد ورجاله . وفى أثناء تناولى الشاي مع الرئيس فى الساعة  
٣٠ بعد الظهر سألته عما وقع فى نفسه من أمرهما فقال الرئيس :

« ان المشك يخامرني فى أمر هذين الشايبين لانى مع كونه  
اطلعتهما على كثير من الأدلة الكتابية وغيرها التى تزل على ضعف  
عدلى واستخفافه بالاهداف الوطنية ، وميله الى تعصيد ملنر ،  
فانهما لم يتأثرا ، واستمرا يتكلمان عن ضرورة الاتفاق معه رغم  
الفوارق السالف ذكرها » .

ثم سكت الرئيس فى حزن بالغ وبعد قليل استأنف كلامه فقال :  
« لقد تكلمت معهما طويلا ، وقلت لهما ليس من الغريب بأن  
اعارض المشروع الذى ينسب الى ملنر ، وأن يدافع عدلى عنه ،

ولم ينسبه أحد اليه . وقلت لهما ان عدلى ضعيف جدا ، ولا يمكن ان يركن اليه فى مهمة تقضى صداما وكان يروج أفكار ملتر عندما ، بدل ان يروج أفكارنا عند ملتر .

« ومع ذلك فانهما لم يثائرا وسكتا .

» ثم قلت لهما فى كمد وضيق ظاهر ان زملانى الذين كان من المنتظر ان يكونوا معى فى خدمة قضية الاستقلال يريدون اليوم ابعادى عن المفاوضات المقبلة . ولكنهم لا يجراون على التصريح بذلك خشية ان ينكشف أمرهم أمام الأمة ويظهروا على حقوبتهم مؤيدين للمشروع فتلفظهم الأمة وتلبسهم ثياب العار والشنار . قلت لهما ذلك ، ومع ذلك لم يثائرا أو على الأقل لم يظهر عليهما التائر الذى كنت انتظره وأثرا السكوت والاطراق .

» فلما سألتهما رايهما صراحة قال أحدهما ان الحالة محزنة ، وقال الآخر يجب عمل الممكن والمستحيل لتلافى وقوع أى انقسام فى الأمة أو فى الوفد . فقلت : « وماذا تقترحان ؟ » فعجزا عن الجواب ، فقلت لهما : « أرجو أن تفكرا فى الوسيلة والسبيل لتحقيق استمرار الوحدة وتلافى الانقسام ثم تشرفانى بزيارة أخرى لأعرف منكما الجواب » .

فوعدا بذلك وانصرفا ..

### الاعتراف التاسع عشر

١٢ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

دخلت على الزعيم سعد صباح اليوم ومعى كالعادة ما ترجمته الى العربية عن المنشور فى الجرائد الانجليزية ( التيمس والوستمنستر جازيت والديلى هيرالد ) عن « الازمة القطنية فى مصر » فوجدته مكبا على الكتابة بيده ، وهذا نادر جدا ، لانه لا يحبه ويفضل أن يملأ على ما يريد تسجيله كتابة أو يريد ارساله الى من يختار ويشاء .

فلما استقر بى الجلوس دقيقة رفع رأسه والتفت الى وقال :

« هل تريد أن تعرف ماذا أكتب الان ؟ » وعقل الرئيس فى التفكير أسرع من يده فى التحرير .

فقلت : « اذا اطلعتنى عليه كان ذلك منك تفضلا كبيرا » .

فقال : « اذن فاسمع بعض خوالج نفسى . وقرأ على ما يأتى :

« عجب امرى ، اكون رئيس أمة بأسرها وجميع ابنائها يمجدون اسمى ويعظمون قدرى ، ويشيدون بذكرى ، ويهتفون بحياتى ، ويهتزون لكلماتى ، وينفذون رغباتى ، ولا أجد فيمن حولى من اصطفيه الا من بعد عنى فيوافينى وأوافيه . غريب جدا أن يكون أغلب من يجتمع بى ويشهد قريتهم منى أبعد الناس عن موافقة رأيى . ولقد كثرت ملاحظتى لهذه الحالة ، وطال بحثى عن سببها وما اهتديت اليه . فحسنت نفسى فحسنا جيدا لاقف فيها على ما ينفر الغير منها وما يعميه عما يصدر عنها فوالله ما عرفته . وأعتقد تمام الاعتقاد أن هذا الفحص كان فى غاية الاخلاص وبقصد الوقوف على حقيقة الامر حتى أعمل على تلافيه ، لان الغاية التى أرمى اليها هى المصلحة العامة ، والوسيلة اليها هى كل طريقة تكون شريفة » .

### اثر الاعتراف فى نفسى

تأثرت غاية التأثر من هذا الكلام الصادر من أعماق أغوار قلبه . ونظرت اليه فوجدته ساهما مطرقا فى كمد ظاهر ، وفى حيرة لا يعرف الخلاص منها . فأثرت السكوت . وماذا عسائ أن أقول وأنا فى حيرة مثله ؟ ان قلت انه على حق فى دقة بحثه وفى فحصه وتحليله وتعليله لخوالج نفسه ، كان ذلك غباء منى لانى بذلك أقرر انه على صواب فى رايه من أن البعيدين عنه يحبونه ويوافقونه ، والقريبين منه يكرهونه ويخالفونه .

وان قلت انه على خطأ ووهم ، كان ذلك استعلاء منى وكأنى أدرك للأمور وأكثر فهما لها وأنفذ بصيرة منه . ومعنى هذا أيضا أن البعيدين عنه والقريبين منه على السواء فى حبه وتقديره والاعجاب به ، وهذا ما يخالف الحقيقة والواقع .

لم أجد كلاما أقوله فسكت ، ولم يجد سعد غير الحسرة والكمـ  
فسكت .

ولكن السكوت اذا طال كان مزعجا للأعصاب ، فنطقت بكلام على البديهة ومن غير سابق تفكير . فقلت : « يا سيدى لا تتشام

ولا تحزن • ماذا يضيقك اذا خالفك عشرة أو مائة ووافقك وأحبك الملايين ، انت زعيم أمة فمن الطبيعي جدا أن يكون لك حساد وكارهون » •

فأجاب الرئيس : « يا كامل انت لم تفهم قصدي ، ان المسألة ليست مسألة عددية حسابية بين المواقفين والمخالفين ، وانما المسألة ظاهرة نفسية : القريب مني يخالفني وقد أنفر منه وينفر مني ، والبعيد على يوافقني ، فنتزامل ويصطفيني واصطفيه •

« أجد الراحة والطمأنينة مع البعيدين ، وأجد المتاعب والضيق مع القريبين • لا شك ان في النفس البشرية عيوباً كامنة فيها ، وأريد الاهتداء اليها ، والخلص منها فأريح وأستريح • »

أى والله ما أصدقه وما أنفذ نظره ، ما أرفه حسه وأدق بصره •  
أثرت السكوت لان الله لم يفتح على بكلام مفيد فى هذه اللحظة •

والسكوت من ذهب أحيانا عندما يصعب على المرء الكلام الصادر عن روية وتفكير •

واستمر سكوت الرئيس وأطرقه : أطراق الفيلسوف المفكر ، لا أطراق الخائر الحائر •

ثم قفز الى لسانى سؤال أماط اللثام عن بعض النواحي :

قلت : (( ان أنصار عدلى من أعضاء الوفد مفهوم أمرهم ، فهل صدر من أحد أنصارك شيء يريبك أو يكدرك ؟ )) •

### الاعتراف العشرون

فقال الرئيس سعد : (( عندى كثير مما لا تعرفه • ومما أكتمه على مضض •

(( فواصف غالى سريع الانفعال عظيم الكبرياء •  
(( وسينوت حنا رجل خطر وداهية •

(( وعلى ماهر ميال للمسألة ولكنه يكثر من انتقادى ولا يوافق على شيء فى صراحة ، فهو مسالم مساوم ويجب إمساك العصا من الوسط •

(( ولا ينبغي لى أن أعول على مثل هذه الحال ودوامها من المحال ))



واصف غالى



عبد العزيز فهمى

لم أدهش لشيء لما قاله عن واصف غالى ، لانى كنت أعتقد حتى هذه اللحظة أنه أشد الناس ولاء له وإخلاصا ، وأنه أعظم الناس هدوءا وتواضعا .

### رأى الرئيس فى واصف غالى

فقلت : يظهر يا باشا أنى لا أفهم الناس على حقيقتهم ، وأن الظواهر ما زالت تخدعنى ، كل شيء ممكن ومحتمل الا واصف غالى ، فهو عندى أقل الناس طمعا وأكثر الناس تواضعا ولا أعرف بين المصريين من هو أكثر منه وداعة ورقة وأدبا وإخلاصا وتفكيراً . وهو الى الفيلسوف أقرب منه الى الرجل العادى .

فسكت الرئيس وأطرق كعادته ، وفكر وأطال التفكير ثم قال :

(( واصف غالى متواضع فى كبرياء . ساكن فى حركة . شديد الحساسية . قوى فى عاجز ، ماهر فى بساطة ، قليل الكلام ، كثير التفكير ، واسع الخيال ، بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متعصب ، وعنده فى نفسه أحسن رأى )) .

هنا فقط أدركت مبلغ حيرة الرئيس وعزلته ووحشته .

وهنا فقط أدركت مدى خيبة أمله فيمن حوله من الانصار .

وهنا فقط أدركت مصدر حرجه وكمدته وسر رغبته فى البحث والتنقيب عن الحقيقة فى طوايا نفسه وفى خبايا أعماقه ، عسى أن يهتدى بعد البحث والدرس والتنقيب عن العيب الكامن فى نفسه فيصلحه فيصلح الحال .

ولكن الرئيس الحائر عاجز عن الاهتداء وهذا سر أساء ومصدر بلواه .

### معركة كلامية بين عبد العزيز فهمي وسعد

١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

صحوت اليوم والجو بارد شديد البرودة ، على أنى ما كدت أترك البانسيون فى طريقى الى مقر الوفد فى الساعة الثامنة والنصف صباحا حتى واجهت برذا لا عهد لى به ، فهذه هى (( صهارات الشتاء ، وعنبراته )) كما يقول العرب . وقد نزل الثلج بغزارة أمس وأول

أمس كالقطن المندوف أو العهن المنفوش ، وكسيت أسطح المنازل والابنية والشرفات والشوارع بطبقات ثلجية بيضاء تسر الناظرين .

واليوم تهطل الامطار وتدوى الريح ، وبوارق الرعد تخطف الابصار ، والسماء تتكاثف غيومها تارة وتمزق ، وتومض تارة أخرى ، والسكوت شامل لا يعكزه غير جلبة الرعد وخشخشة المطر وهو ينهمر على الدوافذ والشرفات ، ولكن هيهات هيهات أن تملأ الطرقات .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر محمد على علوبة الى مقر الوفد ، وسألنى عما فى جرائد لندن هذا الصباح فقلت : (( فيها صفحة كاملة عن الالعاب الرياضية ومبارياتها فى التنس وكرة القدم والرجبى ، وليس فيها سطر واحد عن مصر والسودان ، ولا عن سعد أو عدلى ، أو المحاكمات العسكرية الجارية فى مصر هذه الايام )) .

وهنا حضر عبد اللطيف المكباتى وعلى ماهر وعبد العزيز فهمي ومحمد محمود ، ثم وافاهم حمد الباسل وسينوت حنا ، حتى اذا وصل الزعيم سعد زغلول جرى حديث شامل أبرز ما فيه ما وجهه عبد العزيز فهمي الى الرئيس سعد عندما قال .

(( أسقطت يا سيدى من حسابك ومن تفكيرك أمورا أربعة على أعظم جانب من الأهمية :

- ١ - قوة بريطانيا الهائلة ونفوذها الطاغى وسلطانها الواسع بعد أكبر انتصار أحرزته فى تاريخها وتأثيرها فى الدول جميعا .
- ٢ - ضعف مصر الهائل وسيطرة الانجليز عليها سيطرة تامة شاملة .

٣ - عدم وجود المعين لمصر فى أية دولة فى الارض ، ومصر فى عزلة تامة .

٤ - ان مشروع ملئر مفيد لانه على الاقل ينقذ مصر من حالتها الحاضرة التعسة الشنيعة ويمنحها شيئاً من القوة والقدرة على استئناف الجهاد والقيام بشورة فى المستقبل )) .

فاجاب سعد فى احتقار ظاهر :

(( كيف يجوز لك ان تزعم انى اسقطت كل هذا من حسابى وتفكرى . أنت تتكلم فى بديهيات بعضها ظاهر وبعضها مضال ، انما أنت واخوانك الذين اسقطتم من حسابكم ومن تفكيركم امرا واحدا على الاقل وهو على اعظم جانب من الاهمية والخطورة وبعد الاثر . وهو (( ان فى اعناقكم امانة ، وهى السعى والجهاد للحصول على الاستقلال التام . وليس لكم ان تقبلوا اول شيء او أى شيء يعرض عليكم مادام انه دون الاستقلال بمراحل . انتم تتلمسون المعاذير ، وتستطيرون طريق الجهاد وتريدون خيانة الامانة عن عهد وسبق اصرار )) .

وهنا ضج الاعضاء بالغضب وقال عبد العزيز فهمى : (( ياريس ، حاسب فلست انت الوطنى الوحيد الذى انجسته مصر )) .

فقال سعد فى انفعال : انتم تفضبون وتثورون لانى وصفت اعمالكم وسلوككم بالاوصاف الصحيحة ، ثم تعجبون لغضبى وثورتى على اعمالكم نفسها ، وعلى سلوككم الشاذ )) . فاضطربت الجلسة ، وخرج عبد العزيز فهمى ساخطاً فخرج الاعضاء وراءه وانتهت الجلسة .

وفى المساء نزلت كالعادة بعد العشاء الى كافيهِ فوكيه ، وبعد قليل حضر محمد على علوية وجلس معى ثم قال : (( ارايت يا استاذ كامل هذا الاسلوب فى المناقشة والمعاملة ، ان سعد باشا يرمى فى وجوهنا اشنع التهم ويستخدم اقصى الكلمات والعبارات . وينتظر منا ان نحتمل كل ذلك ونسكت عليه ، بينما هو لا يحتمل منا حتى مجرد ذكرنا للحقائق كما نراها ، ولا يحتمل منا اخف الكلمات والعبارات حين نصف البواعث والملابسات لتصرفاتنا ، هل يرضيك هذا ؟ ))

واستطرد صاحبى وقال :

(( خذ مسألة اخرى . كتب واصف غالى مقالة فى مجلة فرنسية

حلل فيها مشروع ملنر واعتبره حماية سافرة حقيقية ، واستقلالا  
لفظيا مزيفا . ولا شك أن المقالة موحى بها من سعد باشا بدليل  
أنها نشرت في اليوم التالي في جريدة الديبا .

(( وبعد يوم واحد من نشرها أقام الرئيس مادبة غداء في فندق  
الكونتنتال للمسيو ديناليس رئيس تحرير جريدة الديبا وحضرها  
جميع أعضاء الوفد ، وأعلن الرئيس في صراحة أنه موافق على كل  
ما جاء في هذه المقالة ، هذا مع العلم بأنه يعارض أشد المعارضة في  
مبدأ أن للأعضاء الحق في الإدلاء بأحاديث للصحف أو كتابة مقالات  
في الجرائد والمجلات وهكذا يكيل بكيلين .

(( ينتظر منا أن نقبل كل ما يرضى عنه ويهواه .

(( ولا يقبل منا أقل اعتراض أو مخالفة .

(( فهو ينتظر الكثير . أكثر مما نحتمل ، ولا يحتمل منا القليل  
وهو أقل ما ننتظر ))

وهنا سكوت صاحبي .

فقلت هذه (( هذه أروع خاتمة ومن يدري فلعلها كلمة الحق قد  
خرجت من لسانك في هذه الخاتمة البديعة . وإن فيها سر المتاعب  
والبلاء . فاغضب صاحبي بما قلت وافترقنا بسلام وقلت لنفسى  
حذار أن تصغر انسانا في عين نفسه بكلمة جارحة أو نظرة ساخرة  
أو فعل ينم عن استخفافك بشأنه .



**باريس في ۱۹ من ديسمير :**

(( ان الحكومة الحاضرة تبذل جهودها في استمالة الامة الى السلطات بكل وسائل الترغيب والترهيب واحضار الوفود من الاقاليم لزيارة قصر عابدين ، وفي البلاد تيارات قوية استعدادا للدخول في مفاوضات رسمية ، وعلى رأس العاملين لذلك محمود سليمان باشا وأولاده ولقيف من أعضاء اللجنة المركزية . ولاخبار الانقسام في الوفد أسوأ الاثر في الامة نرجوكم تلافى الانقسام ، وانتهاز فرصة المفاوضات الرسمية بما يليق مع الكرامة والشرف )) .

(( انهم يقدمون الى النصيح والارشاد مع علمهم بكل التفاصيل الخاصة بالمفاوضات التي كانوا شهود انقطاعها ، وهم اما جاهلون بحقيقة الخلاف والانقسام في الوفد ، واما عارفون ولكنهم عاجزون عن تقدير الاحوال قدرها . وهنا يستوى الجهل والمعرفة وكست ادري ايها شر من الآخر )) .

وكان حاضرا مع الرئيس كل من علي ماهر وواصف غالي وسينوت حنا ، فحاولوا التماس الاعتذار لاصحاب تلك البرقية ؛ فازداد الرئيس غضبا ، وبعد انصرافهم قال لي الرئيس :

(( ان عجبى من هؤلاء الثلاثة لا يقل عن دهشتى من أولئك الثلاثة

۲۰ من دیسمبر :

ورد خطاب من عدلی يقول فيه :

(( انه وجد البلاد فى حالة عسر شديد ، وأن الوزارة الحاضرة تسير على سياستها القديمة من الارهاق والاعنات ، والحكومة الانجليزية على ما يظهر جاهلة مصير الاتفاق بين الامتين المصرية والانجليزية ، وفى البلاد الآن حركة شديدة بعضها ظاهر وأكثرها خفى للتأثير فى الرأى العام وتوجيهه وجهات أخرى )) .

فلم يشأ الرئيس أن يرد على هذا الخطاب بخطاب منه ، وبعد تفكير وتردد فضل أن يرسل إليه برقية موجزة هذا نصها :

(( كل البرقيات الواردة الى من شتى الجهات تدل على روح عالية في البلاد ، وان الانجليز لا ينبغي لهم أن يجهلوا ان الامة لا تقبل اى اتفاق يؤيد الحماية أو لا يحقق الاستقلال )) .

ولا يخالجنى شك فى أن هذه البرقية لطمعة لمعدلى سيسمعر بعدها بشئ من الحق أو الضيق ، ولهذا حملنى فضولى الى سؤال الرئيس وأنا أتناول الشئ معه : (( لماذا فضل ارسال برفية الى عدلى بدل أن يرسل اليه خطابا ردا على خطابه )) فقال : (( ميزة البرقية أنها موجزة ولا تظهر فيها عواطف الانسان وتعبّر عن القصد تماما بغير أن تكشف الحالة النفسية ، فضلا عن خلوها من زيف المجاملات والتجملات )) .

مقال في جريدة المورنج بوسست !

٢١ من ديسمبر :

نشرت جريدة المورنج بوست صحيفة المحافظين في افتتاحيتها ما يأتي :

(( ان الشعب المصرى قد أصبح الآن منقسما على نفسه : فريق يؤيد زغول باشا ، وفريق يؤيد عدلى باشا ، وبعد أن كان الشعب المصرى كله واقفا خلف زغول باشا ينصره ويؤيده ويهتف بحياته فإنه ما حدث الآن يعتبر ظاهرة كبيرة المعنى . والملاحظ أن أنصار عدلى باشا أخذوا يتزايدون قوة وعددا وبسرعة تلفت الانظار فى الشهرين الاخيرين ، وأن المتطرفين من أنصار زغول باشا بدأ نفوذهم فى الضعف . ونجمهم فى الافول ، ولا يمكن أن تنجلي الحالة جلاء واضحا الا بعد الوقوف على رأى الحكومة البريطانية . وقد تنقل مراسل الجزيرة فى الريف المصرى وتحدث الى كثير من الاعيان فوجدهم كما وجد الفلاحين ، غير مهالين بالسياسة وقضية الاستقلال أقل مبالاة ، وأزمة القطن هى شغلهم الشاغل وهى موضوع أحاديثهم فى الصباح والمساء )) .

### رسائل من مصر الى بعض أعضاء الوفد

وحضر فى المساء عدد من أعضاء الوفد لزيارة الرئيس فى مسكنه ، وهم لطفى السيد والمكبائى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعلى ماهر وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، وبعد ساعة واحدة انصرفوا متفرقين .

ودخلت على الرئيس بعد خروجهم فوجدته مطرقا ظاهر الاسى والكمد ، فلما جلست ليحلى على خطابا ينوى إرساله الى سعيد زغول . بدأ حديثه معى بقوله :

### الاعتراف الحادى والعشرون

(( انى أصبحت لا أثق بأحد من أعضاء الوفد ولا أعتمد الا على الله ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها )) .

فقلت : (( ماذا جرى . هل رأيت جديدا ؟ )) .

فقال : (( أطلعنى بعض الاعضاء على خطابات وردت اليوم من مصر ، أرسلها اليهم أصدقاؤهم وكلها ترسم صورة سوداء تدعو للياس ، فالشعب فى نظر كاتبها ضعيف متخاذل ، والحكومة مستبدة والسلطان أخذ يتنقل فى المديرىات ويستقبل بالحفاوات ، والركود الاقتصادى وأزمة القطن وأخبار انقسام الوفد كلها قد

بليت الافكار ، وما الى ذلك من الهراء والخزعبلات التي يراد منها التأثير في ، وعلى أمل أن أؤيد علنا على ، والجميع هنا يتكلمون بلسان واحد ، ولا فرق الآن بين من كانوا معي على الدوام ومن كانوا مع عدلي حتى الآن . ولا أستبعد أن تكون هذه الخطابات موحى بها من أصحابنا هنا في باريس للتأثير على )) .

فقلت : (( يظهر أن نفس البزيد الذي حمل خطاباتهم . قد حمل خطابا من صديقي الشيخ أحمد أمين ، وكنت مترددا في اطلاعك عليه لأنه هو الآخر يرسم صورة قائمة عن الحالة في مصر ولكن من منظور آخر )) .

فقال الرئيس : اقرأ خطاب صاحبك أحمد أمين فاني في حاجة للاستماع الى مصدر لا أشك في اخلاصه ، ولا أشك في الباعث على ارسال خطابه ، كما لا أشك في المرسل اليه .  
تلوت الخطاب في تؤدة ووضوح ، وهذا نصه :

### خطاب من أحمد أمين

١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

أخي كامل . .

(( سلام عليك - سأكتب اليك مهما قصرت في الكتابة الى . . فقد كنت تكتب الى مهما قصرت في الكتابة اليك ، أرجو أن تكون بخير .  
استولى على الناس في أيامنا هذه حالة نفسية تشبه حالة اليأس ، وأكثر الناس الما المفكرون راذ يرون أننا اقتربنا الى الغاية وبقليل من الجد والتلاحم ندركه ثم لا جد ولا تلاحم فأسفهم كاسف من يسابق في الجري وقد كان يسبق كل من معه فلما قرب من الغرض أدركه الاعياء فسبقه من كان يتأخر عنه . ويرجع هذا يا كامل الى أسباب ثلاثة على ما أفهم :

١ - جد الحكومة في مناهضة الحركة واستعمال الشدة المتناهية وتضييق القول والفعل على الناس بكل ما أوتيت من قوة ، ومن أكبر مظاهر ذلك التشديد على المديرين بسوق الناس الى السلطان ليظهروا له الولاء فيذهبون الى ذلك مضطرين أو طامعين وينتج من هذا المنظر يأس المخلصين .

٢ - خلو المكان الذي كان يشغله عبد الرحمن فهمي فلم يملأ أحد مركزه ، ولم تقم جماعة بما كان يقوم به وحده ، وقد كان الرجل

في الحقيقة قوة عاملة كبيرة وأهم مميزات العزم والتعجيل بامانة الشر وهو وليد ، وجعله نفسه مركزا للعاملين حوله .

٣ - طبيعة المصري الملل وحبه للنتيجة السريعة ، فهو اذا تاجر أراد أن يفتنى دفعة واحدة ، والا لا يتاجر ، وهو في وطنيته ووليده الامس فشانه فيها شأن الوليد .

ما اكثر ما اتمنى أن يتساهل الانجليز فيقبلوا النص على الغاء الحماية ونتخلص مما نحن فيه من الشرور .

في البلد اليوم حركة يراد منها التعجيل في الدخول في المفاوضات قبل النص على الغاء الحماية ولسان القائمين بها محمود عزمي صاحب جريدة الافكار ، ويعرف الناس أن من هذا الرأي عدلى وثروت واسماعيل صدقي وتوفيق دياب ونحوهم ولهم حجج على ذلك خلاصة لا حاجة الى ذكرها ، وقد سمعت انضمام محمود باشا سليمان الى هذا الرأي - لست اؤمن ايماننا تاما بسخافة رأيهم ولكن اؤمن أنها ثلثة في الاتحاد .

في هذه الايام يسمى بعض الناس في ضم الاحزاب جميعها الى الوفد وخصوصا الحزب الوطني وهو شيء مفيد لان الحزب الوطني مع أن تاريخه خير منه لا يزال له اثر في نفوس البعض بحكم تاريخه ، فكل شخص نكسبه الى جمهور الامة يزيد من قوتها . اصلح الله الحال وأمد الامة بروح منه حتى لا تفشل في آخر لحظة من جهادها والسلام )) .

أخوك أمين

### تعليق الرئيس على الخطاب

وقع هذا الخطاب في نفس سعد موقعا اليما ، وكان مظهر الالم في نظرائه ، لا في كلماته ، وفي سكوته وعدم اشرافه ، لا في تعقيبهِ وانطلاقه .

ثم التفت الى بعد قليل وقال :

(( لا شك أن في مصر أزمة قطنية وأزمة اقتصادية ، وللانجليز يد في هذه وتلك لانهم يشترون عادة ثلاثة ارباع القطن المصري

وبالاسعار التي يحددونها هم ، وهم يسيطرون على الحالة الاقتصادية في البلاد تمام السيطرة ، فاذا كفوا أيديهم عن الشراء أو هبطوا بالاسعار الى الحضيض وقعت أزمة قطنية لا محالة وصاحبته في الحال أزمة اقتصادية . هذه احدى وسائل الاستعمار وحيله الشيطانية لكي يبلبلوا الافكار ويصرفوا الناس عن التفكير فيما هو اجدى وأنفع وهو الحياة العزيزة الكريمة في ظل الاستقلال الذي لا تجوز فيه هذه الحيل والالاعيب ، والمسألة الآن مسألة صراع بيننا وبين الانجليز في ميدان آخر : الميدان الاقتصادي الى جانب الميدان السياسي ، ويجب أن يفتن المصريون الى ذلك ، ويدركوا الحقائق على وجهها الصحيح . أما القلق والضيق والشكوى والتظير والالم فهي مظاهر تدخل على قلوب الانجليز السرور أقصى السرور . وتشعرهم بأنهم نجحوا فيما هدفوا اليه وهو تدوين المصريين وصرفهم عن قضية الاستقلال ، وأنا من ناحيتي لا أعتقد أنهم سينجحون في هذا السبيل ، وما أنا من المنتظرين ولكني من المؤمنين )) .

فقلت : (( اذن هذه أزمة مفتعلة خلقها الانجليز خلقا لينالوا بها مأربا في الازمة السياسية ، هذه حقائق رائعة وسأبلغها الى صديقي الشيخ أحمد أمين فورا ، وأنا واثق من أنه سيعمل عل نشرها في الصحف وفي المجالس بعد التوسع فيها والتعليق عليها )) .

فأجاب الرئيس : حسنا تفعل .

ولم تمض ساعة واحدة حتى فرغت من تحرير خطاب الى صاحبي بكل هذه المعاني .

### برقيات احتجاج من مصر بمناسبة ذكرى اعلان الحماية

٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

في اليومين الاخرين تسلم الرئيس عددا كبيرا من البرقيات الواردة من مصر ، وكلها تحمل الاحتجاج الشديد بمناسبة ذكرى اعلان الحماية البريطانية على مصر في ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، واكثرها يحمل الموافقة على خطة الوفد في تشيئه بعدم الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل النص على الغاء الحماية . وقد اغتبط الرئيس بذلك أشد اغتباط ، ومما زاد في اغتباطه وانتماشه أن أمثال هذه

البرقيات أرسلت الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية . و ملنر  
والجرائد الانجليزية الكبرى ، وقد نشرت بعض الجرائد الانجليزية  
خلاصات من تلك البرقيات وهذه الجرائد هي ( التيمز والديلي  
نيوز والوستمنستر جازيت والمورننج بوست والديلي هيرالد ) .

### خطاب من سعد الى ملنر

واليوم أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر يلفت نظره الى أهمية  
هذه البرقيات وختمه بتهنئته بعيد الميلاد .

### وثلاثة خطابات من مصر . .

٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

تسلم الرئيس اليوم ثلاثة خطابات من مصر : من مصطفى النحاس  
وطاهر اللوزي وسعيد زغلول وكلها تنطوي على شيء غير قليل من  
القلق والسخط لان السلطان أصبح كثير التنقل الآن في المديرية ،  
والاعيان والفلاحون ملزمون باستقباله استقبالات حافلة بالزيينات  
يرفعونها ، والتهافتات يرسلونها عالية مدوية ، والمدير الذي يعجز عن  
أرسال الوفود الى سراى مايدين الدعوة السلطان الى زيارة مديريته  
لا يرضى عنه ، وقد رفت فعلا أحدهم وهو قطرى باشا - مدير  
الدقهلية ومين بدله وكيل الداخلية .

ويظهر أن وزارة توفيق نسيم طويلة العمر وليس في نية الانجليز  
حتى الان حملها على الاستقالة ، ويقولون في خطاباتهم ان الاشاعات  
رائجة بأن وزارة توفيق نسيم هي التي ستتولى اجراء الانتخابات  
وايجاد هيئة يقال عنها انها تجمع ممثلي الامة الحقيقيين ، وهؤلاء  
يقبلون مشروع ملنر على علاته وبهذا تقلل الامة الحماية ، ويسقط  
الوفد بحجة أنه أقل تمثيلا من هذه الهيئة الملفة التي يراد خلقها  
على صورة تمثيلية وبمؤامرات شيطانية . يتنبأ بذلك كثيرون في  
مصر ويزعم كثيرون من أنصار عدلي أن السبب الوحيد لهذه الحالة  
التعسفة هو أن الوفد أو بعبارة أدق ( الرئيس سعد ) قد أعلن  
صرحة أنه لا يؤيد أية وزارة تدخل في مفاوضات رسمية قبل إلغاء  
الحماية ، وان هذا هو السر في أن الانجليز لا يفكرون الآن في  
طرد توفيق نسيم من الحكم واقامة وزارة برياسة عدلي .

هذا وقد جاء في خطاب مصطفى النحاس أن الرقابة منعت نشر شكر الرئيس للامة على ما اظهرته من الوطنية الطاهرة الصادقة الدافقة ، بالبرقيات التي ارسلتها الى جميع الجهات المختصة احتجاجا على بقاء الحماية وبمناسبة ذكرها الاليمة . وتأييد الوفد في قراره الذي يقضى بعدم الدخول في أية مفاوضات رسمية قبل ان تقبل التحفظات وفي طليعتها النص على الغاء الحماية .

٢٥ من ديسمبر ١٩٢٠ :

اخبرني الرئيس في اثناء تناولي الشاي معه ، انه تناول الفداء مع حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتي ، وكانوا يظهرون له كثيرا من الاحترام والتزلف على غير العادة ، وزعموا جميعا انهم اصبحوا من رايه ومذهبه بالنسبة لمقاطعة المفاوضات الرسمية ما لم تقبل تحفظات الأمة سلفا ، وان حمد الباسل قال له بعد انصراف صاحبيه : (( ان فيك صفات باهرة لا توجد في غيرك ، ولا يمكن لاحد انكارها )) . فشكره الرئيس على تحيته وان كان قد اعتبرها لونا من الملق والدعاء .

الامير يوسف كمال يقيم

مادة غداء لعدي

٢٦ من ديسمبر :

قرأ الرئيس في بعض الجرائد المصرية التي وصلت صباح اليوم خبرا لفت نظره وهو منشور في جريدة الاهرام الصادرة بتاريخ ١١ من ديسمبر ويتلخص في أن الامير يوسف كمال سيولم وليمة غداء غدا أي في يوم ١٢ من ديسمبر تكريما لعدي بمناسبة عودته الى مصر ، وانه قد وجه الدعوة لحضور هذه الوليمة الى فتح الله باشا بركات ومصطفى النحاس وغيرهما ، وفي اثناء تناولي الشاي مع الرئيس بعد ظهر اليوم تحدث الى في شأن هذا الخبر . وقال :

(( انا لا استبعد أن تكون لهذه الوليمة علاقة بالبرقية الشفوية التي ارسلها الى مصطفى النحاس وحافظ عفيفي وويصا واصف بتاريخ ١٩ من ديسمبر . واغلب الظن عندي ان هذه الوليمة ان لم



تكن مدبرة لاستمالة البعض ، فان هذه الاستمالة لا شك واقعة  
او انها ستكون من نتائجها المنتظرة )) .

وبعد ان سكت دقيقة في اطراف وتفكير ، قال في شيء من المرارة :  
( ( ان استمرارى هنا مع كون من معنى أغلبهم ضدى ، ضرب من  
الحق ولا يترتب عليه أقل فائدة ، بل هو تعذيب لى ، وليس  
فيه خدمة للامة )) .

راى سعيد

في الصحافة المصرية

٢٧ من ديسمبر ١٩٢٠ :

فرغ الرئيس من قراءة اكوام الجرائد المصرية التى حملها الينا  
البريد أخيراً من مصر ، وفى أثناء تناول الشاى سألته عن رايه  
فيها فقال :

(( فى مصر جرائد تخدم الانجليز ومصالح الانجليز ، وهذه  
الجرائد قسمان : قسم يستخدمه الانجليز صراحة ، مثل جريدة  
الوطن وجريدة المقطم ، ويزودهما الانجليز بالمال وبالاخبار  
والتوجيه فيرسومون لهما خط السير فى الكتابة ويحددون لهما  
نوع الموضوعات التى تنشر وتبحث ويدافع عنها او تهاجم .

(( وقسم يخدم الانجليز ومصالحهم عن غير قصد ، وذلك  
بالتطرف فى الطلبات المستحيلة والسخرية بالعاملين المجاهدين ،  
ومن هذا القسم جرائد الحزب الوطنى وجريدة الاهالى . وهذه  
الجرائد لا هم لها الا مهاجمة الوفد وتقويض ثقة الامة فيه ، واتهامه  
يوميها بانه متهاون فى حقوق البلاد ومقصر فى الدفاع عنها ومنافق  
ومخادع ومتقلب فى طلباته من الانجليز وما الى ذلك من الهراء .

(( والقصد من كل ذلك تجريح الوفد ورئيسه ومحاولة اسقاط  
توكيله بدون ان يتقدم فرد آخر او جماعة للحلول محل الوفد .  
فعمل هذه الجرائد هدم لا بناء ، وهل بعد هدم الوفد خدمة  
للانجليز ؟ )) .

ثم سكت الرئيس دقيقة او اكثر حتى ظننت انه انتهى من كلامه  
ولكنه استطرد فقال : (( وفى مصر الآن جريدتان تتناطحان يوميها :  
جريدة الاخبار وجريدة الافكار ، الاولى تدافع عن الوفد وخطته ،

والثانية تدافع عن عدلى وسياسته ، يحذر الاولى امين الرفعى ،  
ويحذر الثانية محمود عزمى .

(( جريدة الاخبار تستنكر الدخول فى اية مفاوضات رسمية  
الا بعد قبول التحفظات وبغير ذلك لا تقوم المفاوضات الرسمية الا  
على اساس مشروع ملنر وهو مشروع حماية لا مشروع استقلال ،  
وترد جريدة عدلى بان هذا التزام بما لا يلزم ، وانه لا ضرر مطلقا  
فى الدخول على اساس مشروع ملنر ، ثم العمل اثناء المفاوضات  
على تعديله بالتحفظات وما على الامة الا الانتظار فى امل ، فان  
نجحت المفاوضات فيها ونهضت ، وان فشلت فان الاتحاد يبقى  
سليما بين صفوف الامة ، ويمكن حينذاك استئناف الجهاد ضد  
الانجليز .

وتعود جريدة الاخبار فتفند هذا الكلام وتبين ما فيه من  
سخف وهراء وتقول : (( ان اصحاب هذا الراى مخطئون )) . . :

(( أولا : لانهم يحذون الدخول فى مفاوضات رسمية على اساس  
مشروع ملنر والتحفظات هادمة لكثير من اركان هذا المشروع  
وليس من المعقول ان يدخل الانسان على اساس تهدم هذا  
الاساس .

(( ثانيا : لا معنى لترويج مشروع وفى الوقت عينه اعلان النية  
عن تعديله .

(( ثالثا : ليس لدى اصحاب هذا الراى وعبد ولا شبه  
وعد يستندون اليه فى الزعم بامكان قبول التحفظات فيما بعد .

(( وتعود جريدة عدلى تتهم اصحاب هذا الراى بالتطرف وسوء  
الظن وتطلب التريث وعدم التسرع لان السياسة العملية تقتضى  
ذلك وظروف الاحوال فى بريطانيا تستلزمه ، وما الى ذلك من  
الخزعبلات والمهاترات التى تنغمس فيها جريدة الافكار .

(( وجريدة الاهالى يوميا تهاجم الجريدتين وتتهمهما بالخداع  
والتظاهر بالمشاجرة فيما بينهما والخلاف على مسألة النص على  
القاء الحماية ، وتصرخ منادية (( واين باقى التحفظات . وما هى ؟  
وتزعم متحمسة بان بقية التحفظات لا تقل أهمية عن مسألة النص  
على القاء الحماية ، وأن الوفد أهملها . ثم تهاجم هذه الجريدة  
- التى يشرف عليها محمد سعيد باشا - الوفد ورئيسه واللجنة  
المركزية والاعضاء الثلاثة الذين عادوا أخيرا من باريس )) .

فسالت الرئيس عن اسم المدير المسئول عن تحرير هذه الجريدة ( اى جريدة الاهالى ) فقال : (( عبد القادر حمزة )) وهو يكتب بوحى من محمد سعيد باشا ورجاله ، ثم سألته : هل يكتب فى جريدة الاهالى كتاب بارزون تعرفهم ؟ فقال : كثيرون يكتبون فيها مجندون مشروع ملنر ومروجون لسياسة عدلى ، وفى طليعة من كتبوا اسماعيل صدقى باشا وعبد الحميد بدوى وصالح يونس )) .

لم اشأ أن استمر فى ازعاجه بهذه الاسئلة الصغيرة فسكت . ولكنه أثر الكلام فى مسألة كبيرة فقال : ان مستوى الصحافة فى مصر لم يصل بعد الى الرضا والاطمئنان . وابرز العيوب التى اراها فيها خمسة :

١ - ان بعض الصحفيين لا يمتازون بشقافة عالية ولا هم متخصصون فى موضوعات معينة ، ولكنهم كتاب يجيدون اللغة العربية الى حد ما ، ويعتمدون على ذكائهم أكثر من اعتمادهم على علمهم عندما يكتبون . والاصل فى الكاتب أن يكون استاذ القارئ ينوره ويوجهه ويرشده وما الاستاذ هنا بخير من التلميذ .

٢ - وبعض الصحفيين يميلون الى السرعة فى الكتابة ولا يخفى هذا العيب على كل من له دراية بالاساليب وفن الكتابة . فهو يتبين هذه السرعة فى كل سطر يطالعها لهم ، وكأنهم يعتبرون هذه السرعة دليلا على الذكاء والمهارة والثقة بالنفس ، ويعتبرون الابطاء دليلا على الغباء والجهل وعدم المران . وهذا ضلال كبير اذ عيب السرعة انها تنتج كلاما عاما وكتابة فيها أقل ما يمكن من المعانى فى أكثر ما يمكن من الالفاظ ، وأفكارها سطحية مهوشة لا عمق فيها ولا تركيز ولا يستفيد منها القارئ شيئا يؤثر فى فكره تأثيرا حميدا أو مفيدا . وبعض رؤساء التحرير وكتاب الصحف يفاخرون بانهم يكتبون مقالاتهم فى دقائق معدودات .

ثم استطرد الرئيس فقال : (( أخبرنى مصطفى النحاس أن أمين الرفاعى يكتب مقالاته الافتتاحية كل يوم فى ربع ساعة وحوله ضيوفه وزائروه يتحدثون بأصوات عالية ويحادثهم ويحادثونه فى اثناء الكتابة ، ولا يعوقه هذا عن عمله والفراغ من مقالاته الافتتاحية فى سرعة عجيبة تلفت الانظار . هذا وقد سألت النحاس (( هل أنت تمدحه أو تلمذه ؟ )) فقال : بل أمدحه وأعجب به . فقلت له : بل أنت تدمه أبشع الدم ، اذ كيف يستطيع انسان أن

يفكر ويحدد معانيه في تسلسل منطقي سليم ويختار الالفاظ المناسبة التي يجب أن يزنها بميزان الذهب حتى يفتح القارئ ويحظى باعجابه ؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك وهو لا يحصر ذهنه فيما يكتب ، ويظل موزعا بين ما يكتب وما يسمع وفي وسط الضوضاء ؟ .

٣ - ولفيف من الصحفيين يميلون الى النقد . والنقد اسهل انواع الكتابة والكلام ، اذ ما على الفرد الا أن يرى عيبا أو ما يظنه عيبا في موضوع أو مشروع أو انسان وما أكثر العيوب ومظاهر العيوب ، حتى ينحنى عليه في سرعة فائقة وينهال عليه تشنعا وتجريحا ، ويثنى صاحب العيب ذما وشتما وسبابا ، والصحفي المصري في هذا الميدان لا يجارى ولا يبارى .

٤ - ومع ميل الصحفيين الى النقد ، فانهم يجهلون فن النقد ، والنقد نوعان : نوع مفيد صالح ولا بد منه ، وهو الانتقاد الموضوعى البناء .

ونوع ضار فاسد ولا خير فيه ، وهو الانتقاد العاطفى الشخصى الهدام .

(( بعض الصحفيين يميلون الى هذا النوع الثانى من النقد ويمارسونه على الدوام ، لانه نقد سهل ورخيص ولا يحتاج الى علم أو دراية ، ذلك لان السب والشتم والقبح والبداءة والتشنيع والتجريح ليست في الكتب والمجلدات ، وانما هي تنبع من النفس المصابة بمركب النقص ، والمريضة بالغيب والحقد وشهوة الانتقام ، والكلمات تنهمر كالطر في خدمة هذه الحالات وهذا يتفق مع السرعة التي يحبونها ولا يستغنون عنها . وبهذا يسودون الصفحات الطوال ويعتبرون انفسهم كتابا بارعين وصحفيين مطبوعين . وهذا الوعي الذي يصنعونه لا خير فيه على الإطلاق ، ولا فائدة منه على التحقيق ، اذ ليس فيه غذاء للعقل وليس فيه تهذيب وتنوير .

أما النوع الاول من النقد وهو النوع المفيد الصالح فهم لا يعرفونه أو لعلمهم يعرفونه ولا يميلون اليه لنقص ثقافتهم وعجزهم وقصورهم . ذلك لانه نقد يستلزم الاسلوب الهادى العف الهذب الذى يتناول الموضوع وحده فيبين مزاياه أولا ويعلق عليها بكلمة تقدير ، ثم يتناول العيوب والنقائص فيبين ما فيها من خطأ أو اضرار ، ويقترح في الوقت عينه علاجها واصلاحها ويحدد نوع العلاج وطريقة الاصلاح وما ينبغى أن يكون ، ولكن هذا كله يحتاج

الى الوقت والثروة كما يحتاج الى العلم والتفكير وضبط النفس .  
وهذا ما لا يملكونه ولا يطبقونه ، فضلا عن أنه لا يتفق مطلقا مع  
السرعة الخاطفة التي اعتادوا عليها ويفخرون بها ويتنافسون  
فيها .

هـ - وأخيرا ليس لمعظم الصحف مراسلون اكفاء في الخارج  
أو في داخل البلاد يفدونهم بالانباء الصحيحة والتعليقات المفيدة  
ويقدمون الى جرائدهم اقتراحات عملية للإصلاح والتجديد، وأغلب  
ما يفعله المراسلون الحاليون القليلون هو الاقتصاص على ابلاغ  
جرائدهم بانباء الجرائم وتنقلات رجال الإدارة وأعمالهم .

هذا هو رأى الزعيم سعد فى الصحافة والصحفيين .  
أو هذه محاضرة القاها على من فيض الخاطر عنها وعنهم .  
ألقاها وكأنه يقرأها من كتاب ، أو يتلوها من مذكرة ، أو  
يستعيدها من محفوظات الذاكرة .

ولكنها البداهة الملهمة والموهبة المنظمة والعقل الرصين والمنطق  
المتين . . والبصيرة النافذة والمقدرة الفذة على حسن الغرض  
كمال التحليل والتعليل . .  
انه سعد زغلول وكفى . .

### خطاب من ملتر الى سعد :

٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

فى يوم ٢٣ من ديسمبر أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملتر .  
واليوم ورد الرد من ملتر ، فرفع الرئيس خطابه الى لترجمه الى  
العربية وهذا نصه :

(( عزيزى زغلول باشا :

(( أشكرك جزيل الشكر على خطابك غير المنتظر وعلى جميل تهنئتك  
لى بعيد الميلاد .

(( اننى لست ضعيف الأمل فى الوصول الى نتيجة مرضية ، وانى  
عارف تمام المعرفة مدى الشعور القوى الموجود فى مصر أزاء الحماية  
ولكنى مع ذلك أعتقد اعتقادا جازما بان معاهدة تبني على الاسس  
التي وضعناها معا ستضع حدا فى الواقع للحماية ، وأما الفناء

الحماية فطرحه الآن عسير ، وهو أشبه بوضع العربية امام الحصان ، ولا أستطيع أن اتصور حكومة بريطانية تستطيع النزول عن الحماية دون أن تعرف بل وقبل أن تتأكد مما سيحل محلها . والزم من كاف خل كثير من المشكلات اذا مهد كل منا طريق التفاهم والصدقة بين البلدين : بريطانيا ومصر .

(( واني ابعث اليك باصدق تحياتي وخالص احترامي .

المخلص ملنر

وقبل ظهر اليوم حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فاطلعهم الرئيس على خطاب ملنر ، واخذ على ماهر صورة منه ليطلع عايتها الاعضاء الآخرين .

اما الخطاب ذاته فقد كان وقعه في نفس سعد غير اليم وغير سار ، بل بين بين ، وهو الى الفتور اميل ، واما وقعه في نفوس الاعضاء الثلاثة فكان مدعاة للتفاؤل وهو الى الغبطة اميل .

سفر الدكتور حامد الى انجلترا :

٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

سافر الدكتور حامد محمود فجأة الى لندن صباح اليوم ، وقد قابلته مصادفة في الطريق فاخبرني بأنه ذاهب الى لندن لان عفشه قد حجز عليه بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الدخل وانصرف مسرعاً فضحكت لان هذا كلام غير معقول .

ولما وصلت الى مكتبى وشعر الرئيس بوصولى نادانى فدخلت عليه في حجرته وقال لى انه تسلم خطابا من مستر بلنت ورفعته الى لترجمه الى اللغة العربية وهذا نصه :

(( عزيزى زغلول باشا :

(( لو كنت في شيء من الصحة والقوة لحضرت بنفسى الى باريس . لاحظى بمقابلتك والتحدث اليك ، ولكنى أصبحت شيخاً منهـمار الصحة لا اقوى على الاسفار والانتقال فلعلك عاذرى ، وانك لتعرف مبلغ اعجابى بك واجلالى لك ، ومبلغ حبي لمصر وعطفى على قضيتنا وجهادها للاستقلال . وقد سبق أن كتبت الى اللورد ملنر خطابا مطولا رجوته فيه أن يتساهل في مفاوضاته معكم ، وأن يعالج المسألة



فقال الرئيس غاضبا : « لا هذا ولا ذاك » . ثم اتخذ اجراءين حاسمين :

الاول : املى على برقية لارسالها الى ابراهيم سعيد باشا امين صندوق الوفد بالقاهرة ونصها : « أرجو أن تودعوا البنك الاهلى مبلغ خمسة آلاف جنيه باسمى لكى يرسلها الى هنا فى باريس » .

ثم نزلت وارسلت البرقية بنفسى حتى لا يعلم احد سرها ، ولما عدت اليه وجدته مفتتقا وقال لى : « لست فى حاجة الى هؤلاء الناس اصحاب الوجوه الكالحة والنفوس الصخرية والافكار السقيمة والعقول العقيمة الساعين الى غير مصلحة البلاد » .

الثانى : كتب الى بنك الكريدى ليونيه بباريس خطبا طلب فيه ان يطلعه على حساب المنصرف من اموال الوفد شهرا شهرا فى الستة الاشهر الاخيرة ، وجورج دومانى هو الذى تولى تحرير صيغة الخطاب وحمله بنفسه الى البنك ، وسيعلم بذلك حتما محمد على علوية لان دومانى لا يستطيع كتمان سر كهذا .

### نظرة عامة على حالتنا الحاضرة :

اول يناير سنة ١٩٢١

هذا اول يوم فى العام الجديد ١٩٢١ فلا بد فيه من وقفة ألقى فيها نظرة عامة على حالتنا الحاضرة واسجل عناصرها واحاول التنبؤ بمصيرها ، هل هى تتقدم وتتحسن ، او هى سائرة فى طريق السوء والتأخر .

ان من طبيعة الحياة فى الانسان والحيوان والنبات التغير المستمر والتطور المطرد ، فصحتك اليوم احسن مما كانت عليه أمس او اكثر ذبولا . لان الصحة والحياة فى تحول دائم . وهذا النبات اكثر ازدهارا مما كان أمس او اكثر ذبولا ، والازدهار والذبول فى تحرك مستمر . التغير واقع لا محالة وقد يكون محسوسا ملموسا او غير محسوس او ملموس ولا تدركه الابصار . واما بقاء الحال اليوم كما كان بالأمس او فى الاسبوع الماضى . فذلك محال .

ولذلك قالوا (( دوام الحال من المحال )) لان التغير والتحول والتطور من قوانين الحياة وطبيعتها الاصلية .



وينطبق هذا تماما على حالتنا الحاضرة فهي سيئة وتزداد سوءا وحادة وتزداد حدة ، ومعقدة وتزداد تعقيدا ، حتى أصبحت أشعر أننا نعيش على خافة بركان ومن فوق رأسى سحب كقطع الليل ، وتحت أقدامى هزات زلزال خفيف .. وبعد قليل يبدأ انفجار البركان وثوراته .

وأهم ما أراه فى عناصر الحالة الحاضرة ما يأتى :

١ - روح الكراهية والخصومة والجفاء والقطيعة قد بلغت أقصى مداها فى نفس الزعيم ونفوس الاعضاء .

٢ - لم يجتمع الوفد مرة واحدة فى جلسة علنية أو سرية منذ أكثر من شهر .

٣ - انقسام الوفد أصبح على ما يظهر نهائيا وحاسما ولا رجعة فيه الا اذا حدث ما ليس فى الحسبان ، كان ينزل أحد الفريقين عن رأيه ، أو يعدل عن موقفه .. ولكن هيهات ..

٤ - انقسام الامة ازداد ظهورا وبروزا بسبب المعركة الجدلية الحامية الوطنية بين جريدة الاخبار السعدية وجريدة الافكار العدلية .

٥ - نشرت الجرائد الانجليزية اليوم انباء وردت اليها من مراسليها فى القاهرة بأن عددا غير قليل من الاميان وأعضاء الجمعية التشريعية والمحامين قد خرجوا على الوفد وأعلنوا مسخطهم على استمرار الازمتين الوطنية والسياسية فى مصر ، وعلى انقسام الوفد وركود نشاطه وعجزه عن العمل المفيد ، كما أعلنوا رغبتهم فى المفاوضات الرسمية لالانتهاء من القضية المصرية .

٦ - الخطابات المتبادلة بين سعد وملنر ومستربلنت وعدم اطلاع الاعضاء عليها الا بواسطة على ماهر لا عن طريق عقد جلسة للوفد .

كل ذلك أوغر صدور الاعضاء وزادهم غيظا وشعورا بأن الرئيس يستخف بهم .

٧ - سفر الدكتور حامد محمود الى لندن ثلاث مرات على حساب الوفد والقيام بنشاط سياسى فى إنجلترا بغير علم أعضاء الوفد

٨ - طلب الرئيس الف جنيه من أمين الصندوق للصرف منها على « بعض شئون الوفد » فلم ينفذ هذا الطلب .

٩ - طلب الرئيس من البنك أن يطلعه على حساب المنصرف من اموال الوفد شهراً شهراً في الستة الأشهر الأخيرة . عمل فيه اشعار بعدم ثقة الرئيس بأمين الصندوق .

١٠ - تصميم اغلبية أعضاء الوفد على العودة فوراً الى مصر وشعورهم بأن بقاءهم في باريس عبث في عبث وشر من العبث .

وبعد العشاء امس نزلت الى « كافيه فوكيه » فوجدت هناك محمد على علوبة والمكبائي وحمد الباسل ، وبعد قليل قال لي المكبائي في سخرية لاذعة : « ألا تفكر في العودة معنا الى مصر لاسيما انه قد اتضح الآن ان سعد باشا والدكتور حامد محمود فيهما الكفاية لتمثيل مصر والجهد في سبيل الاستقلال » .

فضحكنا جميعاً ، ولكنه ضحك كالبكاء .

ثم حاول المكبائي ان يجرني الى الكلام في السياسة فقلت له :

يا سيدي .. ألا تريد أن تنعم بجلسة هادئة ، وأن تريح أعصابنا ونحن على أبواب السنة الجديدة ، وما جدوى الكلام في السياسة والخلافات وهي حلقة مفرغة مدوخة ، ألا تريد أن نستريح ونشعر أن في الدنيا جمالاً وفيها ماهو خير من السياسة والمناقشات

ومن عجب ان كلماتي هذه كان لها وقع السحر في نفوسهم فوافقوا عليها بالإجماع وأخذ كل منهم يتحدث عن بعض تجساربه ومتعه في الحياة وكان حديثاً خفيفاً لطيفاً ممتعاً .

وعند الانصراف قال لي صاحبي محمد على علوبة : (( بعد يوم أو يومين سيتسلم سعد باشا خطاباً منا . وقد وجهنا اليه تهمة معينة محددة وسيجد صعوبة في الدفاع عن نفسه )) . فقلت : كان الله في عوننا جميعاً ، وبإلتيك ما أخبرتنى حتى أعود الى فراشي .

فقال : (( كن تقرير العيون دائماً واثق الفيلسوف والحياة كفاح ))

وافترقنا وانصرفنا بسلام ، وفي الحق اني لم أشعر بحزن أو قلق ولكنني شعرت ببعض الانقباض ، والعاقل من يقبل الدنيا كما هي لا أن يفعل لما يجب أن يكون ، واثق مدرك قانون الطبيعة الذي يقضي بالتقدم أو التأخر . التقدم من حسن الى أحسن أو التأخر من سيئ الى أسوأ . أما الثبات على حال فلا تعرفه الطبيعة ، فلا معنى للاسف والاسف لانعدام الثبات ، واستمرار التغير والتطور هذا هو الحق .

## الفصل الثالث

### خطاب خطير الى سعد :

١٣ من يناير سنة ١٩٢١

قبيل ظهر اليوم تسلم الرئيس خطابا شديدا للهجة واضح الخفاء امضاه مرسلوه وهم : عبد العزيز فهمي واحمد لطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتي وحمد الباسل .

وقد نسبوا فيه الى الرئيس امورا ابرزها غير الخطاب الذى ارسله الى ملنر ما يأتى :

الاول : انه استمر فى المدة الاخيرة السير على « سياسة انفرادية » وانه ممتنع عن استشارتهم فى أية مسألة ، وانه فى حالة اضراب تام عن التعاون معهم وعن المجيء الى مقر الوفد أو عقد أية جلسة للوفد منذ أكثر من شهر .

الثانى : انه ارسل الدكتور حامد محمود الى انجلترا ليقابل مستر بلنت ويقوم بنشاط سياسى لا طاقة له عليه . وقد تم ذلك بغير موافقتهم بل حتى بغير علمهم أو استشارة احد منهم ، وكان الواجب ان يرسل احد أعضاء الوفد لانه مسئول عن أعماله امام زملائه وامام الامة .

الثالث : ان الرئيس يتحمل وحده تبعة انقسام الامة على نفسها هذه الايام وذلك بتشجيعه بعض العناصر التى تعمل فى الخفاء وبمحاولاته المستمرة فى اظهار الوفد كانه منقسم على نفسه وليس الوفد منقسما بسبب مبدأ من المبادئ بل الاجماع منعقد بين الاعضاء على ضرورة قبول التحفظات كشرط أساسى لدخول الوفد فى المفاوضات الرسمية ، فاذا لم تقبل رفض الوفد

الدخول فيها أو حتى الاشتراك فيها ، هذا مبدأ مقرر ، وكانت ذلك كفيلا بالمحافظة على وحدة الوفد وعلى اتحاد الأمة ، ولكن الرئيس لا يطبق المعارضة لرأيه ، وهذا لا يتفق مع المبادئ الديمقراطية .

**الرابع :** ليس لرئيس الوفد وحده أن يرسم سياسة الوفد ويحددها وينفذها بنفسه، وإنما يجب أن يكون ذلك كله بالمشاركة بينه وبين الأعضاء ، وأن تتخذ القرارات بالأغلبية المطلقة . ذلك هو قانون الوفد والعمل طبق لأئحته الداخلية. ولكن الرئيس جرى في المدة الأخيرة على سياسة انفرادية. فخالف بذلك مبدأ الشورى .

**الخامس :** أن الحالة أصبحت لا تطاق وإذا كان الرئيس لا يحدد موعد جلسة قريبة لانعقاد الوفد لكي يتبادل الرأي في الظروف الحاضرة التي تكتنف البلاد ، ولكي يتشاور الجميع فيما يجب عمله لتفادي انقسام الأمة وبلبله أفكارها وتدهور الموقف السياسي وسير الأمور العامة من سيء إلى أسوأ . فان أغلبية أعضاء الوفد ستري نفسها مضطرة إلى العودة إلى مصر ..

وبهذا ينتهي الوفد كهيئة شعبية عاملة ممثلة للبلاد . هذا الخطاب يحمل في معناه ومبناه ومرماه كل معالم الانذار ومظاهره وتهديداته ، فكيف يكون وقعه وأثره ؟ ذلك مما سأعلمه مساء هذا اليوم نفسه ..

كان عند الرئيس وقت وصول الخطاب على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا فتلاه عليهم الرئيس ، وكانت مظاهر التأثر والغضب بادية عليه ، واستمر اجتماعهم ساعة كاملة ثم انصرفوا للغداء ولبعض الشؤون على أن يجتمعوا مرة ثانية في الساعة الخامسة مساء .

ودعاني بعد انصرافهم فوجدته في أشد حالات الغضب والانفعال ، فدفعت إلى بالخطاب لأطلع عليه ، فقرأته ووعيت معانيه .

### مشروع رد أعمه الرئيس وعدل عنه !

وبدأ الرئيس يملأ على مشروع الرد الذي يريده وهو لا يخرج عن النقاط الآتية :

١ - أنه مستعد أن يتحمل مسؤولية ما فعل وما يفعل في الحاضر والمستقبل .

٢ - أن خطابه الى ملنر لم يكن في حاجة الى الاستشارة في امره لانه لم يكن في الحقيقة واقع الامر الا تنفيذا لقرارات سابقة للوفد .

٣ - انه لم يطلب عقد جلسة للوفد ولم يذهب الى مقر الوفد لعدم الحاجة الى ذلك ولان الوفد سبق أن قرر السياسة التي يجرى عليها الان .

٤ - وانه لولا أن ضحى بالكثير مما يعتز به ووطد العزم على تحمل أكثر من ذلك لتأثر بالجفاء البادى في عبارة الخطاب والاسلوب غير العادى من فاتحته الى خاتمته .

٥ - واذا كانوا يريدون اجتماعا فليكن ذلك غدا في الساعة العاشرة صباحا .

هذه خلاصة وافية لمشروع الرد .

ولكن الرئيس ما كاد يفرغ من املائى آخر كلمة فيه حتى عاوده الغضب والهياج وقال : (( هات ما كتبت .. ثم مرقه .. واستطرد قائلا : أنا لا اكتب ردا اليهم ، أن هذه اللهجة منهم لا اقبلها بحال من الاحوال فلست موظفا عندهم ولا مستثلا امامهم ولا أرد على من يتهمج على )) ثم طلب الى الانصراف للعداء والعودة بعد الظهر كالمعتاد . فانصرفت .. ولم أنبس ببنت شفة ، وأدركت مبلغ الاسى والفيظ والغضب والكمد الذى يعصف بنفسه العصبية وبعد هذا الانذار من أغلبية أعضاء الوفد .

كل هذا كان منتظرا .. توقعته وانتظرته .. فلما وقع لم ادهش له كثيرا .

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا

فلما دهتنى لم تزدنى بها علما .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر حضر على ماهر وواصفغالى وسينوت حنا وكان الرئيس في مكتبه ينتظر مقدمهم .

وكان مكبا على الكتابة بخط يده كأنما كان يعد مشروع رد آخر . والرئيس لا يكتب بيده كثيرا الا اذا أراد أن يحدد بعض النقاط التى يريد أن يتناولها في الحديث أو يريد املاء موضوعها على فيما بعد .

واستمرت هذه الجلسة الرباعية ثلاث ساعات متتاليات علمت في ختامها أن الرئيس وافق على عقد جلسة للوفد في الساعة العاشرة في صبيحة ٥ يناير في مقر الوفد ( أى بعد غد ) .

ونخرج على ماهر مسرعا ليلبغ أعضاء الاغلبية نبا موعد الجلسة وانفراج الازمة ولكن .. هل انفرجت الازمة ؟ .. لا اظن . . .

### اشتد ازمة تنفرجي !

٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

(( اشتدى ازمة تنفرجى )) كذا يقول العرب .

وقد بلغت الازمة اقصى شدتها بالندار الاغلبية ، فبدات يوادى الانفراج وكان لابد من قارعة تهر النفوس الى أعماقها فكان الانذار هو القارعة ، ووجد سعد نفسه أمام تهديد (( بانتهاء الوفد كهيئة عاملة ممثلة للبلاد )) انها لمصيبة ، انها لكبة ، انها لمسئولية خطيرة غاية الخطورة !! من ذا الذى يجرو على تحملها والتعرض لنتائجها وعاقبتها ؟ لقد جفل منها الرئيس سعد فيما اعتقد واضطرب لها أشد الاضطراب وأشعر أنه كان حكيما عندما قرر دعوة الوفد الى الاجتماع في شكل جلسة كسابق العهد . وان تكون الجلسة بعد مرور يوم كامل من ورود الانذار . لا في اليوم التالى مباشرة للانذار وذلك حتى تهدأ النفوس قليلا ويتاح لهسا بعض الوقت للتفكير فيما ينبغى أن يقال ومالا ينبغى أن يقال ، عسى أن يدخل على الازمة الحالية الحادة بعض التخفيف والتحسين ، فننتقل من سيء الى حسن ، بدل أن تنتقل من سيء الى اسوأ .

ولهذا أرى وأشعر أن هذا الانذار قد أدى أهم اغراضه وهو قرب اجتماع الوفد في شكل جلسة قد تعقبها جلسات بعد القطعية والجفاء والخصومة الشديدة الماراة والاضراب الكامل .

وفي الساعة العاشرة صباحا حضر واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا واجتمعوا بالرئيس وتناقشوا وتداولوا في موضوع خطاب الاغلبية وكيف ينبغى أن يكون الرد عليه .

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر انصرفوا جميعا وانصرفوا للغداء .



**الثالث :** الاهتمام برسم الخطط العملية للتغلب على العقبات  
او يرى فيها الخير كل الخير .

**الرابع :** تقدير العواقب والنتائج مقدما حتى لا يفاجأ الانسان  
بنتيجة لم تكن في الحسبان .

**الخامس :** الاقدام بشجاعة على تنفيذ ما استقر عليه الراى  
والثابرة فى العمل للحصول على احسن نتيجة ممكنة .

فقال الرئيس : « الشرط الاول غير معقول كيف لا يكون  
التفكير سليما اذا كان الانسان متحمسا لفكرة غزيرة او مفيدة  
او يرى فيها الخير كل الخير . »

فقلت : المؤلف يقول ان المتحمس لرغبة شديدة او المحموم  
بعاطفة جارفة ثائرة ينصرف حتما الى خدمة هذه الرغبة وهذه  
العاطفة ، ويسعى حثيثا لتحقيق اهدافه منهما ولا يبالي  
حينذاك بالامر الواقع ولا بالعقبات ولا بالعواقب والنتائج ،  
والتفكير السليم يستلزم التوفيق بين الرغبة والعاطفة من جهة  
وهذا الامر الواقع من جهة اخرى ، وهذا عسير او مستحيل  
لان الحالة النفسية المنفعلة المضطربة لا تقبل المساومة مهما  
تبلغ استحالة تنفيذ الرغبة وتحقيق العاطفة .

فقال الرئيس : « لا .. يفتح الله . هذا كلام غير معقول ، فى  
الحياة امور لا تقبل المساومة » .

فقلت : « يظهر يا سيدى انى أسأت التعبير او أسأت  
التلخيص » .

الرئيس : كلا . انت احسنت التعبير واحسنت التلخيص ،  
ولكن الفكرة لا تعجبني فى عمومها ، والآن حدثنى عن مفسدات  
التفكير كما قرأتها ..

فقلت : التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف  
الهادئة والهدوء شرط أساسى ، أما التفكير العقيم فهو تفكير  
الهوى - كما سماه المؤلف - ومظاهره التى تدل عليه كثيرة أخص  
بالذكر منها ما يأتى :

١ - أن يقرن التفكير باضطراب النفس نتيجة عاطفة  
جامحة جارفة ثائرة .







### سعد زغلول مع أعضاء الوفد في باريس

سعد زغلول وعلى يساره محمد علي طلوبة وحمد الياسل وسينوت حنسا . .  
والواقفون : مصطفى النحاس وحافظ مغيثي ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتي  
وأحمد الطفي السيد وجورج خياط . . وفي الصورة من أعلى : واصف غالى  
وويصا واصف .

الرئيس وأنا أشد ما أكون شوقا الى رؤية الزعيم . وأشد  
ما أكون رهبة منه ، رهبة في شعوره نحوى بعد حديثي معه  
أمس ، ثم شوقا لمعرفة حالته الصحية والنفسية قبل أن ينتقل  
الى مقر الوفد ليرأس أول جلسة للوفد بعد خطاب الاغلبية  
وانذارها الخطير .

وفي الساعة التاسعة ظهر الرئيس رآنى ونادانى : وقال لى  
— بعد ان سألته عن صحته وكيف نام الليلة الماضية :  
« لقد نمت جيدا . . نمت ثلاث ساعات متتاليات ، وأنا اليوم  
في صحة طيبة » . ثم استطرد فقال : « هل تعرف أن جملة  
واحدة من كلامك أمس أثرت في نفسى تأثيرا طيبا وهى :  
« ان التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف الهادئة »

ولذلك أنا اليوم هادئ العقل والعواطف معا وسأستمر كذلك  
وسننظر ماذا يكون « فابتهجت وانتعشت ، وقلت : « أذن أنت  
منتصر عليهم جميعا . لا محالة ولو كان بعضهم لبعض نصيرا  
وظهيراً » .

فقال الرئيس : « لقد ربت في ذهني ما أقوله وما لا أقوله ،  
وأنا منتصر بأذن الله لأنى على حق ، ولأن الله قد عودنى على أن  
ينصرنى على الدوام » .

فقلت : « الحمد لله . هل تحب يا سيدي أن انتظر  
هنا حتى انتقل معك الى مقر الوفد ، أم اذهب الآن لارى  
اعضاء الوفد وارى حالتهم النفسية قبل الجلسة حتى اسجلها  
في مذكراتي ؟

فقال : « يمكنك أن تذهب الآن الى مقر الوفد فان على ماهر  
قادم لمرافقتي » .

فقلت : « حفظك الله ورعاك » ، وخرجت .

وقبيل الساعة العاشرة بعشرين دقيقة كنت في مكتبي في  
مقر الوفد ، وبعد دقائق بدأ الاعضاء يفدون ويتسلسلون ، حضر  
على التوالي :

حمد الباسل ومحمد على علوبة والمكباني ولطفى السيد وعبد  
العزيز فهمي ثم محمد محمود ، وكانوا جميعا متلهلين باسمين  
الالطفى السيد وعبد العزيز فهمي فكانا واجمين . وفي الساعة  
العاشرة الا دقيقتين حضر الرئيس سعد ومعه على ماهر وواصف  
غالى وسينوت حنا . وبدأ السلام باليد والسؤال عن الصحة في  
هدوء ووقار ، وكانوا جميعا آية في اللطف والمجاملة وفي حسن  
المعاملة .

ثم بدت الجلسة التاريخية المنشودة ، بدأت في جو رهيب  
مرهوب ، فيه ثوب وتحفز .

من ذا الذى يستطيع أن يبدأ بالاساءة أو الاستفزاز في جو  
كهذا الجو ؟

وما جدوى الاساءة والاستفزاز على كل حال ، ولا سيما  
في هذه الحال ؟

لقد شعر الجميع بأن ما وقع من اساءات واستفزازات حتى الآن كثير جدا وفوق ما يحتمل فلا مزيد بعد ذلك لمستريد ، هكذا كان الشعور العام .

فليس بعجيب بعد ذلك أن تبدأ الجلسة وتستمر وتنتهى في غير اساءة أو محاولة اساءة ، وفي غير استفزاز أو محاولة استفزاز . فكانت جلسة مثالية من أولها الى آخرها . . قرابة ثلاث ساعات ولم يعقد الوفد جلسة مثلها في سابق الزمان ولا في أى مكان . .

أما خلاصة ما حدث وجرى في هذه الجلسة فهو ما يعينى الآن بيانه وتسجيله في شيء من التفصيل الذى يكشف المعالم وطبيعة الحوار وأطراف الصراع :

قال الرئيس سعد :

(( اننا مجتمعون اليوم بناء على خطاب ورد الى بامضاء ستة من حضرات الاعضاء رغبوا في عقد هذه الجلسة . وكان من الممكن عقد هذه الجلسة أو أى جلسة في أى وقت اذا رغب في ذلك أى عضو في الوفد، ولكن شاء حضرات الاعضاء الستة أن يتقدموا بذلك مجتمعين ومتضامنين متصافرين ، وخطابهم يمكن تقسيمه الى قسمين :

القسم الاول : اسلوبه ولقته وفيهما شيء غير قليل من العنف أو عدم المجاملة ، ولكنى أتجاوز عن ذلك لأن الكلام والعتاب لا يجديان في مثل هذه الظروف والايام ، ومادامت لغة الانسان واسلوبه هما مرآة لحالته النفسية فهم اذن معذورون ، ولا تكلم فيما هو أجدى وانفع .

القسم الثانى : موضوع الخطاب نفسه وهو عبارة عن خمس تهم تفضلوا بتوجيهها الى شخصى . وهذا ما لا أتجاوز عنه بحال من الاحوال وما أريد مناقشته في الحال .

التهمة الاولى : هى انى اسير على سياسة انفرادية في المدة الاخيرة . فما هى هذه السياسة الانفرادية التى تشيرون اليها وتشكون منها ؟ انى أرجو أن يتولى أحدكم الاجابة والتبيان . .

عبد العزيز فهمى :

لعل حضرة الرئيس يذكر أن آخر جلسة عقدها الوفد كانت في ٢٣ نوفمبر من العام الماضى ونحن الآن في ٥ يناير في العام

الحالى اى اننا لم نجتمع فى جلسة للوفد حوالى الشهر والنصف . . وكان الاعضاء خلال هذه المدة الطويلة يسرون فى الشوارع أو يطالعون الكتب والجرائد أو يتسكعون فى المقاهى عاطلين مضيعين لا عمل لهم ولا صنعة ، وكثيرا ما كنا نتساءل لماذا نحن هنا الآن فى باريس بلا عمل ولا أمل ؟ ولماذا نستمر نعيش فى ملل وفى ألم ؟ هذا وكان الرئيس من ناحيته يعيش فى واد آخر قد وضع لنفسه سياسة جديدة ونفذها : وهى اهماله للوفد وأعضائه واضرابه عن عقد الجلسات وامتناعه عن زيارة مقر الوفد . ثم انفرده بالعمل المستقل هنا . يكتب الى ملر و ملر يكتب اليه ويتراسل مع مستر بلنت . ثم يرسل الدكتور حامد محمود طبيبه الخاص لمقابلته مستر بلنت والقيام بنشاط سياسى فى إنجلترا لا نعرف نيته ومعناه ولا نعرف كنهه ولا نعرف مداه ، فهل هذه الحالة يمكن الاستمرار عليها ؟ وهل هذا يليق بنا ؟ اليس فيه المساس بكرامتنا ومصلحة البلاد أن ينحى المسؤولون عن العمل ويكلف بالعمل غير المسؤولين . . كالدكتور حامد محمود ؟

لهذا قلنا فى خطابنا أن هذه حالة لا تطاق وأن الرئيس اذا لم يحدد جلسة لاجتماع الوفد فاننا عائدون لا محالة الى مصر ، ولينته الوفد شكلا كما انتهى فعلا .

الرئيس سعد :

ان حضرة الاستاذ لم يقتصر على الكلام فى التهمة الاولى بل تناول كل التهم دفعة واحدة واعاد على مسعنا نص ما ورد فى الخطاب المرسل الى ، وكأنه كان يقرأه علينا مرة ثانية ، ومع ذلك فقد فهمت الان قصده من عبارة ( السياسة الانفرادية ) ، ويخيل الى أن هناك امورا مازالت خافية عليه او اعلمه لم يعرفها شيئا من عنايته وتقديره .

فى طبيعة هذه الامور التى هى فى حكم الحقائق الثابتة : طبيعة موقفنا هذه الايام من لجنة ملر ومن التقرير الذى تزمع تقديمه قريبا جدا الى الحكومة الانجليزية ، فنحن بحكم الظروف القاهرة مضطرون الى الانتظار ، والوفد لا يرى مناصا ولا فكاكا من هذا الانتظار حتى يصدر هذا التقرير ونطلع على ما فيه ونعرف مرامييه ، هذه هى الحقيقة المرة التى لا يجوز نسيانها

أو التهوين من شأنها ، ولا بد من النزول على حكمها طائعين  
أو كارهين .

انظروا ماذا يحدث لو أن الوفد أهملها وأغفلها ولم يقيم لها  
وزنا ولم يعتبر لها وجودا ؟

لو أن الوفد أظهر نشاطا في محاربة الانجليز بكل ما لديه  
من وسائل الدعاية ، لقليل لنا أننا أضعنا بذلك ما كسبناه في  
المفاوضات وأفسدنا ما أصلحناه وأن النتائج كانت أصلح وأحسن  
وأفيد لمصر أولا أن الوفد قد تسرع في اظهار العداء وإعلانه ،  
والتشنيع على تصرفات الانجليز في مصر .

أو لو أن الوفد عمل العكس وأظهر نشاطا في خفاق جو ودى  
في مصر لمصلحة التفاهم المشترك بين مصر وانجلترا ، والنمهيذ  
للمفاوضات الرسمية قبل صدور التقرير ثم صدر التقرير بعد  
ذلك وفيه من الاساءات لمصر ، ومن القيود والاغلال التي تتعارض  
مع الاستقلال ، لقليل لنا أننا تسرعنا في التفاؤل بغير حق أو مسوغ  
وهدمنا روح الكفاح في الشعب بسبب الحماقة وقصر النظر  
والتهور في حسن النية إزاء الانجليز تهورا يصل الى حدود  
السذاجة والبلاهة .

فنحن على الحالين عرضة لاهلانة ، فليس أمامنا والجمالة  
هذه الا طريق واحد نسلكه ولا ثاني له وهو التريث والانتظار  
حتى يصدر ذلك التقرير وينكشف المستور ويظهر النور ، وإذا  
كان أعضاء الوفد في هذه الفترة يسبرون في الشوارع ويتسكعون  
في المقاهي كما يقول الاستاذ عبد العزيز فهمى بك ، فانا كذلك  
أسير في الشقة التي أسكنها وأنسكع بين المقاعد والكتب والجرائد  
.. ( وهنا ضحك الاعضاء جميعا وسرت في الجلسة روح خفيفة  
منعشة صفا بها جو الجلسة بعد كدر واسترخت بها الاعصاب  
بعد توتر ) .

سكت الزعيم سعد قليلا كمن يسترجع انفاسه أو يستجمع  
أفكاره ثم قال : اذا كانت فترة التريث والانتظار هذه قد  
جاوزت الشهر فما في ذلك حيلة لى أو لكم، وما دمنا قد احتملنا  
الكثير فلا بد من أن نحتمل القليل الباقي منها .

وفترة التريث والانتظار من طبيعتها الركود والجمود  
وقد جاءت في فصل الشتاء والثلوج فاضيف الى طبيعتها

الانكماش والرفود : ركود العمل ورقوده ، لهذا لم أر داعيا لعقد جلسة للوفد ، اذن ليس امامنا عمل ولا موضوع للبحث أو المناقشة فيه . ولم يرجع عدم عقد جلسة الى سياسة انفرادية وضعتها لنفسى كما تقولون ، فاذا كان احد حضراتكم قد رأى داعيا لعقد جلسة ، فلماذا لم يقترح على ذلك حتى اذا رفضت اقتراحه كنت اذن الملولم اما الآن فلا لوم ولا عتاب .

ومع ذلك فقد زعم بعضكم انى انتهزت هذه الفرصة فجريت على سياسة انفرادية واهملت شأنكم واستشهدوا على ذلك بالادلة الآتية :

ان مستر بلنت ارسل الى خطابها وطلب ان ارسل اليه رسولا .

ارسلت اليه الدكتور حامد محمود ولم ارسل عضوا مسئولا من أعضاء الوفد .

والآن فلننظر فى هذه الادلة ثم ننظر اليها فى مجموعها . .

اما خطابى الى ملتر فكان خطاب مجاملة وتهنئة بعيد الميلاد حتى يشعر ان جو الود وحسن التفاهم الذى يرجو ان يخلفه فى مصر موجود على الاقل فى نفوسنا . فيعدل عن بعض عنته وينزل عن بعض تشبثه فى معارضة الامة وتحفظاتها ، ثم انى انتهزت تلك الفرصة فلفت نظره الى مئات البرقيات الواردة الى واليه فى مصر احتجاجا على بقاء الحماية وذكرها الاليمة ، وجاء رد ملتر الى وارسلته اليكم مع الاستاذ على ماهر لتطلعوا عليه .

هل لاحد منكم اعتراض على كلمة واحدة جاءت فى رد ملتر بسبب مكابتنى اليه ؟

انى ارى على العكس ان رد ملتر لم يأت بجديد سوى ما اظهره من روح المسالة وفتح باب الامل .

اما مستر بلنت فهو صديق قديم لى اعرفه واعرف فضله واخلاصه من زمان طويل ، ارسل الى خطابا رقيقا فاطلعتكم عليه بواسطة الاستاذ على ماهر فلم اخف عنكم شيئا ، ثم ارسلت اليه الدكتور حامد وهو يجيد الانجليزية ولم ارسل اليه عضوا مسئولا فى الوفد لان سفر اى عضو فى الوفد الى انجلترا امر

يلفت الانتظار وتنتقل به الاخبار الى مصر وتحوم حوله الظنون والاهام .

وماذا عسى أن يفعله الرسول أكثر من أن يحمل الى خطابا خاصا من ملتر ويسمع حديثا ثم ينقله الى ؟ وساطلكم بطبيعة الحال على كل ذلك عندما يعود الرسول .

(( هذه هي أدلتكم على ( سياستي الانفرادية ) وما هي الا مجموعة من التصرفات التي تعتبر تنفيذا للسياسة العامة للوفد

ثم ماذا بعد كل هذا ؟

تقولون أن مظاهر هذه السياسة الانفرادية اني ممتنع عن استشارتكم في أية مسألة ، وأنا لم أجد مسألة واحدة تستحق أن استشيركم فيها طوال هذه المدة ، وقلتم اني في حالة اضراب عن الذهاب الى مقر الوفد طوال هذه الفترة .

فهل الذهاب ، مجرد الذهاب ، غاية يجب أن احرص على رعايتها ؟ هل نسيتم اني أعيش في سجن من الشيوخ والأمراض ولا أقوى على برد الشتاء هنا في باريس ، وأية ذلك اني لم أخرج من مسكني مرة واحدة طوال هذه المدة ، انكم بتأويلكم أسوأ تأويل كل حركاتي وسكناتي وكل لفتاتي وتصرفاتي ، لتشتون أن الثقة والتعاطف وحسن النية قد ضعفت كلها وهزلت الى درجة تستحق الرثاء ، اليس كذلك )) .

محمد علي علوبة :

انك يا سيدى الرئيس أرسلت الى البنك تسأله من وراء ظهري أن يطلعك على حساب المنصرف من أموال الوفد شهرا بشهر خلال الشهور الستة الأخيرة ، ولم تتفضل بسؤالى أنا . فما معنى ذلك ؟ وما الدامى اليه ؟ اليس في ذلك معنى عدم الثقة بى كأمين للصندوق ؟

سعد :

انكم تهددونى بالعودة الى مصر ، وأنا مصمم على استمرار الجهاد هنا فاردت أن أعرف متوسط ما يتكلفه الوفد شهريا من المصروفات حتى أرتب شئون الإقامة وظروف العمل ومصاريف الجهاد .



محمد على علوبة :

ولماذا لم تطلبني لمقابلتك أو تسألني لاعطيك فكرة عن ذلك كله ؟

سعد :

لقد طلبت منك ألف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت

محمد على علوبة :

أنا لم أرفض بل طلبت معرفة ( شئون الوفد هذه ) حتى أعرضها على اخواني أعضاء الوفد ، ونتخذ قرارا بذلك في الوفد .. فرفضت أنت طلبى وامتنعت عن تنويرى وعدلت عن طلب الالف جنيه ، فلماذا ؟

الرئيس :

لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية للمستمر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والإقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى إنجلترا ، واعتبرت طلبك تشككا في بواعثى وفي ذمتى فعدلت ، وانك لتعلم - أو يجب أن تعلم - أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة من الجماعات يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال للتصرف فيه لخبر الجماعة وصالح العمل ، ومكافأة كل من يؤدي خدمة جليلة للغاية المشتركة . وما أردت أن أناقش أو أعاتب ، لان المناقشة والعتاب لا يكونان الا عند توافر الثقة بين الطرفين وعند الرغبة المشتركة في استمرار العمل والتعاون .

ثم استنرد الرئيس فقال : والآن بقيت تهمة وحيدة خطيرة جدا ، وهى اتهامى بأن تبعة انقسام الامة تقع على كاهلى وحدى .. وهنا قاطعه الاستاذ على ماهر وقال :

(( يا سيدى الرئيس : لقد تكلمت طويلا والقيت النور على كثير من النواحي والمسائل ، وأنا واثق ان الجو قد تحسن كثيرا بعد بياناتك وتفسيراتك )) .

فهل لى أن أرجو تأجيل الجلسة الى موعد آخر لا سيما ان الساعة قد قاربت على الواحدة بعد الظهر ؟

فسكت الرئيس ، ووافق الاعضاء جميعا على اقتراح التأجيل  
ماعدا عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فقد سكتا .

**حمد الباسل :**

ما الموعد الذى يناسب سيادة الرئيس للجلسة القادمة ؟

**الرئيس :**

كما تشاءون ، وكل موعد يناسبنى ، وليكن غدا اذا شئتم .

**على ماهر :**

اننا نريد ان نعالج مشكلة انقسام الامة وهذا موضوع دقيق  
وشائك وخطر ومعقد ويحتاج الى التفكير الطويل ، فهل لى ان اقترح  
ان يكون التأجيل لمدة اسبوع ، بل اقترح ان نجتمع مرة كل اسبوع  
لتبادل الآراء الى ان يصدر تقرير ملئ ؟

فسكت الرئيس وسكت عبد العزيز فهمى ولطفى السيد .

وتكلم الآخرون بما لا يخرج عن الموافقة على الاقتراح

فتقرر ان تكون الجلسة القادمة يوم ١٢ من يناير سنة ١٩٦١ فى  
الساعة العاشرة والنصف صباحا فى مقر الوفد .

**انتقال الاعضاء الى مسكن الرئيس لتجنيته**

**٦ من يناير سنة ١٩٦١**

صحوت اليوم فوجدت الصباح جميلا رائعا والشمس ساطعة  
ولست أدري لماذا جعل العرب الشمس مؤنثة ، والقمر مذكرا ،  
بينما الانجليز والفرنسيون والغربيون جميعا جعلوا الشمس مذكرا  
والقمر مؤنثا ، ما هى قاعدة التذكير والتانيث ، وما علاقتها  
حالة كهذه ؟ لست أدري ، ولا اظن احدا يدري ، وانما الذى ادريه  
واشعر به شعورا عميقا هو فرحتى برؤية الشمس هذا الصباح  
وهذا النهار كله بعد ان ظلت شهرا كاملا غائبة مستورة وراء السحب  
الكثيفة السوداء التى لم ار من آثارها الا هطول الامطار حينئذ  
ونزول الثلوج حينئذ اخرى ، ثم انقباض يساور النفس التى اعتادت  
رؤية الشمس طوال ايام العام كله مثلنا فى مصر .

ما أجمل الشتاء فى مصر ، بل ما أجمل كل شىء فى مصر ، أرضها

وسماءها وماءها وهواءها ، صيفها وشتاءها ، نباتها وحياتها ، حياتها الهائلة الرتيبة الوديعة العجيبة . . ها دق جرس الباب ودخلت الخادمة الباريسية تحمل الى طعام الافطار فقطعت على حلم اليقظة وهذا الحنين الدافئ الى مصر وكل ما في مصر وانتهت حلمى وحنينى بجملته واحدة : ان مصر جنة الله في أرضه لولا الاحتلال وويلات الاحتلال .

وفي الساعة الثامنة والنصف تماما كنت في مكتبي بمقر الوفد اتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة مسى ان أجد فيها شيئا عن مصر اترجمه الى العربية للرئيس ، فلم أجد شيئا لا مقالة ولا خبرا .

وحوالى الساعة العاشرة توافد الاعضاء على غير انتظار منى : حمد الباسل ومحمد على علوبة وعلى ماهر وسينوت حنا وواصف غالى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود والمكبائى .

فسألتهم : انعقدون جلسة هذا الصباح ؟  
فقال حمد الباسل : جلسة غير رسمية .

فسألت : وما الفرق بين الجلسة الرسمية وغير الرسمية ؟  
حمد باشا الباسل : الجلسة غير الرسمية ، جلسة لا يحضرها الرئيس .  
فقلت : لا تؤاخذنى انى غيبى

فقال حمد الباسل (ضاحكا) : بل انت تتغابى وقد وصفك الشاعر العربى بقوله :

ليس الغيبى بسيد فى قومه ولكن سيد قومه المتغابى

فقلت له ياسيدى : ان بديهتك الحاضرة لا يعادلها الا سماحتك وكرم اخلاقك ولا يزيد على كل ذلك الا عجزى عن شكرك .

وسمع بعض الاعضاء هذه المحاوره واشتركوا فيها باسمين منشرحين ثم انتقلوا من مكتبي الى قاعة الجلسة بعد ان اخبرنى صديقى محمد على علوبة انهم يريدون ان يتداولوا فى مسألة « انقسام الامة » وطريقة علاجه .

فسألته : ما رايك فى جلسة الامس وفى بيانات الرئيس ؟

فاجاب : سعد باشا كان متجليا وكان هادئا ليتنه يستمر على

ذلك وقد تحسن الجو تحسينا كبيرا وزال سوء التفاهم ، وسننتقل بعد انتهاء الجلسة لزيارته في مسكنه لتحيته فقد عادت المياه الى مجاريها .

فقلت : أنا ذاهب الان لمقابلة الرئيس ، هل أبلغه كلامك ، فقال : افعل ما تشاء

فقلت : أحب أن أنقل الاخبار السارة التي تزيد الجو تحسنا ، وتزيد النفوس انتعاشا .

ثم تبادلنا البسمات والتحيات وانصرفت ولكن الى لقاء قريب جدا .

وفي الساعة العاشرة والنصف كنت مع الرئيس واخبرته بكل ما رايت وسمعت وأظهرت اغتباطي بتوقيفه أمس في ازالة كل اسباب سوء التفاهم .

فقال : أجل كنت موفقا ثم هن رأسه مفكرا مهتما وقال : ولكن كل شيء الى حين ، ان المسألة ليست مسألة سوء تفاهم يمكن أن يزول ، وانما المسألة ادهى من ذلك وأمر . ولا يمكن أن تزول بالشرح والبيان ، هي مسألة عدم ثقة وأهداف مختلفة وخطوط متباينة وبواعت لا سبيل الى التوفيق بينها ، ان الامر لا يستطاع اصلاحه .

فقلت : انهم سيحضرون بعد قليل لزيارتك وتحيتك ولاشعارك بان ما كان هناك من جفاء قد زال وان المياه قد عادت الى مجاريها ، ألا تريد أن تقابلهم في منتصف الطريق كما يقول الانجليز في مثل هذه المواقف ؟

فقال الزعيم : (( أجل لابد من ذلك لا سيما وهم في بيتي فلهم على حق المجاملة والملاطفة ، على أن كرم الضيافة شيء وصالح الحال بعودة المياه الى مجاريها شيء آخر ، اني أشعر بانهم يريدون مهادنتي ولكنهم ياتمرون بي ويتربصون ، وانهم يطلبون مسالمتي وتهددتني قبل عودتهم الى مصر . وانهم لعائدون الى مصر عاجلا أو آجلا ، فهم يفعلون ما فعل عدائي قبل عودته ، فقد زارني وسألني حتى يضمن من المصريين حسن الاستقبال له وقد نجح في ذلك نجاحا ملحوظا ، وهم يريدون مثل ما أراد لكي يصلوا الى مثل ما وصل من حسن استقبال المصريين لهم عند عودتهم ، ولكني لا اتعجل الامور ولن اشعرهم بحقيقة افكارى ولا بحقيقة مشاعرى ، والكتمان اخرى

بى وأوجب ، ولا سيما فى مثل هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيها » .

**فقلت : ما أحكمك ياسيدى وما أبعد نظرك .**

وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا حضر على ماهر واختلى بالرئيس دقائق معدودات ثم حضر الأعضاء جميعا : عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على ملوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، حتى عبد اللطيف المكباتى ، وظلوا مجتمعين ساعة كاملة ، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر خرجوا وانصرفوا باسمين وفى غبطة ظاهرة .

وسأت الاستاذ على ملوبة عن خلاصة رايه فى هذا الاجتماع فقال : « كانت جلسة طريفه خلت من السياسة وكثرت فيها الملح والنكات والنوادر والشعر » .

وسألت الرئيس سعد عن رايه فقال : « جاءوا لتحييتى والسؤال عن صحتى ، وكانوا جميعا فى غاية اللطف ، وكان اظرفهم حميد الباسل بحكاياته الممتعة واسلوبه الطريف الطريف » .

### عودة الدكتور حامد محمود من انجلترا

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل الدكتور حامد محمود عائدا من انجلترا واختلى بالرئيس سعد ساعة كاملة . ولما خرج مر بى فى مكتبى للتحية فقلت له وعلى وجهى ابتسامة مأكرة : « أرجو أن تكون قد وفقت فى استعادة عفشك المحجوز عليه بسبب امتناعك عن دفع ضريبة الدخلى !! » فضحك واستغرق فى الضحك وقال : « تم كل شىء على مايرام » . وانصرف بعد أن توأمدنا على اللقاء بعد العشاء فى « كافية فوكيه » .

### شخصية الدكتور حامد محمود وأعماله فى الميزان

سديقى الدكتور حامد محمود شخصية عجيبة فريدة لا أعرف لها مثيلا فى جميع المصريين الذين اختلطت بهم فى مصر أو فى الخارج حتى الآن . . فقد عاش فى انجلترا أكثر من نصف عمره وهو الآن فى الثامنة والثلاثين وعاش منها فى انجلترا عشرين سنة بعد أن تخرج فى جامعة أدنبرة فى اسكتلنده وحصل على إجازته فى الجراحة وقد تطوع فى خدمة الجيش الانجليزى « جراحا » فى الحرب العالمية الاولى وتوطدت له صلات بكثيرين من الانجليز ، ولم يحصل على

شهادة مصرية عالية ولا يكاد يعرف اللغة العربية . ويجيد الانجليزية كلما اكثر مما يجيدها كتابة ، ومن نوادره الطريفة اننا خرجنا مرة للنزهة في غابة بولونيا مع الرئيس سعد واذا به يصرخ في دهشة لفتت نظر الرئيس ونظري قائلا : يا باشا (( هذا ابو اوى )) فضحك الرئيس واستغرق في الضحك وقال « ام اوى يا دكتور » فقال حامد « ولماذا يقولون اذن « ابو كاتو » واستمر الرئيس في ضحكه وقال : افوكاتوا ، اتريد تغييرها الى ام كاتو على هذا القياس . واستمر هذا الخلط فترة غير قليلة وسعد يضحك من هذه الخفة والسداجة اللطيفة .

وفي حامد ، مكر ودهاء ، ولكن مكره يبدو في سداجة عجيبة ودهاؤه يظهر في شكل « عبط » ، وهو يجد لهذه فريدة في الظهور بمظهر العبيط او الساذج ويرى في ذلك منتهى المكر والدهاء والخداع وحمل الناس على الاطمئنان اليه . وعدم الشك فيه او التخوف منه . وبعد ان يجردهم من أسلحة الحذر والتحفظ معه يعرف منهم ما يريد ان يعرف ، ولا يعطيهم ما يتوقون الى معرفته منه ، فهو الكاسب دائما وهم الخاسرون . هكذا يظن وعلى هذا النمط يعيش ويعامل الناس ، هذا فضلا عن انه يجمع مع هذا المكر والدهاء طبعاً يميل الى الساءة الظن بالناس وهو قلما يثق بالناس ، والرأى عندي ان الدكتور حامد محمود قد اكتسب من حياته بين الانجليز ومعاشرته الطويلة لهم بعض الصفات والمزايا النفسية ، اخص بالذكر من هذه وتلك ما يأتي :

المكر والدهاء والميل الى الخداع وعدم الصراحة والتظاهر بالسداجة .

حمل الناس على الاطمئنان اليه وعدم الشك فيه بمظهره الفريد في اللطف والسداجة .

اساءة الظن بكل الناس والميل الشديد الى الكتمان فلا يمكن ان يذيع سراً .

ضبط النفس فلا يثور أو يفضب مهما يكن مبلغ الاستفزاز الواقع عليه ، وكان يقول لى ونحن في انجلترا : ان ضبط النفس للانسان كالفرملة للسيارة ، والسائق يكون معتوها اذا قاد سيارة بلا فرامل ، لانه يكون خطرا على غيره وعلى نفسه ، وكذلك المحروم من مزية ضبط النفس فهو رجل بغير فرامل وهو خطر على غيره وعلى نفسه .

والمصرى العادى لا يتمتع بهذه الصفات وهذه المزايا النفسية وهو فى الغالب حسن النية سليم الطوية يحسن الظن بالناس ولا يضبط عواطفه لان « قلبه ابيض » واذا استفرد انسان أو اهائه غضب وثار وسب وشتم وانفجر كالبركان .

هذا وترى الدكتور حامد لاول وهلة فتظن انه انجليزيا فى عامة مظهره ، فى بياض لونه ونعومة شعره واناقة هندامه ولعمان حذائه وطريقة مشيته وحركات رأسه ويديه ونظرا تعينيه، وهو حليق الدقن والشارب ، كثير التدخين للبيئة التى لا تكاد تفارق شفثيه وعنده من « البيبات » مايزيد على العشر ، واذا سئل سؤالا محرجا أو صعبا احتفظ « بالبيئة » فى فمه حتى يفكر بهدوء ولا يرفعها من فمه الا اذا اراد الكلام أو الاجابة ، ثم هو يوجز غاية الإيجاز ولا يميل الى الثثرة كما يفعل الكثيرون ، وهو فى هذا كله انجليزى قح ، ولكنه الى جانب هذا أو قبل هذا كله مصرى صميم ووطنى غيور ، حبه لمصر وغيرته القومية واخلاصه لقضية الاستقلال وحبه وولاؤه للرئيس سعد وحبه وعطفه على الفلاحين كلها من الطراز الاول ، ولا تترك بعدها زيادة لمستزيد . هذا فضلا عن أنه خفيف الروح الى الدرجة القصوى ومن العسير جدا الا تهجه أو لا تميل اليه فهو خفيف الظل حلو الابتسامه التى لا تكاد تفارق وجهه ، ولعل هذه المظاهر والمزايا المصرية الصميمة فيه هى التى قربته الى قلب الرئيس سعد .

### كيف اتصل الدكتور حامد بالرئيس سعد

بعد ان وقع الاختيار على لان اكون سكرتيرا خاصا للرئيس سعد زغلول سافرت من مصر ووصلت الى باريس فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ ولم يمض شهرا واحدا أو خمسة أسابيع أى فى يناير سنة ١٩٢٠ حتى حضر الدكتور حامد محمود على رأس وفد يمثل جمعية الطلبة المصريين فى بريطانيا لتحية الرئيس سعد ولتأييد الوفد فى جهوده ومساعيهم فى خدمة قضية الاستقلال ، فأكرم الرئيس وفادتهم وسرته حماستهم ، وبعد انصرافهم تخلف الدكتور حامد وقال للرئيس انه يريد أن يتطوع لخدمته وخدمة الوفد وخدمة مصر وقضية الاستقلال ، وأن معرفته بالانجلترا والانجليز لابد أن تكون نافعة وهو يضعها بين يدى الرئيس ، ثم قال ان الدكتور طلعت باشا عمه .. لم يكن الدكتور حامد فى حاجة الى أن يقول

أكثر من هذا ، فسعد باشا سديق حميم للدكتور طلعت باشا وفى الدكتور حامد نفسه مزايا لا يستهان بها .

ولهذا لم يتردد الرئيس لحظة واحدة فى الاقبال عليه والترحيب به وتعيينه فوراً سكرتيراً ثانياً ، وقد أحسن سعد بفراسته التى لا تخيب أنه سوف يكون فى حاجة الى رجل كحامد يعرف انجلترا مثل معرفته ، فقد نقضى الضرورة بإرساله الى انجلترا فى مهمات كثيرة ولاغراض شتى ، وقد صدقت فراسة سعد ( الرئيس البعيد النظر ) ، وأصبح الدكتور حامد نافعا جدا فى خدمة هذا الغرض ، ولكن مصرية الدكتور حامد تجلت فى حبه وولائه للرئيس سعد وفى كرهه وسخطه وحقد على اعضاء الوفد الذين يخالفون الرئيس ، وكان اعضاء الوفد يستخفون ظله أول الامر لسداجته القاهرة ويداعبونه بالنكات الخفيفة اذ كانوا يشعرون أنه نصف مصرى ونصف انجليزى لقلته معرفته للعربية ، ثم سداجته الخلافة الخداعة قد اعتبروها نوعاً من العبط الذى يداعب ويسخر منه . وكان الدكتور حامد يسرف معهم فى مظاهر سداجته ومظاهر انجليزيتة ، فيزيد مرحهم وأقبالهم عليه ، ولكن الاعضاء فى المدة الاخيرة تنكروا له وسخطوا عليه .

ويمقدار ما ازداد حامد قرباً من قلب الرئيس سعد ازداد بعداً من قلوب الاعضاء جميعاً فساء مركزه بينهم .

### النشاط السياسى للدكتور حامد محمود

ولسائل أن يسأل : هل احسن سعد وأصاب فى تعيينه الدكتور حامد محمود سكرتيراً ثانياً له ؟ وهل نجح الدكتور حامد فى النهوض بالمهمات التى كلف بها ؟ وهل أدى خدمات تستحق الذكر لقضية الاستقلال ؟

وانا اجيب بالإيجاب على هذه الاسئلة الثلاثة من غير تردد أو تحفظ ، فان الدكتور حامد محمود ملاً ، وما يزال يملأ فراغاً لا يستطيع احد غيره من المصريين أن يملأه ، وانه أدى وما يزال يؤدي خدمات عظيمة لقضية الاستقلال لا يستطيع احد غيره من المصريين أن يؤديها .

وفيما يلى بعض الأدلة :

١ - أن جريدة الديلى هيرالد ( جريدة حزب العمال ) قد أصبحت تدافع عن قضية استقلال مصر وتطالب بالغاء الحماية



البريطانية من مصر ، بفضل صداقة الدكتور حامد لمستر ايوار رئيس قسم السياسة الخارجية في هذه الجريدة ، ومستر لانسبوري رئيس التحرير نفسه . فالدكتور حامد يعرفهما معرفة صداقة شخصية قديمة . وبفضل الدكتور حامد ومساعدة كذلك حضر مستر ايوار الى باريس عدة مرات لمحادثة الرئيس وسماع آرائه ، وقد نشر الرئيس حديثين كاملين غاية في الاهمية .

٢ - ان عددا كبيرا من الاسئلة البرلمانية التي قدمت في مجلس العموم عن مصر ولصالح مصر كان الدكتور حامد هو الموحي بها ولا ننسى انه صديق حميم لمستر مالون ومستر سبور عضوي مجلس العموم ، بل صديق حميم لمستر رامزي مكدونالد نفسه رئيس حزب العمال وزعيم المعارضه . وبفضل الدكتور حامد وحده وحسن علاقاته بهم قد اصبحوا جميعا يعطفون على قضية الاستقلال .

٣ - استطاع الدكتور حامد بجهوده الشخصية ان ينشئ في لندن (( لجنة )) تسمى (( اللجنة الانجليزية المصرية )) وساعده في تكوينها صديقه الحميم مستر لانجسدون دافيز وهو صاحب مطبعة مشهورة ومستر رامزي مكدونالد نفسه ، واللجنة مكونة الآن من عشرين عضوا من حزب العمال في البرلمان الانجليزي وبعض كبار الصحفيين امثال لانسبوري وايوار وسكرتير هذه اللجنة مستر لانجسدون دافيز نفسه صاحب المطبعة الذي تفضل بمساعدة الدكتور حامد ان يصدر شهريا نشرة من اربع صفحات عن مصر وقضية مصر ووعود الانجليز بالجلاء ، وما الى ذلك مما يريده الدكتور حامد ويوحى به الرئيس سعد .

٤ - ومن هذه النشرة ومن بيانات الدكتور حامد كان أعضاء اللجنة الانجليزية المصرية يستمدون نشاطهم ويلقون خطبهم ويقدمون اسئلتهم لخدمة مصر وقضية مصر . من غير الدكتور حامد محمود كان يستطيع ان يحقق كل هذا ؟ لقد أصبحت مصر في بريطانيا افلام تكتب ، وأصوات ترتفع ، وقلوب تعطف ، وجهود تبذل لخير مصر وخير قضيتها ، والقائمون بهذا كله من الانجليز الاحرار انفسهم ، والفضل في هذا كله للدكتور حامد محمود وحده .

الم اقل ان الرئيس سعد احسن واصاب بتعيين الدكتور حامد وان فراسة الرئيس وحسن اختياره كانا توفيقا من الله .

لقد نجح الدكتور حامد في نشاطه السياسى في انجلترا اعظم نجاح ولا ارى ان اعضاء الوفد على حق حين يخشون ويتطهرون من هذا النشاط الذى يجرى من غير علمهم ومن وراء ظهورهم كما يقولون في شكوى واتين واحتجاج ..

### الدكتور حامد في المصيدة !

٨ من يناير سنة ١٩٢١

في المساء بعد العشاء نزلت الى (( كافية فوكيه )) وجلست في ركن وحدى أفكر في يومى وامسى ، وبعد قليل من صاحبى محمد على علوبة فرأتى فجاء وجلس معى ثم حضر المكباتى وحمد الباسل فجلسا معنا ، وبهذا ضاعت خلوتى ووحدتى وخابت فكرتى . وبعد دقائق معدودات حضر الدكتور حامد محمود ليجلس معى فتلقوه جميعا بالبرود وتلقيته بالحفاوه والابتسام . وقد حاول الدكتور حامد اول الامر أن يسلم ثم ينصرف ولكنهم أمسكوه والخوا عليه في الجلوس فجلس مكرها وهو لا يقوى على المقاومة ، ولعلمهم ظنوه فريسة وقعت في المصيدة .

سأله حمد الباسل : (( ماذا فعلت في مهمة بلنت وما اخباره الخاصة عن ملنر )) ؟

الدكتور حامد : (( أنا مش فاهم انت بتقول ايه !! )) .

حمد الباسل : (( انت سافرت الى انجلترا اخيرا لمقابلة بلنت )) .

حامد : (( مش صحيح مين قال لك كده ؟ ))

المكباتى : (( أننا قرأنا خطاب بلنت الى سعد باشا وفيه يطلب ارسال رسول اليه )) .

حامد : (( روح اسأل سعد باشا ليه انت تسألنى انا . ))

( هكذا ظل الدكتور حامد يراوغ في الاجابة الصحيحة الصريحة وظل يتكلم العربية برطانة الانجليزى وكان ظاهر الكذب والارتباك غاشفت عليه ) .



(( لست أدري لماذا لا يسألونني أنا ، ويسلكون هذا المسلك الكريه انهم يتلفون الاخلاق بعملهم هذا . ان الدكتور حامد مكلف بالكتمان وهم يعلمون ذلك أو يجب ان يعلموه . ياويحهم !! انهم يكتبون الى بالامس القريب خطابا شديدا منفرا ثم يصالحونني بزيارتي في مسكني وهذا منهم اعتذار صامت وغير مباشر ، واليوم يعودون الى اساءاتهم الى ثم يريدون ان نعمل معا لاصلاح الانقسام في مصر قوم ، متخاصمون يريدون التوفيق بين متخاصمين آخرين اليس هذا من السخرية الا نبدا باصلاح انفسنا وتقويم اعوجاجتنا اولاً )) .

وهنا دخل على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فقص عليهم الرئيس ما حدث أمس مع الدكتور حامد ، فلم يتأثروا ولم يظهروا استياء بل ضحكوا واعتبروا المسألة فكاهة لا تستحق غضبا ولا كدرا .

وفي اثناء الشاي قال لي الرئيس في شيء من الكمد : (( لعل اكبر ما يكدرني الآن ضعف املى في نجاح شيعتي وفقدان ثقتي في كثيرين منهم لقد ألم بنفوسهم هزال شديد وخصومي كثير و المند وسيجدون دائما انصارا من الطامعين في المناصب من ضعاف القلوب وهم كثيرون )) .

فقلت : (( يا سيدى : ما عددهم ؟ مهما يبلغ عددهم فلن يكونوا شيئا يستحق الذكر اذا قورنوا بالملايين التى تلف حولك وتنصرك ويفعل اسمك فيهم فعل السحر ، ان الانبياء انفسهم لم ينجوا من عناد المكابرين ودسائس المارقين وكيد الخائنين وتخاذل المستضعفين )) . فرحب الرئيس بهذا الكلام الذى هو في نظري من البديهيات ومع ذلك وجد طريقه الى نفس الرئيس فأراحها والى عقله فأرضاه .

### الدكتور حامد يفهم المكباتى

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح كالعادة الى مكتبى في مقر الوفد لاتصفح الجرائد والمجلات الانجليزية وحضر حمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود ولطفى السيد والمكباتى ثم عبد العزيز فهمى وكانهم على ميعاد ، ولم يحضر انصار الرئيس سعد ( على ماهر

وواصف غالى وسينوت حنا ) ، وبعد قليل خرج حمد الباسل من قاعة الجلسة وزارنى فى مكتبى وكان معى الدكتور حامد محمود فسلم على وسألنى عن أخبار مصر فى الجرائد الانجليزية، ثم رفق الدكتور حامد بنظرة شذراء وجره معه الى الاعضاء داخل قاعة الجلسة ، وحامد لا يسأل ولا يقاوم ولا يعارض ولا يستفسر عما يريده منه حمد الباسل ، بل سار الى جانبه فى وداعه محبيه واستسلام غريب . كالحمل الوديع ، فلما استقر مجلسه دقيقة واحدة بين الاعضاء فتحت باب القاعة ودخلت لاشهد ما يعملون وكانى خشيت أن يفتكوا بالدكتور حامد أو كانى شعرت بأن الدكتور حامد عاجز عن الدفاع عن نفسه. لست أدري ! وانما بحركة آلية ومن غير تفكير رايت أن أشهد ما يجرى مع أن احدا لم يطلب الى الحضور. هكذا تصرف. وهكذا أقحمت نفسى بالدخول والجلوس ، فلمعنى الدكتور حامد وابتم وقال : بالانجليزية (( هالو كامل )) ، فضج الحاضرون جميعا بالضحك .. ألم اقل أن الدكتور حامد آية فى خفة الروح والتظاهر بالسداجة التى تجرد الخصم من سلاحه ؟

بدا الكلام محمد محمود باشا فسال الدكتور حامد عن مهمته الاخيرة فى انجلترا وعن مقابلته لمستربلنت وعن خطاب ملنر اليه وعن نشاط الدكتور السياسى فى الفترة الاخيرة فى انجلترا ،

فاجاب الدكتور حامد بكل صدق وصراحة وقال كل شيء وذلك لأن الرئيس سمح له بذلك اذ لا فائدة من الكتمان الآن .

فقال المكباتى : ولماذا انكرت امس فى المقهى حين سألناك ؟

حامد : لان المقهى ليس مكانا للكلام فى السياسة . وانا لم انزل الى المقهى لاضاعة الوقت فى الكلام معك بل كنت على موعد يهمنى كثيرا . ( ضحك من الجميع ) .

ثم قال الدكتور حامد فى شيء من الجسد : اجبني أنت على سؤال أوجهه اليك :

لماذا لم تذهب الى الرئيس وتسأله عما تريد وفضلت أن تسألنى أنا ، وأنت تعلم أنى مكلف بالكتمان ؟ ((

المكباتى : (( ولماذا هذا الكتمان اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟ )) .

حامد : (( انت لم تجب على سؤالى ، بل وجهت الى سؤال آخر ، اجبنى اولا على سؤالى وانا اجيبك بعد ذلك على سؤالك )) .  
( ضحك من الجميع ) .

المكبائى : (( سنسال سـعد باشا يقينا حين نقابله ، ولكننا رايناك أمس فاستعجلنا معرفة الحقائق )) .

حامد : (( لا تستعجل مرة أخرى ، وخذ الاخبار من اصحابها لا من الجيران )) . ( ضحك من الجميع ) .

المكبائى : (( لقد اجبتك على سؤالك اذن اجبنى على سؤالى ))  
حامد : (( وما هو سؤالك ، انى نسيته )) .

المكبائى : لماذا تعمدت الكتمان والانتكار أمس اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟ )) .

حامد : اننى اطلعنكم الان على كل التفاصيل وعلى كل اعمالى فى انجلترا ، هل ترى انها بريئة ومفيدة للبلاد ؟ او انها اجرامية وضارة بالبلاد ؟ ( ضحك من الجميع ) .

المكبائى : (( انه يتكلم كثيرا ، لماذا كان الكتمان أمس ؟ ))

حامد : (( صحيح انى اتكلم كثيرا ، ولكن انت تتكلم اكثر منى ومن كل الاعضاء )) ( ضحك من الجميع )

ثم قال حامد : ليه كده انت عايز تضايقنى وتزعلىنى ، ( ضحك من الجميع ) الرئيس كلفنى بعمل قمت به ، روح اساله هو مش أنا ..

المكبائى : (( ولماذا اذن تكلمت اليوم وذكرت كل التفاصيل )) .

حامد : لان الذى سألنى هو محمد محمود باشا وانا احبه ، وسألنى فى حضور أعضاء الوفد وفى مقر الوفد لا فى مقهى عام (( ولا فى الليل )) ، وانا تكلمت بدل الرئيس علشان اريحه فلا يتعب فى ذكر كل هذه التفاصيل امامكم مرة ثانية . هل عندك أسئلة كمان تحب تسألنى وتزعلىنى ، والا بزيادة كده ؟ ( ضحك من الجميع ) .

هكذا انتهت الجلسة التى ترأسها الدكتور حامد محمود ،

وهكذا تحول الحمل الوديع الى أسد بديع ، وفتك بالنمر المريع !!  
وصدق من قال (( يضع سره في أضعف خلقه )) .

خرج حامد من الاجتماع وخرجت معه وهناته من أعماق قلبى  
على شجاعته وصراحته وعلى مقدرته الفائقة فى الاقتناع ، مقدرة  
جاوزت الاقتناع الى الإفحام ، ثم ذهبتا معا لمقابلة الرئيس فى  
مسكنه . . ولما دخلنا عليه قال له الدكتور حامد : (( يا باشا أنا  
قتلت المكباتى )) فقفز سعد من مقعده صارخا : هل مات ؟؟ فقلت  
مفندا (( مات أدبيا )) وطلب منى أن أروى له ما حدث فرويته  
كما سجلته آنفا . فاشتغل الرئيس أولا كل الاغتباط . ثم توجه  
وجهه وقال (( اذن لن أتكلم معهم فى هذا الموضوع بعد الآن )) .  
وشعرت بالغيظ يملأ صدره ويظهر فى عينيه لان الأعضاء أجروا  
هذا التحقيق والتدقيق فى سؤال حامد ومناقشته ومحاسبته  
من وراء ظهره ومن غير انتظار لسماع بياناته فى هذا الموضوع .

### لو استقبلوا من الامر ما استدبروا

١٠ يناير سنة ١٩٢١

١ - أهم ما لفت نظرى فى خطاب ملنر الى مستر بلنت رجاؤه اليه  
فى أن يستخدم ثقة الرئيس فيه ليقتعه بأن طلبه الغاء الحماية  
البريطانية قبل المفاوضات الرسمية واعتباره ذلك شرطا لموافقته على  
المفاوضات الرسمية من شأنه أن يسقط مشروع ملنر كله . وأن  
يؤكد لزغلول باشا بأن الامل غير معدوم فى نجاح المفاوضات  
الرسمية وتحقيق آمال المصريين القومية .

٢ - وأهم ما لفت نظرى فى حديث بلنت مع الدكتور حامد - هو  
الحديث الذى نقله حامد الى الرئيس سعد - هو استجابته لهذا الرجاء ،  
ثم دعوة بالعمل وبذل كل مجهود من جانبه لالغاء الحماية البريطانية .  
ذلك الالغاء الذى لا بد منه اذا أريد الاستقرار للحالة ، وتحسين  
العلاقات البريطانية ووضعها على أساس سليم .

٣ - وأهم ما لفت نظرى فى جلسة أعضاء الاغلبية التى تكلم  
فيها الدكتور حامد أمس ارتياحهم العظيم لما ورد فى خطاب ملنر  
الى بلنت ، وما ورد فى حديث بلنت مع الدكتور حامد محمود .

٤ - وخيل الى أن أعضاء الاغلبية قد أصبحوا الآن فى مركز أقوى  
مما مضى فى يدهم الآن حجة جديدة من ملنر وبلنت صديق مصر

تحملهم على التفاوض بالمفاوضات الرسمية وتأيد الدخول فيها من جانب عدلى حتى قبل قبول التحفظات ، ولا سيما النص على الغاء الحماية الذى يتشبهت به الرئيس ويعلق عليه أكبر الاهمية .

٥ - ويخيل الى أنهم مغتبطون الآن أشد الاغتياب بمراسلات الرئيس مع ملنر وبلنت ، وبارساله الدكتور حامد محمود للمقابلة بلنت بعد أن كانوا مستائين لذلك أشد الاستياء .

والخلاصة أنى أشعر فى ضوء النتائج التى ظهرت فيما بعد بأن خطاب أعضاء الاغلبية الذى أرسلوه الى الرئيس بالشكوى من مسائل معينة ثم ختموه بالتهديد والانذار كان فى غير موضعه ولا مبرر له على الاطلاق ، ولو علموا أو لو استقبلوا من الامر ما استدبروا لكان خطابهم هذا شيئا آخر على خط مستقيم ، اذ كان يجب أن يشتمل على الإشارة بهذه المسائل المعينة وأن يختموه بالشكر والثناء .

### بداية النهاية

١١ يناير سنة ١٩٢١ :

١ - نشرت الجرائد الانجليزية أن لورد ملنر سيستقيل قريبا ومدحته كثيرا كل الجرائد وأثنت عليه ثناء عاطرا ، ويرى الرئيس سعد أن هذه قد تكون مناورة انجليزية للتأكد من المصريين واكتشاف حقيقة شعورهم اذا ملنر ومشروع ملنر ومبلغ تمسكهم بالتحفظات ، ويرى بقية أعضاء الوفد أن ملنر رجل لا يمكن لبريطانيا الاستغناء عنه فى الظروف الحاضرة ، وأنه فى الغالب سيكون على رأس المفاوضات البريطانيين فى المفاوضات الرسمية القادمة (( وكل يغنى على ليله )) .

٢ - وصل أمس الى باريس عبد الملك حمزه واسماعيل لبيب وهما من رجال الحزب الوطنى وقد حضرا من مصر فى مهمة سياسية على ما يظهر اذ يريدان أن يطلعا الوفد على الحالة الحاضرة فى مصر وبيان مدى الانقسام الخطير فى صفوف الامة وفى الراى العام المصرى وذلك لكي يعمل الوفد على تلافيه ، ومعهما خطابات على جانب عظيم من الاهمية الاول من مصطفى النحاس والثانى من عدلى باشا والثالث من ابراهيم سعيد باشا يعبر فيه عن رايه الخاص وراى اللجنة المركزية للوفد عامة .



٣ - ومن طريف المصادفات أن بريد اليوم قد حمل الى الرئيس طائفة من الرسائل تتحدث كلها عن مسألة انقسام الامة وانقسام الوفد وخطر ذلك ، والتوسل الى ضم الشمل وإزالة الانقسام وكل أسبابه محافظة على وحدة الامة وسلامة قضيتها . أخص بالذكر من هذه الرسائل ما يأتي :

خطاب من أمين الراعي ، وخمسة خطابات من أعضاء في الجمعية التشريعية ، وثلاثة خطابات من جورج خياط ومحمد محفوظ باشا وحسين هلال بك المحامي ، وعريضة موقع عليها من ٣٥ من أعيان البلاد من الوجهين البحري والقبلي يرجون فيها الاكتفاء بما هو معروف الآن على الوفد ، ويلحون في ضرورة الاسراع بالموافقة على تأليف وزارة تطمئن اليها الامة وتمهد الطريق للمفاوضات الرسمية .

هذه الرسائل وقعت في نفس الرئيس أسوأ وقع ، وطلب الى أن أجمعها وأضعها في مظروف خاص أكتب عليه (( رسائل من دعاة التردد والهزيمة )) أو أكتفي بعبارة موجزة وهي (( مشبطات لهم )) .

٤ - في الساعة الحادية عشرة صباحا حضر الزائران ( عبد الملك حمزة واسماعيل لبيب ) الى مقر الوفد بشارع مارييف ، وقابلا أعضاء الوفد وتصادف أنهم كانوا جميعا مجتمعين ما عدا واصف غالي ، وشرحا لأعضاء الوفد حالة البلاد السيئة في الفرقة والانقسام وتبديل الافكار وحيرة الناس فيما يسمعون وفيما يصدقون ، وقد وجدوا من الأعضاء أذانا صاغية وقلوبا واعية ، بل لعلهما زادا أعضاء الأغلبية حجة جديدة قوية يقيمونها في وجه الرئيس سعد في جلسة الغد .

٥ - وفي المساء حضرا الى فندق الكونتنتال وقابلا الرئيس سعد وقضيا معه ساعة كاملة ، ولم يشأ الرئيس أن يناقشهما أو يحاول اقناعهما ، بل اكتفى ببضعة أسئلة وجهها اليهما ليستنير بالاجابة ويستعد بها لجلسة الغد كذلك .

٦ - ليس من المصادفات العجيبة أن يحدث كل هذا في اليوم السابق لجلسة الوفد المخصصة لمناقشة مسألة (( انقسام الامة وطريقة علاج هذا الانقسام )) ١١٩٩

## الجلسة الاخيرة الحاسمة

١٢ يناير سنة ١٩٢١ :

### تصور الحالة النفسية :

أكاد أميل الى الاعتقاد بأنه لولا انتظار ظهور تقرير ملنر لما ظل أعضاء الوفد متماسكين في هيئة واحدة حتى اليوم ، ذلك لان كثيرين منهم يريدون العودة الى مصر ويرون ان البقاء في باريس عبث لا طائل تحته . ومضيفة للوقت والمال ، وتغريب للناس بجلب الأمال .

وملنر قد رفع تقرير لجنته الى حكومته في ١٠ من ديسمبر كما نشرت جريدة التيمس ذلك في الشهر الماضي والتقرير يترجم في مصر الى العربية هذه الايام حتى اذا تمت الترجمة نشر في مصر وفي لندن في يوم واحد فالكلمة الآن للمترجمين في مصر .

ومع أن النشر قد أصبح منتظرا بين وقت وآخر فان الأعضاء قد فصد صبرهم .. وأصبحوا لا يطيقون الانتظار وهم يريدون العودة ولكن بعد محاولة يائسة أخيرة عسى أن تنتج هذه المحاولة بعض الخير ، وهو تلافي الانقسام الأمة بشكل من الاشكال وهذه المحاولة ستكون في جلسة اليوم .

هذه كانت خواطري وأنا أسير صباح اليوم من مسكني الى مكتبتي وشعرت بأن كل فريق في الوفد يشكو من الانقسام ويطمع في الاتحاد والوثام ويخشى الشماتة وظهور الخصام ، اذن لابد من الكلام واستمرار الكلام ثم العودة الى تكرار الكلام ، ولا ملل من الكلام ولا يأس من عبث الكلام ، فعسى الله أن يحدث بعد ذلك أمرا .

كنت أول من وصل الى مقر الوفد فأشرفت على اعداد قاعة الجلسة مع صديقي الدكتور محمد صبرى السوربوني ، ثم توافد الأعضاء وهم متهمجون عابسون الا حمد الباسل وسينوت حنا فهما باسمان مشرقان ، دخل حمد الباسل قاعة الجلسة وكأنه داخل الى حجرة الطعام ، وكذلك كان صاحبه الرشيق الهندام ، ودخل عبد العزيز فهمي قاعة الجلسة وكأنه داخل قاعة محكمة للمرافعة في جريمة قتل عقوبتها الاعدام ، ودخل محمد على علوبة كمن يحمل بين يديه

سندات الادانة وصواعق الحجج وقوارص الكلام ، ودخل الرئيس سعد وعلى وجهه ملامح الاسد ونظرائه وكأنه داخل لمصارعة الثيران ، ودخل المكباتى منتفخ الوجه مفتول العضلات كأنه ملاكم أو مصارع أو كبير الثيران ، ودخل الفيلسوفان لطفي السيد وواصف غالى وكلاهما مهموم كمن يفكر فى حضارة الدنيا وسخافة الانسان ، ودخل الصحابيان محمد محمود وعلى ماهر وكلاهما مفهموم كمن يخشى معركة فيها ضرب وطعن ونيران .

فى جو الجلسة رهبة ورغبة وامل وياس وعواطف مكبوتة مخنوقة مكتومة مستورة ولكنها معروفة كأنها منشورة غير مقبورة .

فى جو الجلسة توتر وحذر وهذه هى الخلاصة بكل ايجاز فى التصوير .

وفى هذا الجو عقدت آخر جلسة للوفد فى باريس .

عقدت فى الساعة العاشرة والنصف صباحا وانتهت فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

قال الرئيس سعد :

(( ان جدول اعمال هذه الجلسة يشتمل على مسألة واحدة هى مسألة (( انقسام )) ، انقسام الوفد على نفسه ، وانقسام الامة ، اما مسألة انقسام الوفد فالكلام فيها معاد وعبت لا طائل تحته . واما مسألة انقسام الامة فقد شاء بعضكم ان يلقي تبعثها على كاهلى وحدى وهى التهمة الوحيدة فى خطابهم الباقية من غير تفنيد ، ولكنها أوهى التهم جميعا لانها باطلة ظاهرة البطلان ولا تحتاج الى كبير عناء لدحضها وتفنيدها . ان الذى يتمسك بمبدأ الاستقلال ويسعى جاهدا فى خدمته وفى سبيل تحقيقه تنفيذا لتوكيل الامة للوفد ، لا يمكن أن ينسب اليه اتهام بتقسيم الامة .

هذه التهمة الخطيرة انما تلبس كل من يجيد عن مبدأ الاستقلال أو لا يؤمن بفكرة الاستقلال أو لا يعتقد بإمكان الحصول على الاستقلال ثم يحاول التقرير بالامة على أن تقبل ما هو دون الاستقلال فيستميل اليه فريقا من أبنائها المستضعفين والهازلين والطامعين فى المناصب والمستعجلين لكسب المغنم ، والذين ليس لهم جلد على الجهاد وعلى ملاقات الصعاب فى خدمة قضية الاستقلال ، وقد ظهر

هذا الفريق في الامة بفضل صاحبكم على ومسايعه الظاهرة والخفية .  
وفي الوفد فريق من الاعضاء يؤازرون على . ويتمتعون بعطفه  
وتشجيعه ويلحنون لحنه ويتجهون اتجاهه ويهدفون الى غايته ، ثم  
وجد هذا الفريق الجراءة على اتهايم وحدى بتقسيم الامة وسجلوا  
ذلك في خطاب أرسلوه الى )) .

ثم قال الرئيس ساخرا : ما اصدق المثل العربي (( رمثني  
بدائها وانسلت )) .

عبد العزيز فهمي :

(( أرجو أن يتسع صدر الرئيس لنشرح له الموقف كما نراه وكما  
هو في الواقع وأضعا للامور في نصابها ، ولنحدد الحقائق التي تنفق  
عليها والحقائق التي نختلف عليها ، ولا حاجة بنا الى الكلمات  
الغاضبة والانفعال العقيم ، نتكلم أولا عن الوفد وانقسامه .

كلنا نعرف ونعترف ان الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات  
في الماضي .

الاول : عند مناقشة مسألة ، هل يفاوض الوفد لجنة ملنر  
أو لا يفاوض .

والثانية : عند مناقشة مسألة ، هل ينتقل الوفد الى لندن  
بعضه أو كله .

والثالثة : عند مناقشة مسألة ، هل تقطع المفاوضات أو لا تقطع  
عند تسلمنا مشروع ملنر .

والرابعة : عند مناقشة مسألة ، هل أسفرت استشارة الامة  
عن رغبات أو تحفظات .

(( هذه كانت أهم دواعي الانقسام فيما مضى ، واني أعلن الآن بكل  
صراحة وتأكيد أنها زالت جميعا بسلام وانتهت على خير وجه ، وأصبح  
الوفد متحدا الآن كما كان يوم تأليفه )) .

الوفد متحد وموافق بالاجماع على الحقائق الآتية :

١ - أن مشروع ملنر وحده لا يحقق الاستقلال فلا يمكن قبوله  
بوضعه الراهن .

٢ - ضرورة قبول التحفظات كلها وهي ليست مجرد رغبات  
يكتفى بتحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

٣ - عدم دخول الوفد في المفاوضات الرسمية المقبلة أو حتى  
الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطاني تعديل مشروعه على  
أساس هذه التحفظات وفي طبيعتها النص الصريح على الفاء الحماية .

٤ - الحرص على التوكيل الذي حدد مهمة الوفد ، أى السعى  
لتحقيق استقلال البلاد استقلالا تاما .

٥ - زوال سوء التفاهم الاخير بين الاغلبية والرئيس بسبب  
ما اعتبرته الاغلبية (( سياسة انفرادية )) جديدة يجرى عليها  
الرئيس ، وبهذا زال آخر خلاف وآخر انقسام فى الرأى بفضل  
بيانات الرئيس فى الجلسة الماضية .

فكيف يقول الرئيس بعد هذا كله ان انقسام الوفد مسالة  
الكلام فيها معاد وعبث لا طائل تحته ؟

الخلاف فى الرأى والانقسام فى الجماعة شيء طبيعى تستلزمه  
حرية المناقشات وحرية الرأى وحرية الاعتقاد فيما يراه الفرد خيرا  
للبلاد ومصالحها العليا .

وزوال الخلاف وزوال الانقسام فى الجماعات شيء طبيعى  
مادام الافراد لا يهدفون الى غير مصلحة البلاد العليا .

والخلاصة انه لا يوجد انقسام فى الوفد الآن ، لانه لا يوجد  
اقل خلاف على غاية أو مبدأ ولا على خطة للوفد أو وسيلة لتحقيق  
اغراضه ، وليس لاحد أن يشكو مما مضى من خلاف أو انقسام ، فما  
فات مات ولنا الساعة التى نحن فيها .

واما الخلاف الوحيد الباقي فليس هنا وانما هو فى مصر ،  
والانقسام الوحيد الباقي فليس هنا وانما هو فى الامة المصرية  
نفسها . وهذا هو ما يشغل بالنا الآن ويقض مضاجعنا ، ولا بد  
للوغد من عمل حاسم يقوم به لوضع حد لهذا الانقسام واعادة الاتحاد  
بين صفوف المصريين )) .

سعد :

وما سبب هذا الانقسام فى الامة وما علاجه فى رايك ؟

عبد العزيز فهمى :

فريق من ابناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى  
مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة  
التي ترهق الشعب بالمظالم وتقتل الحريات وتخضع للانجليز خضوعا  
اعمى فيه اذلال للشعب وتضييع للحقوق الخاصة والعامه .

ثم فريق آخر من ابناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل  
الانجليز اولا التحفظات ، ولكل فريق حججه التي يتحجج بها ،  
والشعب موزع بين الفريقين وفى حيرة من امره .

سعد :

(( واى الفريقين تؤيد ؟

عبد العزيز فهمى :

انا اؤيد الفريق الاول .

سعد :

انا اؤيد الفريق الثانى ، وهكذا عاد الانقسام الى الوفاء مرة  
اخرى .

محمد على علوبة :

(( ليس هذا انقساما وانما هو مجرد خلاف فى الموازنة والمعارضة،  
مقارنة بين الفوائد والاضرار ، وبين المزايا والخسائر . وكما زال  
كل خلاف فيما مضى سيزول هذا الخلاف كذلك ان شاء الله باعادة  
الوحدة الى صفوف الامة كما عادت الوحدة الى صفوف الوفد )) .

سعد :

وما هو الاقتراح العملى الذى تقدمونه لتحقيق هذه الفاية  
السامية ؟ .

عبد العزيز فهمى :

(( ان يستنكر الوفد فى بيان قوى صريح بقاء وزارة توفيق نسيم  
فى الحكم وتصرفاتها الغاشمة فى حكم البلاد . وان يطالب بقيام

وزارة تكون موضع ثقة البلاد واطمئنانها . وترعى مصالح الاهالى وحرىاتهم وحقوقهم ، وتمهد الطريق لاجراء مفاوضات رسمية بعد التفاهم والتعاون مع الوفد فى خدمة قضية الاستقلال . ان بياننا يوضع وينشر على اساس هذه الخطوط العريضة ، من شأنه ان ينقى الجو وينهى حالة التوتر والحيرة والبلبله والانقسام ، ويعيد الى الامة الوحدة والسلام والوثام .

سـمـعـد :

(( لو ان المسألة كانت مقصورة على بيان ينطوى على مجرد استنكار وزارة قائمة ظالمة كريمة ، والمطالبة بالخلاص منها ومن تصرفاتها واجلائها عن الحكم واحلال وزارة اخرى مكانها ترعى الحقوق وتحترم الحريات وتحكم بالعدل والانصاف ، لما ترددت لحظة واحدة فى الموافقة على اصدار بيان بهذا كله ، رحمة بالبلاد وبالعباد ، ولكن للمسألة ناحية اخرى ليست بسيطة ولكنها خطيرة وسيكون لها آثار بعيدة المدى على قضية الاستقلال )) .

المكباتى :

(( وما هى هذه الناحية التى تخشاهما ؟ )) .

سـمـعـد :

(( ان الهدف الذى ترمون اليه هو التمهيد لقيام عدلى بتأليف هذه الوزارة الجديدة ، وليس فى مصر كلها ولا فى بريطانيا نفسها من يرى غيره رئيسا للوزارة المقبلة ، فالجميع يعرفون هذا تمام المعرفة ، وأرى ان اصدار بيان على الاسس التى تقترحونها معناه فى الحقيقة والواقع اعلان الثقة بعدلى بطريق غير مباشر ومن غير حاجة الى ذكر اسمه ، وقيام عدلى برياسة الوزارة معناه فى الحقيقة والواقع توليه امر المفاوضات الرسمية بغير الشروط والقيود التى وضعها الوفد لضمان صلاحية هذه المفاوضات .

وانكم لتعلمون كما اعلم ، ان عدلى راض عن مشروع ملنر وغير راض عن التخلفات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بإمكان الحصول على الاستقلال ، فترك الامور بين يديه مع تأييدنا له واعلان الثقة به بطريق غير مباشر فيه خطر شديد على قضية الاستقلال وعلى

مكانة الوفد وسمعته ، ولا عذر لنا في ارتكاب أخطاء خطيرة كهذه ونحن نعلم سلفا كل ما سيصدر منه وينجم عنه وما سيكون . فهل هذا يرضى ضمائركم ؟ ) .

انى اسالكم بكل اخلاص وادعوكم الى التأمل والتدبر بهدوء فيما أقول ) .

عبد العزيز فهمي :

(( ما دمت قد لجأت الى ضمائرنا بالسؤال ، فهذا هو ضمائرنا تتولى الجواب وتعلن في صراحة واخلاص أن عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة في هذه المرحلة التى تجتازها البلاد وقضية الاستقلال ، وذلك للأسباب أو الاعتبارات الآتية :

١ - أن عدلى رجل شريف ونظيف ولن يحكم البلاد بالظلم والاعنات والجبروت ولن يخضع للانجليز في سياستهم القائمة على السلب واذلال أهل البلاد ونشر الرعب والارهاب فى كل مكان .

٢ - ان عدلى بشخصيته وأعماله وتعاونه مع الوفد هذه المدف الطويلة قد أصبح موضع احترام وثقة من المصريين والانجليز على السواء .

٣ - ان عدلى أكثر فهما لقضية البلاد من كثيرين بل من جميع المصريين الذين يصلحون لرياسة الوزارة فى الوقت الحاضر . ولا أعرف أحدا فى مصر الآن مثله أو يدانيه فى حسن السياسة وحسن الأسلوب وفهم ظروف المفاوضات كلها .

٤ - ان عدلى لن يقبل مشروع ملنر الآن بعد أن علم علم اليقين أن الوفد بالاجماع لا يقبله الا بالتحفظات ، ومحال على مثل عدلى باشا أن يتحدى الوفد ورئيس الوفد والامة المصرية فيقبل ما دون الاستقلال كما يفعل غيره لو كان رئيسا للوزارة فى الظروف الحاضرة .

٥ - ان عدلى أقدر من غيره على اغراء الانجليز على التساهل ، والانجليز أميل الى التساهل معه لاجابهم به وتقديرهم له .

٦ - ان ما بيننا وبين عدلى من صداقات وصلات كفيل باستمرار التعاون بيننا وبينه .



وانى أستطيع يا سيدى الرئيس أن أسرد مزيدا من الاسباب والاعتبارات التى ترجح كفة عدلى على غيره ، ولكنى أكتفى بما قلت فعمل فيه بعض الاقناع )) .

سعد :

(( اذا صح أن لعدلى كل هذه الخطوة لدى الانجليز ، وأنه أقدر من غيره على حمل الانجليز على التساهل معه وأن الانجليز أكثر ميلا الى التساهل معه لحسن أسلوبه الذى أثار إعجابهم وإعجابكم ، فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملتر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . . انه اذا صرح بذلك فانى أعلن فوراً تأييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو أنى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية . فهل هو مستعد لأن يدلى بحديث كهذا ؟

اما اذا ظل مشروع ملتر لم يعدل بالتحفظات ، او اذا لم يعدل من الآن بانه سوف يعدل على أساسها ، فانى اشعر بانى أخيب الأمة وأغرر بها حين أضع ثقتى فى من يتقدم للدخول فى المفاوضات الرسمية بغير شرط أو قيد )) .

محمد على علوبة :

(( ان الوفد سبق أن قرر أنه لا يدخل فى أية مفاوضات رسمية أو يشترك فيها ما لم تقبل تحفظات الأمة وفى طبيعتها النص على إلغاء الحماية .

ولكن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فيها من المصريين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرى أن الوفد مقيّد بتوكيله وهو السعى للحصول على الاستقلال التام ، وقد وضع شروطاً وقيوداً لاشتراكه فى المفاوضات الرسمية ولكن ليس معنى هذا ولا من مستلزماته أن يحارب الوفد كل مصرى يعمل ويسعى للحصول على الاستقلال بطريقته الخاصة ومن غير أن يلتزم بشروط أو قيود ، وليس للوفد فيما أعتقد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده . وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقاً لأرائه ومعتقداته )) .

سعد :

(( انا لا أفهم مطلقا كيف يمكن للوفد أن يجرى على سياستين متناقضتين كل التناقض متباينتين كل التباين :

الاولى : سياسته الخاصة التى تقوم على أساس رفضه للمفاوضة الرسمية الا بشروط .

الثانية : سياسته ازاء عدلى وتأيبده للقيام بالمفاوضة الرسمية من غير شروط .

ان العقل والواجب والمصلحة كلها تقضى بضرورة اتباع السياسة التى هي أنفع وأصلح وأحكم ، فاذا كانت خطة عدلى وسياسته خيرا من خطة الوفد وسياسته ، فلماذا لا يدخل الوفد التعديل اللازم على سياسته وخطته حتى يتم التلاؤم والتوافق ويمتنع التباين والتناقض ؟ )) .

المكباتى :

(( ان الوفد يجب أن يتمسك بسياسته وخطته محافظة على (الايديال ))

احمد لطفى السيد :

(( ما الضرر من الدخول فى المفاوضات الرسمية بواسطة هيئة أخرى غير الوفد ؟ ان الوفد يشترط شروطا معينة لقبول هذه المفاوضات ودخوله فيها منفردا أو بالاشتراك مع غيره ، وهذه الشروط غير مقبولة الآن من الجانب الانجليزى ، ونحن نعلم أن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشيء ما مقدما ، فما هو الضرر من ترك مسألة التحفظات الى المفاوضات الرسمية نفسها بدل التثبيت بضرورة قبولها قبل هذه المفاوضات ؟

نحن نعلم أن ملتر قال انه لا يمكن رفض أية مسألة أو أى طلب لا ينطبق على روح المشروع ، وفى المشروع استقلال ، والاستقلال لا يوجد مع الحماية ، وقد فهمت الامة من المشروع سقوط الحماية . بهذا كله يستطيع المفاوض المصرى الرسمى أن يورط الانجليز ويحملهم على القبول )) .

سعد :

(( ان كلام الاستاذ لطفى السيد لا يعتبر ردا على ملاحظاتي .

لقد قلت انه من السخافة أن يجرى الوفد على سياستين مختلفتين متناقضتين ، يقبل المفاوضة بشروط ، ويبسحها لعدلى بغير شروط .  
ان هذا الاختلاف وهذا التناقض لا يستسيغهما العقل .

اما كلام لطفى بك فلا يخرج عن مجرد التساؤل .

وما هو الضرر من اتباع سياستين مختلفتين متناقضتين ؟

والجواب على ذلك واضح كل الوضوح لا يحتاج الى شرح او بيان ولا الى تعليق وتعقيب )) .

عبد العزيز فهمى :

انت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ، والوفد وافق عليها فى النهاية . وما ذلك الا رغبة من الاغلبية فى تأييدك ومحافظة على وحدة الوفد ، ودرا للانقسام ولم تكن موافقة الاغلبية عن اقتناع اكيد وعقيدة جارية بضرورتها وصوابها ، وما دمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين ولا ضرر من ذلك كما ابان صديقى لطفى السيد .

اما اذا كان قصدك بالعدول عن احدى السياستين هو اتباع سياستك وحدها وقبول عدلى لشروطك وقيودك مع علمه بأن الجانب البريطانى يرفض حتى مجرد النظر فيها قبل المفاوضات ولا يرى مانعا من مناقشتها فى أثناء المفاوضات ، فهذا هو الذى نعتبره غير مقبول ولا نرى فيه أية مصلحة ، بل المصلحة فى اتباع السياستين فى وقت معا وهناك حجج وجيهة تؤيد كلتا السياستين وتسوغ وجودهما جنبا الى جنب )) .

سعد :

(( الان انتم تستسيغون هذا المنطق العجيب وهذا الموقف المريب !!

الوفد يضع لنفسه شروطا وقيودا يلتزم بها وبتنفيذها بالنسبة للمفاوضات الرسمية ، ثم هو فى الوقت نفسه يخلى لعدلى الميدان بلا شرط او قيد بالنسبة للمفاوضات الرسمية .

او بعبارة اخرى : الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط او تحفظ .

الوفد يتخل عن مهمته الاساسية وواجبه الاول في معالجة قضية الاستقلال وخدمة البلاد ، ثم يخلع هذه المهمة وهذا الواجب على عدلى يفعل بالقضية ما يشاء .

الوفد يقضى نفسه عافدا متعمدا عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجا ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيدا بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين .

امقبول هذا ؟ امعقول هذا ؟ هذا كلام له خيىء معناه ليست لنا عقول ؟ (( .

وهنا سكث الرئيس . . . وهنا اضطربت الجلسة واخذ جوها يتكهرب فتجهت الوجوه وتوترت الاعصاب وتحفزت الالسنه للكلام ، كما تتحضر الاسنة للصدام . ولكن الله اوحى الى عبده حمد الباسل ان يقترح رفع الجلسة لينقذ الموقف من الانفجار لا سيما انها جاوزت الساعتين او كادت اذ بلغت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

ذوافق الرئيس فوراً وانتفض قائما بعد ان رفع الجلسة .

ووقف الاعضاء وبدأ الانصراف بعد سلام ليس فيه سلام .

وتفرق الاعضاء وفى النفوس ما فيها من خيبة امل وجفاء وكمد وخصام .

انى اشعر ان جلسة الامس كانت جلسة قوية غاية القوة تصارعت فيها الحجج وتصارعت فيها العقول وتصارعت فيها العواطف وتبارزت فيها الشخصيات بعد ان صبت لها القوات وتمت فيها الاستعدادات للنصر المبين ، ثم انتهت معركة الجلسة الى غير نتيجة ايجابية فكانت النتيجة سلبية تركت كل فريق فى مكانه لا يتحزج عنه قيد انمله واشعر كذلك ان ختام الجلسة كان رائعا قويا غاية القوة بصفة خاصة ، وتجلت هدية الرئيس سعد فيها اعظم جلاء

نستمع المتكلم الاول فنسلم بصحة وجهة نظره ، ونستمع الى المتكلم الثانى فنقتنع بقوة حجته ، ونصفي الى الثالث ثم الرابع ثم الخامس فنجد لكل منهم رأيا وجيها لاشك فى وجاهته ثم ينتهى سعد على غير انتظار بكلام فيه رصانة وقوة سخرية واقناع بغير اقلداع .

كانت الجلسة كأنها حفلة موسيقية سيمفونية كبرى بدأت هادئة بأنغام وأدعة ، ثم أخذت تعلو وتعلو وتتفرع وتنوع ، ثم تعلو وتزداد علوا ولا تهبط مرة واحدة ، ثم تنزح كالبحر العجاج المتلاطم الأمواج ، ثم تعلو وتعلو الى ذروتها فكانها رعد وبرق ، ثم تقف فجأة وفي النفس ما فيها من آثارها الساحرة المثيرة فسبحان من وزع المواهب ، وسبحان من نوع المذاهب ، وسبحان من علم الانسان ، علمه بالقلم واللسان ، وجمله بالاخلاق والفصاحة وكمله بحسن البيان وقوة الجنان .

والموقف الآن يتلخص في جملة أو جملتين :

معسكر الأغلبية في الوفد يوافق الرئيس على سياسته القاضية بامتناع الوفد عن الدخول في أية مفاوضات رسمية أو الاشتراك فيها ما لم توافق الحكومة البريطانية على أن مشروع ملر سيعدل بالتحفظات .

ومعسكر الاغلبية هذا يخالف الرئيس في عدم تأييده لعدلى ، وعلى الأقل في عدم تركه لعدلى في سلام حتى يؤلف الوزارة الجديدة ويتولى امر المفاوضات الرسمية ، كما يخالف الرئيس لامتناعه عن اصدار بيان للامة يهدف الى تمهيد الطريق أمام عدلى .

هذه هي الازمة التى لا حل لها ولا مخرج .

وهذه هي الصخرة التى سيتحطم الوفد عليها لا محالة فلننتظر وننتظر ، عسى أن يحدث الله بعد ذلك أمرا .

### رأى الرئيس في عدلى وتوفيق نسيم :

قال لى الرئيس اليوم في أثناء تناولى الشاى معه بعض المعانى الكاشفة الحاسمة :

١ - أنهم يظنون أنهم يستطيعون حملى على قبول ما لا أعتقد فيه ، أنهم يعتزون بأغليبتهم ، ولكن لن أخضع لهم أبداً .

٢ - (( انى لا أثق في عدلى مطلقا ، وهو عندى كتوفيق نسيم وغيره من خدام رجعية السلطان واموان الانجليز ، بل لعل

هؤلاء خير من عدلى لانهم معروفون في الامة بعدواتهم لها والعمل على كيدها ، والامة لهم متريصة متيقظة ، واما عدلى فيعتبر صديقا للامة ، ولا يكون عليه من العيون الساهرة والنفوس الساخطة المراقبة كالتي تكون لغيره . )

### علوبة يكشف عن ادور كثيرة :

١٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

علمت من الاستاذ محمد على علوبة انه اعتزم العودة الى مصر هو وجميع اعضاء الاغلبية وذلك في يوم ١٩ يناير ، ونصحني وهو غاضب وساخط على الرئيس ان اتركه وان اعود الى مصر كذلك واستأنف تربية ( رجال الغد ) على حد تعبيره ، اى ان اعود الى مهنة التدريس ، فلم انبس بكلمة واطرقت في سكوت وكمد .

ثم قال لى : (( انه لا يعرف ما ينبغي عمله بأموال الوفد التي هي أموال الامة . ))

فسألته عن مبلغها ، فقال : (( انها حوالى ٨٠ ألف جنيه ، وان كل ما جمع من مصر لم يتجاوز ٢٠٠ ألف جنيه .

فلم ابد رأيا ، لانى لا أحب أن ابدى رأيا على البديهة وعلى سبيل التطوع والفضول .

وبعد فترة ساكنة ساهمة حزينة قال :

(( اليس الخير لمصر أن يترك الوفد عدلى يسعى ويعمل من ناحيته بينما الوفد يسعى ويعمل من ناحيته الأخرى ، والمسيحان لا شك يفيدان البلاد . عدلى يخدم مصلحة عاجلة ميسورة ، والوفد يخدم مصلحة آجلة عسيرة ، والمسيحان والعمالان يتعاونان ويكمل أحدهما الآخر )) .

فقلت : (( هل تقصد ان عدلى يسعى ويحصل على ما يمكن الحصول عليه دون الاستقلال ، والوفد يسعى ويجاهد حتى يحصل على الاستقلال )) .

فقال : (( هو ذلك . ومع ذلك فمن يدري لعل تشبث ملنر ولجنته بموقفهم هذا من رفض الموافقة سلفا على التحفظات

انما يرجع الى عدم رغبتهم في مفاوضة سعد في المستقبل نظرا لخشونته وتصلبه ، انه أخرج ملنر أكثر من مرة وضايقه ، كما ان ملنر لم يعامل سعدا كما يجب أن يعامل به كزعيم كبير ، ورجل خطير . هذا ولا شك عندى في أن الانجليس سيتساهلون مع صديقهم عدلى السياسى الناعم المذهب ويسلمون له بما لا يمكن أن يسلموا به لسعد الخشن المتشدد . ما الضرر اذا جربنا ذلك واحتفظنا بوحدة الوفد ووحدة الامة )) .

فقلت : (( لماذا لا تؤجلون السفر حتى يتم بحث هذا الموضوع . ))

فقال : (( لا يا سيدى كفى اجتماعات وانفعالات ، اننا مسافرون الى مصر لا محالة في ١٩ يناير )) .

### ١٥ من يناير سنة ١٩٢١ :

انتقل الرئيس اليوم من مسكنه المؤقت في فندق الكونتنتال الى شقة مفروشة في منطقة التروكادبرو ، والشقة الجديدة بعيدة جدا عن مقر الوفد ( في شارع مارييف ) ، وقد قضيت النهار كله مع الرئيس لاشرا فى على عملية الانتقال ( العزال ) . وعندما أقول ( بعيدة جدا ) أقصد انى لا أستطيع الوصول اليها مشيا من مقر الوفد خشية ضياع الوقت فلا بد من الذهاب اليها بالأتوبيس وهو دائما مزدحم جدا في وقت ساعات العمل التى أنتقل فيها .

### جريدة المورننج بوست تشوه حديثا للرئيس :

### ١٦ من يناير ١٩٢١ :

جريدة المورننج بوست : الجريدة المسعورة للاستعماريين البريطانيين المحافظين نشرت اليوم خلاصة حديث أدلى به الرئيس الى ( أحمد نجيب ) ونشرته جرائد مصر مع جريدة الاخبار منذ يومين أو ثلاثة ، وقد تعمدت الجريدة المسعورة أن تنشره مقتضبا محرفا مشوها ثم علقت عليه بأن الحديث يكشف عن تغيير أساسى في خطة التعنت التى سار عليها زغلول باشا حتى اليوم ، واعتبرته نزولا على رأى عدلى بحجة ان الرئيس سعد قد اكتفى لقبوله الدخول في المفاوضات الرسمية أن يحصل على وعد ( مجرد وعد ) بأن تتضمن المعاهدة المنشودة نصا بالفداء

الحماية بدل ان تلغى الحماية من الآن كشرط اساسى ابتدائى .  
والرئيس لم يقل هذا ولم يقل شيئا قريبا منه كما اخبرنى بذلك  
.. وسأنتظر حتى تصل الينا الجرائد الرسمية واسجل فى  
مذكراتى هذه كل الحديث من اوله الى آخره . فلا فائدة من  
محاولة تلخيصه الان .

قلت للرئيس : الا تريد ان تنشر تصحيحا لهذا التلخيص  
والتعقيب والتشويه الذى تعمدته هذه الجريدة الاستعمارية ؟

فقال : كلا : ان الحديث الصحيح منشور فى الجرائد المصرية ،  
فليرجع اليه من شاء وسيتضح كذب هذه الجريدة وتلفيقها وسوء  
نيتها بغير مجهود منى عندما يتقصى المسئولون وغير المسئولين  
بحثا عن الحقيقة . وهذه الجريدة تعتمد التشويه ، وليس اعمى  
من الذى لا يريد ان يرى .



## الفصل الرابع

### ستة أعضاء اتفقوا على العودة الى مصر

١٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح الى مقر الوفد في شارع مارييف كالعادة ، وبعد ساعة من وصولي أو بعض ساعة حضر الأعضاء متفرقين كأنهم على موعد لعقد جلسة .

ولم يحضر الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا .

وحضر جورج دوماني وتسلم منهم جوازات السفر وأخبرني أن الأعضاء المعارضين للرئيس قد عزموا نهائيا على السفر الى مصر يوم ٢٠ الجاري ، وأنه ذاهب الآن لشراء تذاكر السفر برا وبحرا .

وشاهدت بين الأعضاء اضطرابا غير عادي وهو أشبه بالاضطراب والحركة السابقة للسفر الى لندن .

وبعد قليل دخل صديقي محمد على علوبة مسلما بشوشا كعادته .

فقلت له : (( يظهر انكم مصممون على السفر )) .

فقال : (( ان الحالة أصبحت لا تطاق ولا تحمل . ان الرئيس يهملنا ولا يقيم وزنا لرأي الأغلبية ، ولا يريد أن يتفاهم معنا . فالرأي رايه ، ويجب أن ننزل جميعا على حكمه ، أما هو فلا يحيد قيد شعر عن رأي كونه لنفسه ، ثم ان حديثه الأخير المنشور في مصر والذي لخصته جريدة المورننج بوست قد كشف عن سياسة جديدة له ، اذ يقول فيه (( ان الحكومة البريطانية اذا وعدت بأن تتضمن المعاهدة نصا بإلغاء الحماية فان الوفد

يتدخل في المفاوضات الرسمية . مع ان الوفد سبق ان قرر أنه لن يدخل في هذه المفاوضات ما لم تقبل جميع التحفظات . ثم استطرد فقال : سواء اكانت سياسة الرئيس الجديدة صوابا أم خطأ فليس هذا موضوع الخلاف وانما المهم انها سياسة جديدة انفرد بها واذاها وكان يجب ان يأخذ رأى الوفد فيها قبل ان ينشرها )) .

فقلت : (( يقينا ليس هذا سبب عزمكم على العودة الى مصر )) فقال : (( بل هذا سبب جديد يضاف الى الاسباب العديدة الاخرى التى تبرر عودتنا الى مصر )) .

وهنا حدثتبه بما دار بينى وبين الرئيس امس بخصوص ما نشرته جريدة المورننج بوست ، واكدت له ان هذه الجريدة قد عمدت تلخيصه خطأ ونشرته بعد تشويه وتحريف .

فقال : (( ولماذا لا يسرع الرئيس ويجمعنا ويعرض علينا الحقيقة ؟ او لماذا لا يرسل الينا نصر حديثه لنطلع عليه وهذا أقل ما ننتظره منه . ا ))

ثم قال في مرارة ظاهرة : (( الحقيقة هى اننا اصبحنا لا نستطيع التفاهم مع هذا الزعيم وهو يعتقد انه دائما على حق وصواب . واننا دائما على خطأ وضلال وليس بيننا حكم يحكم فيما ينشعب بيننا من خلاف . وفى كل الجماعات والاجتماعات كما تعلم . الرأى دائما للأغلبية ، فالأغلبية يجب ان تحترم وتطاع . والأقلية يجب ان يسمع رأياها . اى أن للأقلية الحق كل الحق فى حرية الكلام ، وللأغلبية الحق كل الحق فى تنفيذ رأياها وقراراتها بهذا تقضى القواعد الديمقراطية ومبادئها وتقاليدها ، بل بهذا يقضى النظام وبغير هذا يستحيل العمل ويستحيل التضامن ويصبح الأمر استبداد وفوضى ، وهذا ما وصلنا اليه الآن . وليس هناك حال أسوأ من هذا الحال ، والاستمرار عليه من المحال . ))

وهنا دخل صديقى الدكتور محمد صبرى ( السوربونى ) ومعه جريدة ( الاوفر ) الفرنسية واطلعنا على برقية مطولة نشرتها الجريدة لمراسلها فى القاهرة وخلاصتها ان الاستياء اصبح شديدا وما يزال يشتد ضد الوفد بين صفوف المعلمين وان المظاهرات قامت فى دمنهور والاسكندرية منادية بسقوط الوفد . وهاتفة بحياة الحزب الوطنى .

ولما كان قد حان موعد ذهابي الى الرئيس في مسكنه ، استأذنت من الاستاذ محمد على علوية في أن أنقل الى الرئيس حديثه معي مخففا ملطفا ، فاجاب مسرعا بل انقله اليه بغير تأطيف ولا تخفيف . واستأذنت من الدكتور صبرى في أن يعطينى هذا العدد من جريدة الاوفر لاطلع الرئيس على برفية مراسلها ، فلم يتردد في اعطائي اياها .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه وكان يطالع بعض الجرائد الفرنسية الصادرة صباح اليوم ، فلما دخلت عليه التفت بها جانبا لانه يعرف انى احمل اليه جديدا من اخبار الجرائد الانجليزية كل يوم .

قصصت على الرئيس كل ما شاهدت في مقر الوفد وكل ما سمعت وكل ما عرفت وقد دهش كثيرا من قرار الاغلبية على العودة الى مصر ، واطرق مفكرا كمن سمع نبا فاجعا ، ثم رفع راسه بعد قليل وقال :

(( ولا يحق المكر السيئ الا باهله )) . يا سبحان الله : اهم الذين يتمسكون بالتحفظات الآن لا أنا . وهم الذين روجوا مشروع ملنر في مصر ، وتطوعوا بالزيف والبهتان في تفسير مواده . وهم القائلون بتأييد عدلى وسياسته معروفة )) .

ثم اخذ الرئيس يضحك في سخرية واستهزاء ، بل لمحت في ضحكته شيئا اكثر من السخرية والاستهزاء : فيها مرارة وكمد ، وفيها ضيق وخرج ، وفيها ذكريات مؤلمات ومخاوف من متاعب مقبلات . ثم عبس الرئيس وتجهم وقال في جسد ظاهر :

### اعمل لخير مصر

(( انهم يريدون اسقاطي بمحاولة اتخاذ هذا الحديث سببا للعودة الى مصر وقد كانوا راغبين في هذه العودة من زمان طويل ولكنهم لم يجدوا فرصة ملائمة ، وقد وجدوها الآن ، انا لن اسقط ابدا لانى ما عملت ، ولن اعمل الا ما اعتقد انه في مصلحة مصر . فان كان في حركتهم منفعة لمصر فانا راض كل الرضا ، وان لم يكن فلازم ما اراد الله وقوع هذا الانقسام ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . ان هذه الازمة قد طالت واحتدت

واشئتد ولو بقيت على حالها هذا لما انحلت ، انا في الحق  
على صخرة والله لآبد أن ينصرنى )) .

احسست في هذه الكلمات ثقة بالنفس وإيماننا بالله : ثقة  
لا تتزعزع ولا تتزحزح ، وإيماننا يزداد في الملمات ، ويتضاعف  
في الازمات المدلهمات ، ولعل هذه من أكبر مظاهر هذا الزعيم  
العظيم .

وانتهزت فرصة سكوت الرئيس لحظة وقلت : ان احتجاجهم  
على خلاصة حديث تنشره جريدة انجليزية استعمارية سيئة  
النية معروفة الماضى في تشويه كل شىء وطنى مصرى لسخافة  
ما بعدها سخافة ، وسيدركون خطاهم وسخفهم عندما يطلعون على  
نص الحديث كما نشرته الجرائد المصرية فلا تحزن يا سيدى ولا  
تبتس ، إنما الشىء الذى عليه مسحة من الصحة والوجاهة هو  
اعتزازهم بأغلبيتهم وزعمهم عدم احترام الرئيس لراى الاغلبية .

هنا قاطعنى الرئيس وصرخ في وجهى وثار كأنى انا صاحب  
هذا الراى أو كأنى أو من بصحته ولم يتركنى حتى اكمل كلامى  
واعبر عن كل ما في نفسى ، وقال في عبوس وتجهم :  
(( ماذا تقول ؟ فقلت : هذا ما يزعمون وهذا ما سيبنون عليه  
قضيتهم في مسألة الانقسام والعودة الى مصر )) .

### الحق بين الاغلبية والاقلية

فقال في غضب :

(( ان ما قاله صاحبك محمد على علوبه كلام فارغ في حالتنا  
الراهنسة .

هل اذا وافقت الاغلبية على بقاء الحماية ، يخضع الرئيس  
لهذه الاغلبية لانها اغلبية ؟

هل اذا وافقت الاغلبية على مشروع ملئ ، يطيع الرئيس  
هذه الاغلبية لمجرد انها اغلبية ؟

هل المسألة مسألة ارقام واعداد حسابية يخضع لها الانسان  
ويطيع طاعة عمياء ، ام هى مسألة مبادئ وعقائد لا مجيد عنها  
ولا مناص ؟

لو أن لكل أغلبية الحق المطلق في انتزاع الموافقة والطاعة لها لما حل برلمان خذلت أغلبيته رئيس الوزارة باقتراع عدم الثقة به، ولكن الرئيس الذي يؤمن بأنه على حق يحل هذا البرلمان ويلجأ إلى الشعب لاعادة الانتخابات على أساس الموضوع الذي ثار الخلاف من أجله بين الرئيس وهذه الأغلبية . وفي أحيان كثيرة جدا تسفر الانتخابات عن فوز رئيس الحكومة وسقوط أعضاء هذه الأغلبية .

ولو أن كسل أغلبية تنال ما تريد ، وتحضّع لسلطانها كل رئيس مخالف لها ، وكل أقلية معارضة ، لها التآمر عدد من الأعضاء نزولا على مصلحة مشتركة يستفيدون منها ، وتكونوا منهم عصابة وأغلبية في أية شركة أو أية جمعية ، وحاولوا بهذه الأغلبية تحقيق منافعهم الشخصية وخدمة أهوائهم الذاتية وأدراك أغراضهم الخاصة ونيل ما يشاءون من المكاسب . ولكن المسألة ليست بهذه الفوضى ، فهناك قوة تردع الأغلبية وتكبح جماحها ، وتفلم أظفارها وهي المصلحة العامة . فإذا آمن إنسان كما يؤمن بأن الأغلبية قد تنكبت طريق المصلحة العامة ، وضلت سبيل الجماعة وهو طريق الإرشاد ، وخرجت على القانون الذي يحكم أو التوكيل الذي يحدد الحدود ويقيم السدود في وجوه الطامعين والخبائث ، هنا تجب الثورة على هذه الأغلبية ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق أو مخالفة القانون .

وهذا هو الحال بيني وبين هذه الأغلبية التي يعتز بها صاحبك محمد على علوية ، وأما بقية كلامه عن حقوق الأغلبية وحقوق الأقلية وواجباتها فكلام محفوظ في الكتب ويدرسه الطلبة في المدارس ويطبق في الشؤون العامة حين تخدم هذه الشؤون في حدود القانون وحدود النظام والخير العام ، ليس كذلك ؟  
يمكنك أن تعود إلى صاحبك محمد على علوية وتبلغه بهذه الحقائق ، وهذا لا كلام الصريح .

ثم سكت الرئيس عن الكلام .

سعد يرفض

وبعد الظهر حضرت إلى مسكن الرئيس وحضر على ما همر وواصف غالي وسينوت حنا ، وانصرفوا في الساعة الثامنة وعقب انصرفهم دعاني الرئيس وقال لي :

(( هل تعرف آخر الأنباء : فقلت ارجو أن اعرفها الان . فقال صاحبنا : ان الاعضاء العائدين يقترحون ألا يشترك في المفاوضات الرسمية الا انا وعدلى على أن أظهر الرضا عن ذلك . فرفضت ذلك رفضا باتا )) .

فقلت : (( حسنا فعلت )) . ثم أخذ يضحك من أعماق قلبه .



١٨ من يناير سنة ١٩٢١

انى اشعر شعورا غامضا بأن أحداثنا جساما ستقع في الايام المقبلة .

بهذا الشعور آويت الى فراشى ليلة امس ، وصحوت اليوم متخادلا الاعضاء ، ولا عجب فقد كان نومى غرارا ، فيه ارق واحلام .

وفي الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت في مقر الوفد جالسا امام مكتبى اطالع الجرائد الانجليزية ، واجمع ما فيها من مصر واترجمه الى العربية لأعرضه على الرئيس كالعادة . وفي الساعة التاسعة والرابع دخل صديقى الدكتور حامد محمود ، فسلم مهللا على طريقته ، وبعد قليل من سماعى اخبار غزواته تذكرت ما كان من أمره او ما توهمته في أمره ، فسالته لا سؤال الجاهل المستفسر بل العارف المتبصر .

— لماذا يا حامد سمحت لنفسك أن تخبر الرئيس بأن محمد على علوبه صديقى واننى كثير الاجتماع به ؟  
فقال : اليس هذا صحيحا ، وهل تنكر ذلك أو تريد أن تخفيه )) .

فقلت : كلا . . . انا لا انكر ذلك ولا اخفيه .  
فقال : ولماذا اذن تعاتبى وقد أخبرته بعد أن سالنى .  
فقلت : أنا لا أعاتبك وانما أريد أن أعرف المناسبة التى قبل فيها ذلك .

حامد : (( هل تذكر يوم أن مسكونى فى المصيدة : يوم أن نزلت الى كافيه فوكيه للجلوس معك .

وكان هناك محمد على علوبه والمكبائى وحمد الباسل وسالونى وضايقونى واحرجونى بمناسبة سافرى الى انجلترا لمقابلة مستر بلنت ، ولم أجب على أسئلتهم وانكرت كل شيء ؟ ))

**فقلت** : اجل اذكر كل ذلك ، وكان هذا في يوم ٨ يناير مساء .

**حامد** : في اليوم التالي قابلت الرئيس وقصصت عليه كل شيء فسالني .. هل كامل معتاد الجلوس مع هؤلاء الاعضاء الثلاثة ؟

**فقلت** : كلا .. كامل معتاد على الجلوس مع محمد على علوبة فقط وهو صاحبه .

**فقلت** : (( يا حامد .. انت تعرف اني انزل بعد الغشاء للجلوس في كافيه فوكيه للراحة من تعب اليوم واعماله . ثم اعود للنوم . فاذا انى احدهم وجلس معى فهل معنى ذلك انه صديقى ؟ )) .

**حامد** : (( هل انت مستاء منى ؟ ))

**فقلت** : (( كلا لست مستاء منك ؟ ))

**حامد** : (( ولماذا هذه المناقشة ؟ ))

**فقلت** : كلما ورد اسم محمد على علوبة على لسان الرئيس نظر الى وقال ( صاحبك ) ثم يوجه الانتقادات اليه .

**حامد** : انا انصحك ان تقلل اجتماعاتك به وبغيره .

**فقلت** : «لن افعّل ذلك ، والرئيس يعلم انى اريد ان اكتب تاريخ المفاوضات وحياة الوفد في لندن وباريس ولا بد ان احيط علما بكل التفصيلات ومن جميع الاطراف »

والآن قد حان موعد ذهابى لمقابلة الرئيس في مسكنه .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس اعرض عليه ما ترجمته هذا الصباح فلما فرغت . املى على الخطاب الاتى لارساله الى طاهربك اللوزى في القاهرة :

### خطاب الرئيس الى طاهر اللوزى :

باريس في ١٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

عزيزى طاهر بك

اهديك سلامى وبعد ، فقد وصل خطابك الاخير واستفدت منه الشيء الكثير ويسوؤنى أن أخبرك بأن الخلاف اشتد في الوفد اشتداد تعذر تلافيه مع ما بذلت من جهد ، وما وسعت من صدر

وما ضيعت من حق ، وما ضحيت من شعور ، ونقطة الخلاف الأخيرة تنحصر في أن المخالفين يريدون تأييد عدلي في خطته وأريد القضاء عليها ، لأنها مضرّة كل الضرر بالبلاد ولا يترتب عليها وعلى اتباعها إلا تأييد الحماية وضياع الاستقلال . وقد عزم المخالفون على العودة إلى مصر بعد أن أعياهم الجهد في حملي على إعلان الثقة بعدلي وذلك لكي يقوموا هم بهذا التأييد علنا أن مكنتهم أحوال الأمة منه ، أو سرا إذا لم تساعد هذه الأحوال . أما أنا فثابت في موقفى ، مصر على البقاء فيه ولو تخلى عنى جميع قومى ، لأنه خيرا لى أن يتخلوا عنى من أن أخونهم بالجري على خطة أراها مضرّة كل الضرر بهم ، وعلى الله توكلى ومنه أستمد معونتى والسلام .

سعد زغلول

### الاعضاء المسافرون يودعون الزعيم

١٩ من يناير سنة ١٩٢١

في الساعة العاشرة من صباح اليوم كنت مع الرئيس وهو في أشد حالات الانقباض وأخبرنى بأنه لم يتم ليلة الأمس إلا قليلا من كثرة القلق والحاح التفكير . وقال لى أنه يشعر بأنه لا يملك لنفسه أمرا وأن التدبير الآن لله وحده ، ثم قال فى إيمان عظيم « ان الله هودنى أن ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة من حيث لا أدري فلانتظر فرجه » .

وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة تستأذن فى دخول بعض اعضاء الوفد ، فخرجت لاستقبالهم فاذا هم اعضاء الاغلبية المسافرون الى مصر هذا اليوم .

دخل على الرئيس عبد العزيز فهمى وطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعبد اللطيف المكبانى وحمد الباسل وتركتهن مجتمعين وخرجت بعد أن أفلقت باب الغرفة عليهم ، ولا شك عندى فى أنهم حضروا للتوديع .

وجلس فى مكتبى أفكر وأنا فى عاطفة دافقة من الاسى والاسف ماذا يقولون وهم متخاصمون ؟ وفى أى موضوع يتكلمون وقد قتلوا كل موضوع بحثا ودرسا بغير تفاهم أو اتفاق ؟



هل يتفاهمون الآن بعض التفاهم على بعض المسائل ثم يفترقون أقل خصاما ؟ وبهذا يتفقون على ( هـدنة ) حتى ينجلي الموقف وتتضح معالم الأمور .

أو هل سيتعاطبون ويتشاحنون ثم يفترقون أعداء الداء بعد أن كانوا أصدقاء أو فياء . وبهذا تقوم في مصر ( حرب الأهلية ) لا يعلم مصائرهما إلا الله وهى وبيلة على كل حال ؟

كيف يتحدثون وقد سبق أن تحدثوا في كل شىء بغير نتيجة سوى الخلاف والانقسام ؟

هل يقتصرون على مجرد السلام والتوديع وما يصحب هذا وذلك من مراسم الملاطفة والابتسام ؟ .

لست أدري لماذا أحب دائما أن أسبق الحوادث ، وأحاول هكذا فكرت وأنا في دوامة من التفكير التنبؤ بما قد يكون أو لا يكون . لعلى أجد في ذلك رياضة للعقل وشحذا للخيال : أجد متعة في استعراض المقدمات والسير بها الى نتائجها قبل ظهورها ، وأجد متعة في تصور المواقف والاحوال قبل تطورها وطلوعها . ما أكثر الذين يعيشون في الماضي ويتحدثون عن شئون الماضي ، ولا يستعملون في كلامهم غير ( الفعل ) الماضي .

وأما أنا فلا أجد في الماضي إلا مخزنا ( أستخرج منه بعض الشواهد والعبر والعظات ) الوقت بعد الوقت ، وأحب التحدث عن شئون الحاضر ، وأميل الى استعمال ( الفعل المضارع ) في كلامى . وأرى في ذلك محكا للعقل والخيال ، وهذا خير صرف على كل حال .

وهنا فكرت مرة أخرى محمولا على نفس الدوامة : فكرت في موضوع آخر فكرت في الرئيس سعد وهو جالس وحيدا في غرفته بعد ليلة مؤرقة وتعب ظاهر وعلى اكتافه مخاوف وتبعات جسام . وفي أنحاء جسمه شيخوخة مضنية وجيش من السقام ثم يدخل عليه ستة من الرجال يهددونه بالانفصال عنه ، وأعلان الحرب عليه . . ألم يكف أن الانجليز ضده ، وأن عدلى عدوه ، وأن لعدلى أنصارا كثيرين في مصر يتزايدون يوميا بدافع المنافع العاجلة ، ألم يكف أن الاحكام العرفية البريطانية تفتك برجاله سعد وأنصار الوفد وتهدهدهم في حياتهم وأرزاقهم ؟ .



قلت : ( متى تسافرون ) قال اليوم . فقلت بسلامة الله .  
وقال لطفى السيد : ( اننا نريد ان نبحت الحالة ونقدم لكم  
تقريراً بها .  
فقلت : ( أشكركم ولا حاجة بى الى تقريركم فلا تكلفوا خاطركم  
بذلك ) .  
فسكتوا جميعاً ، وبعد ذلك خضت فى حديث عن سقاسف  
الامور .

ثم استاذنوا ووقفوا للانصراف .  
فقلت : وما الذى تم فى امانة الصندوق . فقال محمد على  
علوبة : ( كما تريد ) .  
قلت : تعطى الى واصف بك غالى ، فقال محمد على علوبة :  
كما تشاء .

قلت : ( هذا ما اشاءه ) .  
فقال علوبة : ( نبحت فى ذلك ) .  
واراد بعضهم ان يعود فيجلس للكلام فى هذا الموضوع ، فقلت  
على الرحب والسعة ، ان هذا محلهم . فقال احدهم : لا بل  
تذهب الى الوفد .  
قلت : كما تشاءون . وجاء فى كلام علوبة انه لا يغيب فى مصر  
الا شهرا .

قلت : تعود امانة الصندوق اليك بعد ذلك .  
فقال علوبة : ( سننظر فى ذلك ) .  
ثم انفضوا ، وعند وصولهم الى الباب قلت : ( انه لا أهمية  
لذلك ) .

هذا هو المحضر الذى املاه على الرئيس سعد بنفسه .  
وقد اذهلنى بل اذهلنى ما فيه من ايجاز وجفاء وخصومة  
صارخة مع التحدى المكشوف ، وانعدام روح المساواة والمساومة  
اصابنى حزن شديد يمازجه ذهول أشد .

وقلت فى نفسى : هذا انفصال الى غير اتصال ، وهذا افتراق  
الى غير لقاء . وقد انفجر الجفاء المكتوم ، والغضب المكظوم الى  
عداء ليس بعده عداء ، عداء لا يعقبه سلم وليس فيه بعد اليوم  
سلام .

وهذا الذى حدث فى الاجتماع الاخير : اجتماع الوداع اسوأ كثيراً مما تصورت فلا حول ولا قوة الا بالله .

وبعد ساعة خرج الرئيس من مكتبه . وذهب الى مخدعه .  
وخرجت من مكتبى وذهبت الى مقر الوفد بشارع مارييف  
لمقابلة صديقى محمد على علوبة حسب الوعد الذى اتفقنا عليه .

### آخر مقابلة لى مع علوبة :

فلما وصلت وجدت الاستاذ علوبة جالسا فى حجرة مكتبى فى  
انتظارى فاستقبلنى كعادته بابتسامته العريضة كأن شيئا يعكر  
الصفو لم يقع .

ثم سلمنى خطابا وشيكا باسم واصف بك غالى .

وفى الجواب يقول (( بما أننا مسافرون الى مصر فقد قرر  
الاعضاء الموجودون الآن بمقر الوفد ترك مبلغ ١٥٠ ألف فرنك  
لعمل الوفد ، وإذا احتيج الى أكثر من ذلك لو تأخرنا عن العودة ،  
ففيديونا فى الوقت المناسب لارساله ، وبرفقه خطابى هذا الشيك  
بهذا المبلغ )) .

فقلت : ان هذا القرار وهذا الخطاب سيفضيان الرئيس أشد  
الغضب .

فقال : لا خيلة لى فى ذلك أنه اراد ان يكون واصف غالى أمين  
الصندوق ولكن الاعضاء قرروا أن يعتبروه مساعداً لأمين الصندوق  
فقط . وأن يودعوا عنده هذا المبلغ ، وأنا رجل دستورى أطيع  
الإغلبية ، وقرار الإغلبية نافذ حسب قانون الوفد ، بل كل قانون  
على ظهر الارض .

ثم خرجنا من مقر الوفد لانتناول الغداء معه بناء على دعوته .  
وقد سألته فى أثناء الطريق : ما أثر مقابلتكم للرئيس فى نفسك  
ونفوس زملائك .

فقال : ان سعد باشا رجل شديد الاعتداد بنفسه . لقد كان  
صارما معنا أكثر مما ينبغى ولعله توهم ان زيارتنا له كانت واجبا  
عليه نؤديه له . أو أننا نريد منه خطاب توصية يزكينا لدى الأمة  
ويدراً عنا غضبها . كان يمكن أن يكون اللقاء والوداع فى جو

غير هذا الجو : فيه أسف متبادل وبعض الأمل في صلاح الحال .  
ولكن التعاون مع سعد زغلول مستحيل لأنه مطبوع على التمسك  
بكل ما يراه .

وقال لى في أثناء تناول الغداء :

(( ان الأمة ستتهز اهتزازا شديدا بعودة ستة من الاعضاء  
البارزين في الوفد لا سيما وهي عودة فجائية . ولم تسبقها  
مقدمات وليس لها سبب معروف .

وسنكشف كل الحقائق للأمة ولا يخالجننا شك في أننا  
سنكسب كل المتعلمين المثقفين في مصر ، فهدفنا جميعا واحد وهو  
الاستقلال ، وكل ما هنالك أن سعدا يسير في طريق مسدود ،  
ونحن نريد العمل في الطريق الوحيد المفتوح . وأن عدلى رجل  
سياسى ، والأمل الوحيد معلق عليه )) .

وبعد أن سكث قليلا استطرد فقال :

نحن ، لا نحتمل مسئولية سياسية ينفرد بوضعها الرئيس .

ونحن لا نرى رأى الرئيس في منع كل من يتصددى لاتمام  
العمل ، ومحاربة كل من هو قادر على العمل المثمر المفيد . وإذا  
كان سعد قد وضع القيود للوفد . فليس له أن يفرض هذه  
القيود فرضا على غيره من العاملين المخلصين . ))

فسألته : ماذا تقولون للأمة عند وصولكم الى مصر ؟

فقال : (( سنقول بصراحة )) ان الخلاف في الراى بيننا وبين  
سعد واقع . وان اخبار الخلاف والانقسام في الأمة تزايدت فأردنا  
الوقوف على الحقيقة واستشارة ذوى الراى من المصريين واننا  
سنعود قريبا الى باريس )) .

وهنا أنتهى الغداء . فذهبت الى المحطة : محطة الجاردى ليون  
... وحرصت على أن أكون في توديع الاعضاء المسافرين . ولم يكن  
هناك من المودعين الا على ماهر وسينوت حنا وأنا وكان الفتور  
باديا على الجميع .

فلما أظهرت الاسف لمحمد محمود باشا على هذا السفر قال :  
(( نحن في مازق لا مخرج منه ) . ولا بد من الخروج منه  
نحن او غيرنا من المصريين )) .

وفي الساعة ٢ بعد الظهر تحرك القطار المسافر الى مارسيليا حاملا لطفى السيد وحمد الباسل ومحمد على علوية ومحمد محمود . . وكان القطار يحملهم الى الدار الآخرة .

وفي الساعة الثامنة تحرك القطار الى مارسيليا حاملا عند العزيز فهمي وكان قطع تذكيرة السفر قبلهم ولم يجدوا في قطار المساء هذا أماكن للنوم . . وهو أكثر راحة من قطار الصباح . وكان في توديعه على ماهر وسينوت حنا وأنا . أما المكباتي فسيسافر غدا الى إيطاليا ومنها الى مصر .

والآن قفي الامر ، ووصلت الازمة الى نهايتها ، ولكن الرواية لم تتم فصولها .

## الفصل الخامس

### سعد يقول أنا الوفد

في الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبت لمقابلة الرئيس في مسكنه وسلمته خطاب محمد على علوبة ومعه الشيك بمبلغ ١٥٠ ألف فرنك ، فتسلمها الرئيس سناخرا وقال : (( اننى لا أترشح وإيمانى بالله لا يتزعزع ، أن وجودهم في باريس شر من عودتهم الى مصر ، )) وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون )) .

فسالته في استحياء : (( وماذا عسى أن يشعر الانجليز الآن بعد عودة الفريق الأكبر من الاعضاء ؟ ))

فاجاب : ( لا يهمنى ما يشعرون به أو ما يفكرون فيه : أنا الوفد . ولا أعمل الا ما اعتقد ، وليفعل الله ما يريد . ))

وفي المساء حضر حافظ رمضان لزيارة الرئيس . . . جلس معه أكثر من ساعة ، واتفق مع الرئيس على ارسال برقية منه الى جريدة الاهرام وهى تتضمن سفر ستة من أعضاء الوفد الى مصر بحجة بحث الحالة فيها ، ولكن السفر بقتة ثم بغير ارادة الرئيس . والظاهر هو أن عودتهم راجعة الى رفض الرئيس اقتراحهم بتأييد عدلى وسياسته .

### الرئيس يعين واصف غالى أميناً للصندوق

٢٠ من يناير ١٩٢١ :

كنت في مكتبى بمقر الوفد في صبيحة هذا اليوم أتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة وكان معى الدكتور حامد محمود والدكتور محمد صبرى ( السوربونى ) وأحمد نجيب مراسل

الاخبار ، وكانوا يتحادثون في أمر المنشقين الذين سافروا الى مصر أمس ، ويتنبأ كل منهم بلما عسى أن يعملوه في مصر بعد عودتهم .

وفجأة دخلت ( اوجستين ) الخادمة الفرنسية التي تنظف وتنظم حجرات الشقة التي اتخذها الوفد مقسرا رسميا له ، وهمست في أذني بان سائق سيارة الرئيس على الباب يريد التكلم معي . فاستأذنت اصحابي وتركتهم وقابلت سائق السيارة على باب الشقة ، فقال لي أن الرئيس في السيارة ويطلب مني أن أنزل لمقابلته . فنزلنا معا ، ووجدت الرئيس جالسا في السيارة وحده فطلب مني أن ادخل الى جانبه ففعلت . ثم قال :

(( خذ هذين الخطابين يا كامل واذهب بهما وحدك : احدهما الى مدير بنك دى روما ، والثاني الى مدير بنك الكريدى ليونيه . وقابل المديرين وسلم كلا منهما الخطاب المعنون باسمه )) ثم كرر الرجاء ان اذهب بهما فورا الآن .

ففعلت وبدأ لي من العنوانين انهما بخط واصف غالى . فعضمت بغير عناء انهما لا بد ينطويان على اشعار المصرفيين (( بأمين الصندوق الجديد )) .

وصدق تخميني اذ اوصلت خطاب بنك دى روما . وسألني المدير (( هل انت واصف غالى بك ؟ )) فقلت : لا . انا السكرتير الخاص لرئيس الوفد . فقال (( اخبر الباشا اننا سنعتمد امين الصندوق الجديد )) . ثم اوصلت خطاب بنك الكريدى ليونيه وقال لي المدير : سنعمل بما فيه . وذهبت الى مسكن الرئيس وأبلغته ما تم ، وسألني هل ذهب معك دوماني :

فقلت : كلا ذهبت وحدي . قال احسنت . ولا تخبر احدا .

### جريدة التيمس تنتقد حديث الرئيس !

٢١ من يناير سنة ١٩٢١ :

يظهر أن الحديث الذي سبق ان أدلى به الرئيس الى احمد نجيب ونشرته جريدة الاخبار والجرائد المصرية ، ثم نشرته



- ملخصا محرفا جريدة المورننج بوست في ١٦ من يناير وأغضب أعضاء الاغلبية في الوفد ، كان حديثا مشـوها لم يفهم على حقيقته .

فقد نشرت جريدة التيمس في عددها الصادر صباح اليوم رسالة من مكاتبها في القاهرة وصف الحديث بأن فيه بعض الغموض والابهام وفي بعض اجزائه تناقض ، وان تأثيره في الرأي العام في مصر كان سيئا جدا لقله ما فيه من صراحة ، وقد استفاد من ذلك خصومه واستغلوها استغلالا سيئا حتى اضطرت جريدة الوفد نفسها ( اى جريدة الاخبار ) الى انتقاده ، وان البسخط عام لان الناس فهموا منه أن زغلول باشا مازال على اتصال مع الحكومة البريطانية وكانوا يجهلون ذلك .

ماكدت أفرغ من ترجمة هذه الرسالة حتى تذكرت أن أحمد نجيب سبق أن قال لى : أن الرئيس هو الذى يضع بنفسه الاسئلة والاجابة عنها ، وضرب لى مثلا على ذلك ، أن الرئيس وضع سؤالا على الوجه الآتى :

(( سمعت أن صديقا لمصر يسعى للتوفيق بينكم وبين الحكومة البريطانية ، فهل هذا صحيح ؟ )) والرئيس يقصد بهذا الصديق مستر بلنت .

وللمرء أن يتساءل : كيف يعرف مراسل الاخبار ان صديقا لمصر يقوم بهذه المهمة في الوقت الحاضر الذى تبدو كل الظواهر فيه ان الصلة مقطوعة بين الرئيس والانجليز ؟ ثم هل المراد أن ذلك فتح باب الامل امام المصريين ؟ أو ما هى الحكمة من توجيه سؤال بهذا المعنى ؟ لعل هذا هو الغموض أو الاتهام الذى أشار اليه مراسل التيمس .

انتقلت الى مسكن الرئيس وأطلعته على المنشور في جريدة التيمس ، فتألم لذلك كثيرا وأخبرنى بأنه تلقى خطابا من مصطفى النحاس بهذا المعنى كذلك .

### خطاب الرئيس الى سعيد زغلول !

ثم سكث وأطرق وفكر ، وأملى على خطابا مسهبا الى سعيد زغلول (( وكثيرا ماكتب اليه خطابات سياسية شارحة المسائل

السياسية ومشكلات الساعة ، واقتبس من هذا الخطاب  
العبارة الآتية :

١ - سافر ستة من أعضاء الوفد الى مصر لانهم ارادوا منى أن  
أعلن الثقة بعدلى وخطته ، فلم يطاوعنى ضميرى لاسباب عديدة  
أن أوافقهم على ذلك ، فسافروا لينفذوا فى الامة خطتهم على  
ما هو ظاهر . وما أردت أن أعلن للامة خلافهم ولا أن أفند  
للناس آراءهم استبقاء للوحدة ان كانت باقية ، وابتعاد من أكون  
السبب الاول فى هدم ما بنيت ، والعامل على تشتيت الشمل  
الذى جمعت ، وسأبقى ساكنا حتى تنقشع السحابة . والله ولى  
الصابرين .

٢ - ولا يخالجنى شك فى أن وصولهم الى مصر سيولد كثيرا من  
الظنون ، ويشير كثيرا من الشكوك وهو ما آسف له أشد الاسف ،  
ولكن نفذ القضاء ولا راد لحكمه ، كان الله لا يريد لهذه الامة  
خيرا فقد ضلت عقول كثيرة . واشكل عليها الجلى الواضح .

٣ - قال قوم بمناسبة حديث ( الاخبار ) ان الوفد غير خطته ،  
وقال آخرون انه لطفها ، وبنى كل على فهمه من الاوهام ما بنى

وانى لشديد الحزن لانى لم ار من بين هؤلاء من يقول على  
الحديث انه شرح خطة الوفد وجلاها : لا تطبقا تشبده ،  
ولا تعديلا لخطه ، بل ايضاح لحقيقة ، وقد قيل لى ان كثيرا من  
المقلاء فهموها على غير وجهها .

٤ - ظننتم أو ظن أكثركم انى اطلب قبل الدخول فى المفاوضات  
الرسمية أن نحصل على إلغاء الحماية فورا بحيث لا تدخل مصر  
فيها الا وهى حاصلة بالفعل على تمام استقلالها ومطلقة من قيد  
الحماية . والحقيقة انى طلبت قبول التحفظات ، وان يشتمل  
المشروع على نص يلغى الحماية . وليس المشروع الا مجموعة  
اقتراحات او توصيات يقدمها ملتر الى حكومته . وعجيب شأن  
الناس ان يتوهموا من التاكيد الذى طلبناه ، انه مجرد وعد  
شفوى ، مع أن التاكيد قد يكون وعدا كتابيا او شفويا ، وقبلا  
يكون رسميا او عرفيا . فلماذا اختارت هذه العقول أخس أنواع  
التاكيد ، ونسبت اليها الاكتفاء به ، واولت ما اولت ونسبت ان  
الذى يقول بهذا التاكيد هو الذى وضعت الامة ثققتها فيه . ألم  
يكن من العقول ان يظن بهذه الثقة خيرا ، ويترك له تقدير التاكيد  
ودليله ، وتتنظر بحسابه وقت الحساب ؟ اليسست المناقشة فى

هذا الموضوع وأشباهه عرضا من أعراض الهبوط الذى يقال انه نزل بالامة فتخطت في سرها ، وكأنها تريد الخلاص من قادتها . فظهرت بمظهر ألتظنن في أعمالهم . والشاك في نيائهم . وما اتوا بمشكك ولا صدرت منهم شبهة ، بل لم يزدادوا على الايام الا تمسكا بمبادئهم وتعلقا بخططهم ؟

٥ - سامح الله هؤلاء فيما يشكون وفيما يتناولون . وسوف يعلمون انهم كانوا على خطأ عظيم وان الذى شرفوه في اول الامر بثقتهم لم يعمل الا على تحقيقها . ولم يكن له ذنب سوى كونه اعتمد على معونة من ضعفوا عن المعاونة ، وليلعلموا انه ثابت في مركزه . مقيم على عهده لا يتحول عنه قيد شعرة .

٦ - انى اعتقد ان المفاوضات الرسمية التى قيل عنها ما قيل ان هى الا خدمة . ولا يمكن ان يترتب عليها مزية أكثر من الزايا التى اشتمل عليها مشروع ملتر ، وانهم يعتمدون على نجاح هذه المفاوضات على ثلاثة عوامل : الزمن والسلطة والصيغ .

● الزمن : يولد الملل ويزيده

● والسلطة : ترغب وترهب .

● والصيغ : تقسم الآراء . فمن أخذ بظاهرها الغلاب الخداع ، ومن ناظر الى باطنها المظلم الخطير ، فاذا دخلت الامة في المفاوضات قبل تعديل المشروع بالتحفظات فانها لا تنتهى منها الا وهى منقسمة بدل القسمين اقساماً ، ومصابة بدل الهبوط هزالاً ، ويبدل الملل ياساً ، فتقبل ما كرهت ، وتمضى على ما رفضت .

### تأليف رابطة للموظفين البريطانيين في مصر :

٢٢ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جريدة ألتيمس اليوم ( بل كل الجرائد الانجليزية ) خبراً خطيراً من مراسليها بالقاهرة تطير له الرئيس ، وتشأم به وقد جاء فيه :

(( ان الموظفين البريطانيين الموجودين الآن في خدمة الحكومة المصرية قد عقدوا امس اجتماعاً هاماً انتهى بتأليفهم نقابة او رابطة ) ترعى مصالحهم في الحال والاستقبال . وذلك حتى

لا يسمح سوء أو طرد من أى نظام أو تغيير قد يطرأ على الإدارة المصرية كنتيجة للمفاوضات الرسمية المقبلة )) .

وقال لى الرئيس : (( ان هذه المسألة فى منتهى الخطورة )) .  
فسألته : (( وأى خطر أو أخطار فيها ؟ ))

فقال الرئيس :

(( لاجل أن تدرك مدى فداحة الأخطار التى أثارها فى نفسى هذا النبأ يجب أن تعرف أولا تكوين الحكومة المصرية أى الإدارة المصرية فى الوقت الحاضر :

الوزراء المصريون ممنوعون من البت فى أى موضوع إلا بعد أن يبت فيه المستشارون البريطانيون أولاً ، فالوزير المصرى لا ينظر فى أية مسألة أو أية ورقة إلا بعد أن يؤشر عليها المستشار البريطاني ، بهذا قضى الاحتلال ، وبهذا يحكم الاستعمار .  
ثم انظر بعد ذلك الى عدد الانجليز ووظائفهم فى الحكومة وعدد المصريين ووظائفهم تجد الفرق شاسعا :

١ - جميع وظائف المستشارين فى كل الوزارات يشغلها الانجليز ( ولا تعرض أية مسألة على مجلس الوزراء الا بعد أن يوافق على عرضها المستشار المالى ويحضر جلسات مجلس الوزراء المستشار المالى الانجليزى . ولا يجوز الاجتماع فى جلسة فى غيابه ) .

٢ - جميع وظائف وكلاء الوزارات يشغلها الانجليز .

٣ - جميع وظائف مديرى العموم يشغلها الانجليز .

٤ - كل وظيفة سكرتير عام أو سكرتير مالى يشغلها الانجليز .

٥ - جميع الوظائف الرئيسية فى الجيش والبوليس يشغلها الانجليز ( والدرجات الصغرى يشغلها المصريون ) .

٦ - جميع وظائف المراقبين ورؤساء الأقسام واللجان يشغلها الانجليز .

٧ - تسعة اعشار الدرجات الاولى يشغلها الانجليز ( والعشر يشغلها المصريون ) .

٨ - ثلاثة ارباح الدرجات الثانية والثالثة والرابعة يشغلها الانجليز ( والرابع يشغلها المصريون ) .

٩ - الدرجات الخامسة والسادسة والسابعة وما هو اقل منها يشغلها المصريون .

١٠ - درجات الخدمة السائرة يشغلها المصريون .

١١ - حوالي ٤٠٪ من ميزانية الموظفين تذهب الى جيوب الانجليز مع ان عددهم لا يكاد يزيد على ١٥٪ من عدد موظفي الحكومة من المصريين .

١٢ - وفي السنتين الاخيرتين عين الانجليز عددا كبيرا من ابناء وطنهم الانجليز في الوظائف التي كان يشغلها المصريون قبل خروجهم الى المعاش .

فماذا يتضح من هذا كله ؟

يتضح ان الاداة الحكومية بما فيها الجيش والبوليس تحت السيطرة الكاملة للانجليز ، فان شاءوا شلوها بالخروج دفعة واحدة او بالاضراب جملة اذا كانت لهم طلبات وترفضها حكومة مصر المستقلة . فكل حكومة مصرية مستقلة ستكون تحت رحمتهم ، فاذا تذكرت بعد ذلك ان وراء هؤلاء الموظفين الانجليز مندوباساميا بريطانيا ينتصر لهم دائما ، وجيش احتلال يؤازرهم دائما ، امكنك ان تدرك مدى النكبة )) .

وهنا سكنت الرئيس قليلا ثم استنرد فقال :

(( الا تذكر ان موضوع الموظفين الانجليز في خدمة الحكومة المصرية كان من الموضوعات الهامة التي بحثناها مع ملتر ، واهتمت بها لجنة ملتر اشد اهتمام ؟

الا تذكر ان ملتر سألني ماذا تنبوى ان تصنع مصر المستقلة بهؤلاء الموظفين البريطانيين ؟ .

فاجبته بان مصر المستقلة ستكون حرة في ابقاء من تريد واخراج من تريد مع اعطائه التعويض المناسب ، وهو مرتب شهر عن كل سنة خدمة . ولكن اقتراحي هذا رفض . ومع ان لجنة ملتر نفسها قد اعترفت بان عددا الموظفين الانجليز قد زاد زيادة فادحة في السنوات الاخيرة : زيادة اكثر مما تقضى به الضرورة ( على حد تعبير ملتر ) . فانهم لم يقبلوا اقتراحي ، وهددوا باننا اذا اغضبنا هؤلاء الموظفين فانهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية جملة ومن تلقاء انفسهم ، ولو فعلوا ذلك لوقعت كارثة للحكومة المصرية .

ولجنة ملتر بعثت الينا بعد ذلك بمذكرة خاصة في هذا الموضوع ، وفيها نص اقترحتة لكي يدمج في صلب مشروع

المعاهدة . وهو يقضى بأن الضباط البريطانيين في الجيش والبوليس والموظفين والبريطانيين الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز إنهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية . وتحدد المعاهدة المعاش والتعويض الذى الذى يجب أن تمنحه الحكومة المصرية لهؤلاء الضباط والموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون المصرى الحالى ، ومعنى هذا فيما أراه وأخشاه :

أولا : أن تدفع لهم الحكومة ملايين الجنيهات على سبيل التعويض لخروجهم قبل سن المعاش .

ثانيا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم مجموع ماهياتهم حتى بلوغهم سن الستين وهو سن الاحالة الى المعاش .

ثالثا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم معاشات تدفع لهم مدى الحياة . .

رابعا : أن تدفع ملايين الجنيهات على سبيل التعويض للانجليز الذين لا يستحقون معاشا لانهم يعقود تتجدد .

والآن تتألف رابطة لهؤلاء الموظفين البريطانيين ليحددوا بأنفسهم هذه الملايين التى ستدفع باسم التعويضات ومعاشات ومكافآت وما الى ذلك فى المطامع الاشعبية ، بل هى أفدح من الاشعبية : لانها بريطانية والجشع البريطانى لا يعرف احدا . وانى أتذكر الآن ان هرست المستشار القانونى فى وزارة الخارجية البريطانية وعضو لجنة ملنر حدثنى مرة فى هذا الموضوع وأظهر العطف والرئاء لمستقبل هؤلاء الضباط والموظفين البريطانيين ووصفه بأنه مستقبل مظلم بعد استقلال مصر . فقلت له من أين تأتى مصر بكل هذه الملايين من الجنيهات لتدفعها لهم زيادة على ما هو مخول لهم بحكم القانون المصرى الحالى ؟ .

فاجاب باسمنا : هذا ثمن الاستقلال : قالها بغير حياء أو خجل . وماذا يهمه أن تخسر مصر ملايين الجنيهات ليكسبها مالا حراما أبناء جلدته ، بدل أن تصرفها مصر الفقيرة لرفع مستوى أبنائها الحفاة العراة من العمال والفلاحين «

وهنا أطرق الرئيس كعادته عندما يفكر . ثم قال (( ما أحوج مصر الى حكومة قوية ، ان الاستعمار لا يفهم ولا يرحم وهو يمتص

دماء الشعوب وأموالهم وخبراتهم وكل ما واردتهم حتى لا تقوم لهم  
قائمة ، فهو سل الجنس البشرى وسرطانته .  
ولا حول ولا قوة الا بالله )) . .

### الرئيس يعد بيانا للامة :

٢٣ من يناير سنة ١٩٢١ :

قبل انصرافى فى الساعة العاشرة من ليلة أمس من مسكن  
الرئيس طلب الى أن احضر اليوم مبكرا لامر هام بدل أن اذهب الى  
مقر الوفد لتصفح الجرائد الانجليزية قبل زيارته .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت مع الرئيس فاخذ يملئ  
على بيانا اعده للامة بين فيه سياسته بكل وضوح ، وما قرأه  
عليه . وفرغنا منه فى الساعة العاشرة تماما ، وتسلمه منى ليطلع  
الاعضاء الثلاثة عليه ( على ماهر وأصفغالى وسينوت حنا ) وهم  
مقدمون اليه بعد قليل . وانصرفت الى مقر الوفد لاطلع على  
الجرائد الانجليزية وترجم ما فيها عن مصر ثم اعود الى الرئيس  
ثانية .

وكان اهم الجرائد الانجليزية ( جريدة مورننج بوست ) فقد  
نشرت وحدها مقالة افتتاحية مطولة أبرزت فيها سياسة الرئيس  
سعد وسياسة عدلى ، ثم تناولت انقسام الوفد نفسه الى  
فريقين : فريق المتطرفين برياسة زغلول ، وفريق الاغلبية يتزعمه  
عبد العزيز فهمى الذى ينتصر لسياسة عدلى . ثم تناولت انقسام  
الامة وبلبله الراى العام المصرى بين هذين الفريقين . وهاتين  
السياسيتين . وختمت مقالتها بالتهكم المعتاد وبالزاوية الساخرة  
سببتها على رأس مصر والمصريين ، واتهمتهم بالجدل العقيم والتعلق  
بالاوهام وطبعهم الاصيل فى اغماض العيون على الحقائق البارزة ،  
وتجاهل الواقع المموس ، وزعمت ان المصريين سيظلون منقسمين  
الى ابد الابد ، فان اتحدوا يوما اختلفوا شهورا ، وان اتحدوا  
شهورا اختلفوا بعد ذلك سنوات وسنوات بحجة أنهم غير عمليين  
ولم يمارسوا الشؤون العامة ولا سيما السياسية منها قبل الآن .

وفى هذه المقالة حقائق لا شك فيها عند شرح سياسة الرئيس  
وسياسة عدلى ولكن فى المقالة اكاذيب واباطيل ودعاوى فيها امتهان

للعقول واهانة للمصريين ، ولعنة الله على هؤلاء المستعمرين الذين ماتت ضمايرهم وعميت بصائرهم .

ولما عدت الى الرئيس وأطلعته على ترجمة المقالة وكان معه الاعضاء الثلاثة ، أدهشني أنهم لم يتأثروا بها كما تأثرت . بل رأى الرئيس ان نشر هذه المقالة في مصر واجب ، لان فيها بياناً صريحاً وصادقاً عن اختلاف السياستين وهو ما يجب ان يعرفه الشعب المصرى معرفة تامة . وفيها كذلك ما يلدغ كرامة المصريين ليتحدوا بعد خلاف ، ويفيقوا بعد غفلة ، ويدركوا خطر الانقسام واستمرار الخصام .

وقد كلف الرئيس ( أحمد نجيب ) أن يرسل هذه المقالة الى جريدة الاخبار لنشرها ، وفي المساء اجتمع الاعضاء الثلاثة بالرئيس مرة ثانية لمناقشة البيان الذى أعده ، واستمر الاجتماع ساعتين .  
٢٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

كلفنى الرئيس قبل ظهر اليوم أن أرسل البيان لتلغرافيا مستعجلا الى مصر على أن أعيد كتابة هذا البيان بالحروف الافرنجية بدل ترجمته الى الفرنسية والانجليزية وذلك حتى يظهر بنصه العربى كما وضعه الرئيس ، وقد استغرقت هذه العملية ساعة كاملة . ثم أعطانى الرئيس ألف فرنك لأصرف منها اجرة ارساله الى أمين الرافعى بجريدة الاخبار ، فحملت البرقية الى مكتب التلغراف فى الشانزليزيه . فطلب منى الموظف المختص ١٠٤٨ فرنكا اجرة ارسالها مستعجلا فاستكثرت المبلغ وطلبت اليه ارسالها عادية . فتكلف ذلك ٣٩٢ فرنكا فقط ، ثم عدت الى الرئيس معتذرا عن تصرفى هذا قائلا انى لم أجد معى ٤٨ فرنكا وهى الزيادة على الالف فرنك التى أعطاها الى قلم يستأ كما توهمت ، ثم أملت على برقية اخرى لارسالها الى مصطفى النحاس . جاء فيها ، « أن المسافرين العالدين لم يكلفوا باية مهمة وأن سفرهم كان على غير موافقته ، وطلب منه أن يطلع على بيانه الذى أرسله الى أمين الرافعى »

وفى الساعة الخامسة مساء حضر وفد كبير من الطلبة المصريين فى فرنسا لمقابلة الرئيس ، وظلوا معه قرابة ساعتين أطلعهم فيها على كل التفاصيل ، وخرجوا من عنده فاهمين مسرورين ، ولكن أسفين للحالة التى وصلت اليها قضية البلاد ، وساخطين على الاعضاء العالدين الى مصر .



٢٥ من يناير سنة ١٩٢١

حضر الرئيس صباح اليوم الى مقر الوفد في شارع مارييف ، وكان في انتظاره على ماهر الذي رجا الرئيس وتوسل اليه أن يرسل تلغرافا مستعجلا بمنع نشر « بيانه » في مصر بحجة أن المحكمة تقضى بالسكوت في الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه ليس من الملائم أن يربط نفسه ويقيدها بخطة وسياسة معينة في بيان منشور لا سيما في الوقت الذي هو على اتصال فيه مع ملتر عن طريق مستر بلنت ، ثم حضر واصف غالي وسينوت حنا وانضموا الى على ماهر في رجاؤه . وأخيرا وبعد معارضة وافق الرئيس : لا عن اقتناع وانما عن رغبة في المسالمة وفي عدم اغضاب الاعضاء القليلين الباقين معه . وجاء الى على ماهر في مكتبتي وكتب معي هذه البرقية التي تمنع النشر قائلا « الحمد لله لأنك لم ترسل ذلك البيان برقية مستعجلة ، أما هذه البرقية فاني أرجوك أن تنزل فوراً وأن ترسلها مستعجلة » . ففعلت . . ولكني لم أكد أدخل مكتب التلغراف حتى وجدت الدكتور حامد محمود يلهث في الجري ورائي قائلا « لا ترسل البرقية » فعدت معه ، ولو أنه تأخر دقيقة واحدة لكانت البرقية في الهواء في طريقها الى مصر . فلما دخلت على الرئيس ( وكان عنده على ماهر ) غير صورة البرقية بأن جعلها ( واحفظ البرقية العربية بالبيان لتستعمل منها مقالاتك ولا تنشرها الآن ) . فأخذتها وخرجت ، وخرج معي على ماهر قائلا : « مادامت النتيجة أن البيان لا ينشر فلا تهمة صورة البرقية » . ورجاني أن أسرع الخطي لارسال هذه البرقية مستعجلة » ففعلت وأنا في دهشة بل في شبه ذهول مما حدث .

ولكني بعد التفكير أدركت أن على ماهر على حق ، لان أعضاء الاغلبية العائدين سيصلون الى مصر اليوم أو غدا ، وأن الضرورة تقضى ألا يصدموا صدمة أليمة مدوخة ببيان صريح من الرئيس ينشره في مصر قبل وصولهم اليها بيوم واحد فيستقبلهم المصريون بعد ذلك شر استقبال .

### وصول الاعضاء الى مصر

٢٦ من يناير سنة ١٩٢١ :

أمس وصل الاعضاء الى مصر . واستقبلوا استقبالا باردا أو فاترا ، وسئلوا أسئلة محرجة . هكذا نشرت الجرائد الانجليزية

الصادرة صباح اليوم ( التيمس والمورتنج بوست ووستمنستر جازيت ) والعجب العجاب أنها ذكرت بالدقة أسباب الخلاف وأسباب العودة وما ينتظر من تطورات . كما ذكرت أن العائدين الى مصر اضطروا الى انكار وقوع انقسام في الوفد أو خلاف مع الرئيس ، ووعدوا تحت ضغط السائلين الملحين أن يذيعوا بيانا غدا

### برقية وحديث

وقبيل ظهر اليوم تلقى الرئيس بوقية من جعفر فخرى المحامى بالاسكندرية يسأل فيها عن صحة ما أذاعه أعضاء الوفد العائدون من أنهم سيقومون بمهمة وفدية . فقال لى الرئيس :

« أنا فى حيرة : هل أنشر الحقيقة وأبعث اليه بتكذيب ما زعموه وأذاعوه ، أو أتريث قليلا ؟ أنا لا يغالجنى شك فى أنهم سينضمون الى الأعضاء الثلاثة : شعراوى باشا وعبد الخالق مذكور باشا وجورجى خياط ، وهم الذين لم ننتخبهم للاشتراك مع من عرضوا مشروع ملنر ، وسيكونون تسعة ونحن أربعة هنا ، اذا أعلنت الحقيقة كنت البادى بأذاعة الانقسام والخصام ، واذا سكت أفسحت لهم الطريق لينشروا ما يشاءون من دعاية جدابة خطيرة . انهم سيقولون أن الوفد قرر بالاجماع عدم الدخول فى المفاوضات الرسمية والاشتراك فيها الا بعد أن تقبل كل التحفظات ... الخ . ويضربون على هذه النغمة حتى لا يظهر أنهم على خلاف معي ثم يقولون : ولكن اذا أتاح الله لبلاد رجلا مثل عدلى يتعهد بأن يحقق تلك التحفظات كلها أو يستقيل ، فإن الوفد يؤيده ويساعده من الخارج وبيبارك جهوده » .

ثم سكت سعد وأطرق ثم قال :

« هذه الدعاية المسمومة هي التي أخشاه وأخشى عواقبها . وذلك لاني أعرف الناس بعدلى وضعفه ، كما أعرف أنه لا يؤمن بهذه التحفظات ولا يوافق عليها . وسأراني مضطرا عاجلا أو آجلا فى ابداء رأيى صراحة ، وحيثذاك يظهر الانقسام ويتجدد الخصام »

وفى المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وأطلعهم الرئيس على برقية الاستاذ جعفر فخرى وخاوطره وحيرته بشأنها ، ودارت بينهم مناقشة واستقر الراى فى نهايتها على

ضرورة التريث وحكمته ، ولكن الرئيس سكت في وجوم لا سكوت  
المقنع :

### خطاب هام جدا من الرئيس الى طاهر اللوزي

٢٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

املى على الرئيس اليوم خطابا على أعظم جانب من الاهمية  
لارساله الى طاهر اللوزي ، واهمية الخطاب في نظري ترجع الى  
ما فيه من براعة في تصوير الواقع ، وبيان للحقائق في أسلوب  
رائع وكشف لروح أبية عالية ، وثقة بالنفس ضافية ، وهذا هو  
نص الخطاب :

عزيزي طاهر بك :

« اعتر المخالفون بعددهم وأعجبتهم كثرتهم فشمتغت أنوفهم  
واستطالوا على وحدتنا فقسموها وعلى حقنا فهضموها ، فنقضوا في  
اجتماع خاص بهم ماسبق أن قرره الوفد في اجتماع عام باشتراكهم ،  
رفضوا مبلغا أذا بصرفه ، وصرفوا مبالغ ثم ناذن بها ، وأبوا أن  
يسلموا أمانة الصندوق الى من عيناه من غيرهم ، وقدروا للصرف مدة  
غيابهم مبلغا لم يأخذوا في تقديره رأينا مكتفين بتقديرهم كأنهم  
من أمرائنا وكأننا من أتباعهم ، قرروا عودتهم بدون علمنا وأخبروا  
اللجنة المركزية من عندهم وأعلنوا بذلك للملا انقسامنا وخلافهم .  
ظنوا أن الأمة قد هوى الضعف بروحها ، ولوى اليأس بعزمها  
واستعدت للاستسلام ، فسارعوا اليها ، لا لكي يقوموا ضعفها  
بل ليستميلوها الى الثقة بمن شكت في إخلاصه ليحسن تسليمها  
والى الشك فيمن وثقت بهم ليمتنعوا عن عونها ، متوهمين أنها  
ستتشدد الحشود للقائهم ، وترفع البنود للاحتفاء بهم ، فلم يكن  
من الكثيرين الا أن امسكوا عن مقابلتهم ، ومن غيرهم الا أن واجهوهم  
بما يكرهون ، وطالبوهم أن يعلنوا في الخلاف رأيهم ، فلم يسعهم  
الا أن أنكروه ثم نشروه معترفين بما أنكروه ومنكرين ما أعلنوه .  
ولا أدري اذا كانت نفوس القوم طابت بما أعلنوا ورضيت بما  
نشرنا مع سكوتي عن موافقتهم ، ولكن يظهر أنها لم ترض به تمام  
الرضا لأن بعضهم طلب مني أن انشر بلاغا ألقى فيه ذلك الخلاف  
وأؤكد تمام الاتفاق ، فلم استحسن طلبهم لأن فيه تفريرا بالأمة  
ومناقضة للحقيقة التي عمل المخالفون أنفسهم على إعلانها ، وأيدوها

بقولهم وفعلهم حتى تغنت بها الجرائد الانجليزية كما تغنت بهم وباعتدالهم . ولان هذا الخلاف لا يرجع الى اسباب شخصية حتى يهون احتماله ، ويرجى زواله ولا يضر اخفاؤه ، ولكنه يرجع الى الاختلاف فى الغاية وفى الشعور . فهم ملوا العمل وقطعوا الامل وقليل ما اعطينا كثير فى نظرهم ، وقريب ما نرجو بعيد فى اعتبارهم . والمشروع عندهم يهدى مصر استقلالها ويبوئها اشرف مركز بين الامم ونرى فيه حماية لا يبوئ من المراكز الا انعساها . ولا يفيد الا ضياع الاستقلال . فكيف يمكن التوفيق بين هذين الرايين ، وهاتين الغايتين ؟ ولو كان امره منحصرنا بيننا ، ولم يشعر به خصمنا لتسامحنا ما امكننا ، لكنه علم به على وجه يرفع الطمأنينة ويضعف كل ثقة ، ومتى انعدمت الثقة بين جماعة ، تعدل انتظام العمل بين العاملين ، فقد كتب لورد ملتر خطابا الى بعض اصدقائه ، ويبدنا نسخة منه ، جاء فيه ما نصه :

(( ان اصحاب زغلول باشا ممن يطلبون نفس مطالبه قد بذلوا آخر ما فى وسعهم لاقناعه بالقبول فلم يقبل ولم يفتنع )) . فمن اين علم لورد ملتر هذا المسعى ؟ انه لم يعرفه منى بطبيعة الحال ، ولا يخالجنى شك فى ان علم ملتر بهذا الخلاف على هذا الوجه كان له تأثير كبير جدا فيما أبداه من التشدد معنا ، خصوصا فيما يتعلق بقبول التحفظات .

تعلمون ان عدلى باشا قبل المشروع ، وسعى بواسطة اصدقائه فى الوفد وخارج الوفد فى ترويجه ، وحمل الامة على قبوله . ومع ذلك اراد اصحابه فى الوفد اخيرا ان اعلن للامة ثقتى به ، واعتمادى عليه فى المفاوضات الرسمية ليحصل على قبول التحفظات ، فرفضت ذلك رفضا باتا . اذ كيف يمكن لى ان اثق هذه الثقة بعد كل ما عندى من المعلومات ، وأن أعول على رجل فى تعديل مشروع هو يراه مقبولا بدون هذه التحفظات مهما يكن عنده من حسن القصد وسلامة النية ؟

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يريدون أن يسلموا لمثل هذا الرجل أمور البلاد يديرها برأيه وبمساعدة من تعرفون ، لا يسمحون لي أن أرسل برقية أو كتابا يحمل شكرا على من حمل من الأعمال بدون اطلاعهم ، ويعدون انفرادي بمثل هذا العمل جارحا لشعورهم ، ماسا بكرامتهم حتى كان من أمرهم أن أرسلوا الى خطابا يحتجون فيه على هذا الانفراد ، وفي عبارات جافية لا يوجهها متبوع لتابع . اتظن أن جماعة ضعفت الثقة بينهم الى هذا الحد يمكنهم أن يشتركوا في عمل ؟ وان اشتركوا هل يمكن أن يقدر لهذا العمل نجاح ؟ كلا . انهم لم يتظاهروا بموافقتنا الا انقاء لسخط الامة وتلطيفا لفضيها ، والا فانهم سيعملون في السر على بث افكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذي رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم التي ينشدونها كما تعلمون ، ولقد رأيناهم يقابلون بوجوه هاشة بسامة كل خير يدل على ضعف النهضة الوطنية والروح المعنوية وفتور الهمم وانحلال القوى . ويعبسون للأخبار التي تدل على قوة روحها ، وكمال يقينها في حسن الاستقبال .

ان نفوسا هذه حالها يضر وجودها في الافراد فما بالك بالقواد ؟ اني كثيرا ما ضغطت شعوري الشخصي وتسامحت في حقوقى الذاتية بل لم احسب حسابا لهذه الحقوق . ولكنى لا املك أن اتساهل في حق عام عاهدت الامة على الاحتفاظ به ، فلا أستطيع أن أفرط فيه لعدو ولا لولى ولكنى أسكت اذا لم يضر السكوت به ، أما اذا رأيت منه خطرا فواجبى يدفعنى الى الجهر بالحق والله ولى العاقبة .

لا بد أن تكونوا قد علمتم أن اسم المكباتى بك كان من بين العائدين ، ولكنه لم يعد ، انه من صفهم وعلى رأيهم ولكنه لم يكن مسافرا معهم بل فى عزمه اللحاق بهم ، وانما كتبوا اسمه مع اسمائهم تفخيما لشانهم ولكى يعتزوا باضافة لون آخر الى لونهم ،

حتى لا يقال أن حزب الامة قد عاد الى بدايته وانتهى الى غايته ان  
الله لا يصلح عمل المفسدين » •

سعد زغلول

حاشية :

أضاف الرئيس الى هذا الخطاب حاشية كتبها بخطه وهذا  
نصها :

« أرجوك أن توافيني بجميع الاخبار ما جل منها وما قل • ولا  
تنتظر بالمهم منها قيام البريد ، بل أرجوك أن تسارع بإرساله  
بالتلغراف وحساب النفقات على الوفد ، وأنا الذى أدفعه اليك .  
فلا تكسل وانى اعتبر الاخبار بعدم وجود جديد خبرا • والسلام » •

سعد

## الفصل السادس

### سعد يعتزم أمرا

٢٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

تسلم الرئيس صباح اليوم برقية بالشفرة أرسلها اليه مصطفى النحاس وقد جاء فيها : « ان الاعضاء العائدين قد نشروا بيانهم الموعد ذكروا فيه الخلاف تلميحاً وأكدوا عدم الانقسام تصريحاً وأن كل جماعة يقع فيها خلاف في الآراء ، وليس معنى ذلك أن كل خلاف في الرأي يعتبر ضدعا للوحدة وانقساماً في الجماعة ، أو خروجاً على المبدأ أو ابتعاداً عن الهدف الوطنى . ثم ختمت البرقية بالرجاء « المثلث » من مصطفى النحاس ووصفا واصف والدكتور حافظ عفيفى ، أن ينشر الرئيس بياناً على الأمة ينكر فيه كل انقسام ، ذلك لان بيان الاعضاء العائدين كان سالماً وتأثيره طيباً في الرأي العام في مصر ، وأن المصلحة العليا للبلاد تقتضى العمل على ازالة كل خلاف وكل انقسام أملاً فى ضم الضفوف » .

وغضب الرئيس من هذه البرقية غضباً شديداً . وأمل على برقية « مستعجلة » بأنه لا يرى رأيهم فى اصدار بيان بالمعنى الذى يريدونه .

وتلقى الرئيس أمس وأول أمس واليوم عدداً غير قليل من البرقيات تهدف كلها الى اظهار ائـثـقة فى شخصه والايمان بصحة خطته والتهنئة على ثباته ، ولعل هذه البرقيات كان لها بعض الشأن فى سخط الرئيس على نصيحة « الاعضاء الثلاثة » ورفضه لها ، كما كان لها أثر ظاهر فى عودته الى الهدوء والغبطة وقال :

« الحمد لله • ان الامة بخير ومتيقظة لكيد الكائدين ، ولم تتأثر  
بختل المخادعين ولا بصعف الناصحين المتخاذلين » •

### الرئيس يفكر في تعديل اللائحة الداخلية للوفد

٢٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

فكر الرئيس في أن ينشر على الأمة نداء هذا مطلعته :

« أشكر الأمة الكريمة التي وضعت ثقتها في شخصي وهذه الثقة  
تحملني مسؤولية كبرى ، ولا يتأتى القيام بهذه المسؤولية العظيمة  
من غير أن تكون مصحوبة « بحرية القول والعمل » . فأعترض  
واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا على تخصيص ذكر الثقة  
بشخص الرئيس لا بالوفد كهيئة ممثلة للأمة •

فغضب الرئيس وقال : « لا داعي الى هذا النداء اذن » ثم  
طواه ودهش الاعضاء الثلاثة وسكتوا • وكان سكوتهم عين الحكمة  
والصواب • ولا شك أن موضوع هذا الخلاف لا يسمح بمناقشة ،  
ولا ينتهي بأية حجة يدلى بها أحد الفريقين ، وفي السكوت منجاة  
لكل صدام وعصمة من ظهور الخصام •

وبعد خروجهم شكوا الى الرئيس من سلوكهم وانتقده في مرارة  
ظاهرة فسأله : ماذا تقصد يا سيدى بعبارة (( من غير أن تكون  
مصحوبة بحرية القول والعمل ؟ » •

فقال الرئيس : لقد فكرت في الايام الاخيرة في ضرورة تعديل  
اللائحة الداخلية للوفد على أساس أن العضو الذي يختلف مع  
الرئيس اختلافا خطيرا أو كبيرا يقدم استقالته ، فاذا امتنع  
جازت اقالته •

فسكت واستطرد الرئيس قائلا :

« لا يمكن انتظام العمل في الوفد الا اذا تغير النظام الخاص  
وأصبح من الممكن اخراج أى عضو يختلف مع الرئاسة اختلافا  
أساسيا شديدا فاذا لم يكن كذلك استحال على العمل مع قوم  
لا وفاء عندهم ، ولا حرص على المصلحة العامة » •

فأثرت استمرار السكوت ، فقال الرئيس : « لماذا تسكت ،  
ولا تتكلم ؟ ان المسألة في غاية الوضوح • وما من أحد يقول انه



إذا حصل خلاف شديد بين أحد الاعضاء والرئيس يخرج الرئيس ويبقى العضو . ولعلك لا تعلم أن هذا هو النظام المتبع في جميع مجالس الوزراء في فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا » .

وهنا هبط السكوت عليه وعلى ، ولم يقطع هذا السكوت الا برقية ثانية من النحاس الى الرئيس أغضبته . . . برقية وصلت من الاعضاء الثلاثة وبامضائهم وهي بالشجرة فسلمها الرئيس الى كالعادة لأجل رموزها ، وهذا نصها :

« ان الرأي العام في البلاد في اضطراب شديد . ونرجوكم في الحاح ألا تفعلوا شيئا يكون غير قابل للإصلاح ، وأن ترسلوا إلينا ما ترونه وما تقترحونه قبل أن تنشروه مباشرة في مصر » .

#### الامضاءات

النحاس . ويصا . عفيفي

فضحك الرئيس في سخرية ظاهرة وقال : « ما شاء الله يا سبحان الله . هؤلاء الاعضاء الثلاثة يزيدون أن يقيموا من أنفسهم رقبا علينا » .

وفي المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا لزيارة الرئيس فأطلعهم على البرقية الرمزية الأنفة الذكر ، وكانت دهشة الرئيس عظيمة عندما رأهم يوافقون على ما فيها من رجاء ، وكانت موافقتهم من غير شرط أو قيد أو أقل ملاحظة .

فلما لفت الرئيس أنظارهم الى أنه لا يجوز أن يقيم هؤلاء الاعضاء أنفسهم مقام الرقيب عليه وعلى اخوانهم الموجودين معه في باريس قال على ماهر : هذه ليست رقابة بل معاونة ، وهم في مصر أدري منا بما فيها من شعور عام وجو سياسى . وأيده في ذلك ووصف غالى وسينوت حنا .

#### الحالة العامة كما أراها وأتنبأ لها

٣٠ من يناير سنة ١٩٢١ :

الساعة السابعة صباحا - في الايام الثلاثة الماضية استبدت الحالة العامة باحتكار كل أفكارى وكان تفكيرى فيها سطوحيا حينا وعميقا حينا آخر ، وصحوت اليوم وقد تبلورت في نفسى مشاعر بارزة

وأصبح عقلى يقبلها قبوله للحقائق الثابتة والافكار السليمة الصحيحة فأرأيت تسجيلها :

**الشعور الاول :** ان ميدان المعركة قد انتقل الى مصر ، وبعد أن كانت باريس ولنسبدن هما قبلة الانظار أصبحت القاهرة قبلة الانظار ومناط الآمال ، ففي القاهرة : عدلى والاغلبية من أعضاء الوفد ، وثلاثة من أنصار الرئيس ( النحاس ، وويصا ، وعفيفى ) يريدون أن يقيموا من أنفسهم « رقيباً » على الرئيس واخوانه فى باريس ( على حد تعبير الرئيس ) ، وفى مصر رأى عام وفى مصر وزارة توفيق نسيم تستعد للرحيل ، ووزارة برياسة عدلى تستعد للظهور ، والدعاية السياسية لعدلى تنتشر وتنتسج دائرتها يوماً فيوماً ، وأعضاء الاغلبية الوفدية يؤيدونها مع كل من يقابلهم من الاهل والاصدقاء والزائرين . وهؤلاء يخرجون من مقابلتهم لينشروا ما سمعوا ، فالصراع بين سياسة عدلى وسياسة سعد قد اشتد وتفاقم .

**الشعور الثانى :** أن الرئيس سعد أصبح موجوداً فى باريس ليس معه الا أعضاء ثلاثة ( على ماهر ، وواصف غالى ، وسينوت حنا ) وهم يخالفونه فى بعض افكاره واتجاهاته ورغباته .

**الشعور الثالث :** إن الرئيس يعانى أزمة نفسية حادة وهى فى نظرى أشبه ما تكون بأزماته النفسية الحادة التى عانى من ويلاتها ما عانى فى الفترة السابقة لمفاوضاته مع ملتر .

**الشعور الرابع :** ان بقاءنا فى باريس أصبح عبثاً لا طائل تحته . فلا يمكن أن تدار معركة فى مصر وقيادتها فى باريس ، ولا بد للرئيس عاجلاً أو آجلاً من أن يقرر العودة الى مصر كما عاد المنشقون الخارجون عليه من أعضاء الوفد حينذاك ، وحينذاك فقط : يقابل خصومه وجهاً لوجه والغلبة والنصر له لا محالة بفضل شخصيته القوية السحرية ومقدرته الخطابية . هذا فضلاً عما لديه من أسلحة فتاكة هائلة : فصاحة دافقة وشجاعة فائقة ، ونشاط عجيب وإيمان أعجب . فالحق فى جانبه وسياسته وأهدافه هى الاستقلال الذى ثارت الأمة من أجله ، وعلقت عليه كل أمل وكل رجاء ، وأما خصومه فليست لهم هذه الأسلحة وهم الخاسرون بلا شك وهو المنتصر لا محالة .

**الشعور الخامس :** ان العوامل الحاسمة التى ستخرج الموقف من ركوده الحالى وستدفع الرئيس دفعا الى اتخاذ قرار جديد هى فى نظرى :

**أولا :** عندما يتولى عدلى باشا رئاسة ( الوزارة ) فعلا ويبدأ نشاطه الرسمي استعدادا للمفاوضة الرسمية .

**ثانيا :** ظهور تقرير ملنر وما يكشف عنه من نيات واتجاهات ، وغايات .

**ثالثا :** شعور الرئيس بعدم جدوى بقائه فى باريس ، بينما الممارك الحاسمة تدور فى مصر بين أنصاره من غير قائد ، وخصومه بقيادة عدلى نفسه ، حينذاك تتقرر بصفة نهائية ( العودة ) الى مصر .

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة أو احدها منفردا ينطوى على قوة عاملة حاسمة فى وضع حد للحالة الراهنة ، والخروج من هذا الركود المضطرب وتسيير الامور فى اتجاه جديد .

**الشعور السادس :** ان الخروج والانشقاق على الرئيس هو المصير الذى ينتظر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وهذا الشعور عندى يقوم على أساسين أو اعتبارين :

**الاول :** ان هؤلاء الاعضاء الثلاثة الباقين مع الرئيس حتى الآن فى باريس لا يكادون يتفوقون معه على شيء بل انهم يكادون يخالفونه فى كل شيء .

**الثانى :** ان الرئيس اصبح شديد النفور منهم والسخط عليهم كما سجلت ذلك فى الاعتراف العشرين حيث قال الرئيس فيه : ان دوام هذا الحال من المخال . هذا وأشعر كذلك ان على ماهر وسينوت حنا سينضممان الى الاغلبية الوفدية المنشقة وأما واصل غالى فيسعتزل السياسة ويعود الى الفلسفة والادب .

**الشعور السابع :** ان الرئيس سعد سيجذب فى نفسه الشجاعة ( بعد ان يتركه بعض أعضاء الوفد ) ان يختار وان يعين أعضاء جددا يتوسم فيهم الاخلاص لشخصه ويركن اليهم فى العمل والتعاون معهم باستمرار لخدمة قضية الاستقلال ما فى ذلك شك .

وبهذا ينفذ فكرته التى كانت تهدف الى تعديل اللائحة الداخلية للوفد تعديلا يجعل العضو الذى يختلف مع الرئيس اختلافا كبيرا يستقيل أو يقال . وان سعدا لقادر على ذلك كله لانه أسد مكافح لا يلين ولا يستكين ، وسمعته فوق متناول الناقدين ومكانة سعد

في الامة لاثبت من رضوى ولا منع من عقاب الجو ولا ترقى اليها  
سهام الحاقدين والهادمين والقاتكين ، ولو كانت مكانة سعد في  
الامة قابلة للهدم والزوال لكانت بريطانيا اقدر على هدمها وازالتها،  
ولو كانت سمعة سعد قابلة للتشويه والتعطيم لاستطاعت الدعاية  
البريطانية الفنية الواسعة الانتشار أن تصل الى هذه الغاية ولو  
في الاقطار العربية والهندية والصينية الخاضعة للنفوذ البريطاني،  
أو في البلاد التي تفصلها عن مصر مئات أو آلاف من الاميال حيث  
لا يذكر اسم سعد الا مقرونا بالاعجاب والثناء والتقدير ، وهذه  
بلاد لم تعرف في سعد غير اسمه وموجز جهاده واهدافه السياسية  
فكيف ببلاد مثل مصر عرفت انه ابنها البار وزعيمها الشجاع  
المكافح المنافح لتحقيق اعز امانيتها في الخلاص من ذل الاستعمار  
والنهوض بها الى عز الاستقلال ؟

**الشعور الثامن :** ان الرئيس سعد أصبح شخصية عالمية ما في  
ذلك شك فلن يتم اتفاق مع بريطانيا من غير طريقه أو بغير موافقته،  
والمسألة في ذلك واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

ان سعدا لن يقنع بما دون الاستقلال ولن يقبل ما يتعارض مع  
هذا الاستقلال ، وأن ثقته بنفسه وايمانه بقضية الاستقلال والغاء  
الحماية وانهاء الاستعمار البريطاني لمصر باتمام جلاء القوات  
المحتلة للبلاد ، لا رسخ في أعماق عقله وقلبه وخلايا جسمه من أن  
بصرفه منها جبروت المحتلين ومؤامرات الحاقدين ودسائس  
الدسائسين ، ومخالفة المخالفين من أعدائه وانصاره على  
السواء .

ولا يعادل هذه الثقة بالنفوس ، وهذا الايمان بهذه الاهداف  
الوطنية العليا الا ثقته بولاء الشعب له ، والتفافه حوله في عزم  
ووعى ومثابرة بعد ثورته الكاملة الشاملة العارمة التي لم يسبق  
لها مثيل في تاريخ مصر كله منذ عهد الفراغة حتى الان، وما هي  
النتيجة الحتمية التي تترتب على ذلك كله ؟ هي باختصار ، ان كل  
ما يرفضه سعد من عروض الانجليز ويقبله غيره مرفوض من الامة  
حتما ، واذا زعم الزاعمون بأن ما يقبله غيره هو الاستقلال تساءل  
السائلون من المصريين : اذا كان ما تقولون صحيحا فلماذا لم  
يعرضه الانجليز على سعد ليرضى عنه ويباركه ويؤيده ؟  
أم هل قدموه لعبدلى حبا في سواد عينيه ؟ - حينئذ  
لن يسمح الشعب المصرى جوابا يمكن أن يرضى ويقنع ، وهذا  
منطق الشعب في براءته وبساطته المفحمة .

ولهذا أشعر شعورا قويا بأن المفاوضات الرسمية التي سيجريها عدلى مع الحكومة البريطانية على أساس مشروع ملنر ( ويدون اشراك سعد معه ) مقضى عليها بالفشل المؤكد وليس يجوز فى عقل عاقل أن تسليم الانجليز لعدلى بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مع استمرار سخط المصريين عليهم وشكهم فى نياتهم ورفضهم لاعمالهم ، ولو سلموا لسعد بذلك لأطمأن الناس الى ضدقهم نتيجة اطمئنانهم الى الثقة بزعيمهم ، وبهذا ترضى مصر وينتهى كل خلاف وخصام بيننا وبينهم . ان المسألة مسألة ثقة ، وثقة الامة فى زعيمها سعد بلغت غاية الكمال .

### استقالة ملنر !

٣١ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جرائد لندن اليوم أن لورد ملنر قدم استقالته من الوزارة ، وأن استقالته قد قبلت وأنه قد منح وسام ( رتبة الساق ) وهو أعلى وسام فى بريطانيا وذلك تقديراً لخدماته الممتازة لامته وللإمبراطورية البريطانية . كما نشرت جريدة التيمس مقالة افتتاحية تفيض بالاعجاب والتقدير لعبقريته وجهوده التى ساعدت على حل الكثير من المشكلات الدولية العويصة لاسيما فى مفاوضاته مع سعد زغلول والوفد المصرى .

### اسباب استقالة ملنر !

لاستقالة ملنر اسباب صحيحة أثبتتها الواقع ، واسباب كاذبة من نسج الخيال .  
أما الاسباب الصحيحة فقد نشرت فى لندن . وأما الاسباب الكاذبة فقد نشرت فى مصر .

ففى لندن : نشرت جريدة التيمس ان ملنر رجل ارقه العمل المتصل والجهود المضنية التى بذلها فى مؤتمر الصلح بفرساي ولجانه المختلفة ، ثم فى اعمال لجنته الخصوصية التى سافرت الى مصر للبحث والتحقيق وانتهت بالمفاوضات الطويلة المملة مع الوفد المصرى فى لندن ، وأن ملنر فى أشد الحاجة الى الراحة والاستجمام لا سيما انه قد جاوز السابعة والستين من عمره .

ونشرت جريدة نيوز أوف ذي وورلد : ان ملنر قادم على مشروع زواج وقد تزوج ملنر فعلا أرملة صديقه لورد ادوارد سسيل بعد استقالته . وسافر العروسان الى جنوب فرنسا لتمضية شهر العسل .

ونشرت الدبلى ميل ان ملنر قرر اعتزال الحياة السياسية المضنية ذات المسئوليات الخطيرة المتعبة ان فى مثل سنه ، وسيكتفى فى المستقبل بالكتابة فى الجرائد ، الوقت بعد الوقت .

وهذه الانباء كلها صحيحة وقد أبدىها الواقع والأبثت صحتها الايام .

أما فى القاهرة : فنشرت الجرائد ان خلافا خطيرا وقع بين ملنر وزملائه الوزراء وأوا ان ملنر جاوز الحد المقبول بتساهله أكثر مما ينبغى مع الوفد فى اثناء المفاوضات ، وان المشروع الذى قدمته اللجنة لا توافق عليه الحكومة البريطانية فى شكله الحالى لانطوائه على سخاء لمصر أكثر من اللازم .

وهذه المزاعم كلها هراء ومن نسج الخيال اذ لا يوجد فى الوزارة البريطانية كلها وزير واحد أشد ضراوة فى الاستعمار من ملنر نفسه ، ومع هذا نشرت هذه المزاعم فى مصر وكان أول من نشرتها جرائد عدلى المؤيدة لسياسته ومشروع ملنر وذلك لإيهام الناس أن المشروع فى خطر وان من الخير التمسك به حتى لاتعدله الحكومة البريطانية الى ما هو أسوأ . ولعل من المصادفات التى أيدت هذه المزاعم نبأ تعيين مستر ونستون تشرشل خلفا للمنر فى وزارة المستعمرات فى شهر فبراير سنة ١٩٢١ .

### تصريح خطير لتشرشل !

وقبل تسلمه مهام هذا المنصب رسميا القى خطبة فى مأدبة أقيمت للورد ريدنج الذى عين حاكما عاما للهند تناول فيها المسألة المصرية واعتبرها من المسائل البريطانية الخاصة ، وصرح بان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ، كما أعرب عن امله فى أن الصعاب القائمة من جانب مصر وأرلنده تتناقص بعد زمن وجيز ، وان تتولى هاتان الامتان شئونهما الداخلية فى خلال السلام داخل الدائرة المرنة للامبراطورية البريطانية .

## احتجاج مصر على التصريح !

أثار هذا التصريح عاصفة من الاحتجاجات في مصر ، واخذت بعض الجرائد المصرية في سداحة ظاهرة تمدح ملنر وتذم تشرشل وتظهر الاسى والاسف لاستقالة ملنر وخروجه من الميدان قبل أن يتم عمله ويقبل مشروعه وتجرى المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا الى نهايتها المرجوة ، وهكذا أصبح ملنر الاستعماري القح أرحم وأفضل من تلميذه الاستعماري الصغير تشرشل في نظر الجرائد المصرية المؤيدة لسياسة عدائهم ولمشروع ملنر .

وهكذا أظهر فريق غير قليل من المصريين اهتمامهم وشغفهم بمشروع ملنر بعد أن كانوا ينظرون بمحاربتة أو بعدم قبوله إلا بعد تعديله بالتحفظات ، ولقد حزن الرئيس سعد لهذه الحال أشد الحزن وقال في كمد : (( انها لفضيحة !!! ما اصغر عقولهم وما اضعف نفوسهم وما أخف أعلامهم ، أنهم يشيرون في نفسى التقرز والاشمئزاز )) . ثم أرسل برقية احتجاج شديدة على هذا التصريح الى رئيس الوزارة البريطانية .

## الصراع المثلث

٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

ما أجمل باريس انها مسرفة في الجمال حتى في هذا اليوم الابيض : كل ما أراه اليوم بياض ناصع البياض فقد غطى الثلج ليلا جميع الشوارع والطرق والشرفات ، وخرجت في الثامنة صباحا سيرا من مسكني الى محل عملي في الشانزليزيه ، والثلج مازال يتساقط كالقطن المندوف وقبعات الرجال والنساء بيضاء بما حملت من الثلج الخفيف ، ومن عجب أن البرد لا يتزايد وانما يتناقص ذلك لان البرد يستنفذ طاقته اللازمة وعنفه الشديد في تحويل بخار الماء المعلق في الهواء الى ثلج يتساقط ، فالبرد محتمل ومنعش ..

في الساعة التاسعة صباحا كنت مع الرئيس في حجرة مكتبه فوجدته جالسا وسط أكوام من الجرائد المصرية يطالعها في شغف ونهم ، ففضيت معه نصف ساعة نطالع هذه الجرائد في صمت تام

من جانبه وجانبى ، ولاحظت أن المعركة ما زالت ناشبة دائرة حامية  
الوطيس في مصر بين معسكرات ثلاثة :

الاول : معسكر انصار عدلى ومؤيديه ومريديه من الخطباء  
والكاتبين .

الثانى : معسكر انصار الوفد ومؤيدى الرئيس من الكتاب  
المتحمسين .

الثالث : معسكر رجال الحزب الوطنى المعادين ، ومن الكتاب  
الساخطين وفى طليعتهم أحمد وفيق المحامى .

هذه المعركة المثلثة الاركان ليست فى الواقع الا مظهرا من مظاهر  
الصراع السياسى المحموم الذى تزده حدة نفوس مستثارة بلوافح  
الفظ المكتوم والتعصب الاصيل المكظوم وانعدام التسامح ، فهى  
فى الواقع حرب أهلية يسيل فيها الحبر بدل الدماء وتنفجر فيها  
الحناجر بدل القنابل وتعصف فيها الأهواء بأقوال ، بعضها جد  
وبعضها هراء ، ثم ألقىت بما فى يدى من جرائد ونظرت الى الرئيس  
فوجدته مازال يطالع فى تقطيب ويستمر فى المطالعة من غير تعليق  
أو تغضيب ، وبينما نحن فى هذا السكوت الشامل دخل الدكتور  
حامد محمود ومعه خطاب بالانجليزية مع ترجمته بالعربية وهمس  
فى أذن الرئيس وسلمه الورقتين فألقى الرئيس جانبا بالجريدة التى  
فى يده وقال : ( خطاب آخر من مستر بلنت ماذا فيه ؟ )

### خطاب هام من بلنت للرئيس

والتفت الى الرئيس وقال : هذا يا كامل خطاب مستر بلنت وعليك  
أن تنلقح ترجمة حامد له .

وفيما يل نص الخطاب بعد اعادة ترجمته .

عزيزى زغلول باشا ..

(( تسلمت اليوم خطابا من لورد ملنر يرجونى فيه أن أكون شفيعه  
لكليك مرة أخرى بفضل صداقتى الشخصية لك وللمصر والمصريين حتى  
لا يقيم العقبات فى سبيل قيام وزارة برياسة عدلى وفى سبيل البدء  
فى المفاوضات الرسمية بين ممثلى الحكومتين المصرية والبريطانية ويقول  
أن هذه المفاوضات يجب أن تبدأ قريبا ، ومن غير قيد أو شرط سابق .  
على أن يكون كل طرف حرا فى أن يطلب ما يريد ويشترط فى



المفاوضة ما يشاء ، ويؤكد أن التمسك بضرورة قبول التحفظات أولاً وقبل كل شيء ولا سيما ضرورة النص على إلغاء الحماية مقدماً بحيث لا طائل تحته بل فيه الضرر ولا خير فيه على الإطلاق ، إذ من شأنه أن يحيط كل الجهود التي بذلها ملتر معك في تلك الشهور الطويلة بل قد يترتب عليه سقوط المشروع الذي تقترحه لجنة ملتر .

وانى يا عزيزى زغلول باشا ارى أن هذا الكلام معقول جداً . ولست ارى أى ضرر على القضية المصرية ، ولا أى احراج لك وللمصريين في قبوله ، لهذا ارجوك مخلصاً أن تعيد النظر وتطيله في هذه المسألة إذ في ذلك فوائد عملية لا يستهان بها .

هذا ولا اخفى عليك يا عزيزى زغلول باشا أن جملة وردت في خطاب ملتر قد استرعت نظرى لأنها تنم عن اغتباطه وسروره بالروح المعتدلة التي انتشرت بين اتباعك وانصارك داخل الوفد وخارجه ، ولا شك أن هذه الحقيقة من شأنها أن تساعدك على تعديل موقفك من التحفظات تعديلاً يتفق مع الاغلبية العامة في تأليف وزارة الثقة في مصر برئاسة على باشا والبدء في المفاوضات بغير قيد أو شرط ، ولا حاجة بى أن أؤكد لك أن الراى الاخير سيكون دائماً راىك لانك زعيم مصر الذى لا ينازع ، وسيكون لراىك الاخير الوزن كل الوزن .

هذا وقد جاء في خطاب لورد ملتر كذلك أنه سيخرج من الوزارة بعد أيام ليستريح ، ولكن هذا الخروج لن يكون له أقل تأثير في سير الحوادث على الوجه الذى رسمه حتى يتم ابرام المعاهدة بين مصر وبريطانيا على الاسس التي اقترحها ، والتي يعتقد صادقاً أنها خير ما ينبغي اتباعه في الوقت الحاضر . هذا وانى أبعث اليك يا صديقى زغلول باشا بأخلص تحياتى ))

المخلص بلنت ٢٥ من يناير ١٩٢١

ثم سلمنى الرئيس ثلاثة خطابات أخرى من بلنت وقال : لا تتبادل الراى فيها الآن وأرجو أن تعود الى فى الرابعة بعد الظهر .

### برقيتان بالشفرة

عدت في الساعة الرابعة بعد الظهر فوجدت الرئيس في مكتبه وفى يده برقيتان بالشفرة ، وكلتاها بامضاء مصطفى النحاس

وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى فقضيت حوالى الساعة فى  
فك رموزهما وترجمتهما الى العربية .

**أما البرقية الاولى :** فتحمل رجاء مكررا حارا الى الرئيس لكى  
ينشر كلمة كريمة طيبة عن أعضاء الوفد العائدين الى مصر لاسيما  
أن مسلكتهم منذ عودتهم الى مصر لا غبار عليه مطلقا وعندهم كل  
الميل الى المسالمة والاتفاق .

**والبرقية الثانية :** تحمل نص العبارة التى نشرت فى جرائد مصر  
بامضاء هؤلاء الاعضاء الثلاثة : النحاس . وويصا وحافظ عفيفى  
وفيهما ثناء على الاعضاء العائدين وتأكيده لروح التعاون والتضامن بين  
أعضاء الوفد جميعا .

### الرئيس يغضب ويعتزم أمرا جلا

ما كاد الرئيس يطلع على هاتين البرقيتين حتى "ثار غاضبا وتآلم  
أشد الالم وقال فى مرارة ظاهرة :

(( يا عجباً كل العجب انهم يعلمون منى تمام العلم كل التفاصيل  
ورأى واضح ، ولا حول ولا قوة الا بالله )) .

ثم سكت فى هم ظاهر واستطرد : لست أدري كيف يعاودون  
الكتابة الى فى هذا الموضوع المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ،  
ألا يقتنعون ؟ ألا يفهمون ؟

ثم استطرد قائلا : « لست أدري والله ما الفائدة فى ان أعلن  
للناس ما يعتقد الناس عكسه . وكيف أكذب على الناس عامدا متعمدا  
وهم يعلمون الحقيقة ؟ »

ان الاعلان الذى يطلبونه منى يضر ولا ينفع ولا قيمة له على الإطلاق  
وسيفضحك الانجليز منه سآخريين ، والشعب فى مصر سيندهش  
من أحوالنا الصبائية فتضعف ثقته فى أقوالنا وتصريحاتنا بينما  
يظل المنشقون المخالفون على حالهم ، فإن يعودوا الى رأينا ولن يعدلوا  
عن خطتهم بل لعلهم يتخذون من كلمتنا وسيلة لترويج بضاعتهم .  
ودس الدسائس ضدنا )) .

وهنا سكت الرئيس طويلا ثم قال فى حزم وعزم :

(( ان من الخير أن أعلن على الناس فصلهم واستقلالى بالعمل دونهم

بعد أن أنشر على الناس حقيقة أمرهم وما يهدفون اليه ، ان الظروف القاهرة ستضطرني الى ذلك اضطرارا لان هذا هو السلوك الوحيد المستقيم الذي لا مندوحة عنه ولا سبيل الى تفاديه ، ان معاملتهم الخاصة والعامة معي قد اقنعني بما لا سبيل الى الشك فيه بأن الثقة بيننا قد أصبحت معدومة ميتة ومتى انعدمت الثقة بين العاملين استحال العمل الجدى واستحال التعاون .

انى لأسأل نفسي كل يوم ما الذى يضطرني الى العمل مع اشخاص لا تتوافر الثقة بيني وبينهم ، واهدافهم غير اهدافى : ما الذى يجمعنا الآن ؟ كيف أعلن اتحادى مع أناس يعملون ضدى وعلى مخالفتى ويسعون وراء غاية غير غاييتى ؟ كيف أعلن الثقة فيمن انعدمت الثقة فيهم ؟ هذا تكليف بما لا يحتمل ولا يستطيع ولا يطاق ؟

انى لست مأجورا فى عمل ولا ساعيا وراء غاية ذاتية ، ولكن شعورا قويا قام بى نحو خدمة بلادى فجريت معه ونزلت على حكمه حتى تلقى الحماية ويتحقق الاستقلال .

ان هذا عهد كتبته على نفسى وساظل وفيها لهذا العهد ما حييت . فلماذا يطلب منى أن أسير ضد شعورى وأخرج على عهدى وأعمل بغير رايى ؟

كيف اتحمل الهوان ممن لا احترم لهم رايًا ولا انتظر منهم فى العمل عونا ونفعا ، ولا أجد فى صحبتهم الا ضرا وشرا ؟ .

ان كانت الامة تريد منى أن أعمل مع انعدام الثقة واختلاف الهدف وان أوافق المخالفين ، فلتعلم الامة انى عاجز عن تنفيذ رغبتها، والنزول على ارادتها فى هذا الشأن ، ولتبحث لها عن غيرى ليسعى بها الى غايتها ، أما أنا فبعد أن تحملت وتألمت مثل ما تألمت ، قد ضقت ذرعا وأصبحت لا أستطيع الصبر على ما أنا فيه ، لقد انهك الخلف قوتى . وأضعف العناد صحتى ، وقد عزم على أن أتخلص نهايتها مما أربسف فيه من القيود )) .

### رد الرئيس على البرقيتين

عند هذا الحد من تدفق الرئيس دخل واصف غالى وسينوت حنا مكتب الرئيس فاطلعهما على البرقيتين الشفريتين وأظهر سخطه عليهما لاسيما الرجاء الحار الذى حملته البرقية الاولى ، وانتظر من

العضوين تعليقا أو تأييدا له ، ولكنهما سكتا فانفعل الرئيس وقال :  
(( لابد من الرد فوراً )) • ثم أمل على ما يأتي لكى أرسله بالشفرة  
الى مصطفى النحاس :

(( آسف أن أرفض رجاءكم ومسلك الاعضاء وبيانهم لا يستدعيان  
منى أى رد ، فضلا عن أن لدى من الاسباب القوية ما يمنعنى من  
الاستجابة لرجائكم ، ولعل مقاله التيمس الأفتتاحية المنشورة صباح  
اليوم تنوركم فقد فضحت كل سند عن العلاقة بين الاعضاء  
والرئيس )) •

ومقاله التيمس التى اشار اليها الرئيس فى هذه البرقية نشرت  
ما ترجمته حرفيا :

(( ان زغلول باشا قد أصبح اليوم فى واد ، واغلبية أعضاء الوفد  
فى واد آخر • العسكريان مختلفان كل الاختلاف والطرفان غير متفقين  
على أهم المسائل الاساسية ، وفى طليعة هذه المسائل موضوع  
المفاوضات الرسمية المقبلة ، والاساس الذى تقوم عليه الاهداف  
التي ترمى اليها )) •

سأل الرئيس العضوين عن رأيهما فى هذا الرد ، فسكت سينيوت  
وقال واصف (( لا بأس به )) • وانصرفا ، ثم انصرفت لاعداده  
بالشفرة وأرسلته فى المساء •

### تعليقى على خطاب بلنت

٣ فبراير ١٩٢١ : سألنى الرئيس هذا الصباح عما اذا كنت  
قرأت خطابات مستر بلنت التى سلمها الى أمس فقلت : قرأتها  
فى شغف واهتمام •

فقال الرئيس : وما هو أهم ما لفت نظرك فيها ؟

فأجبت : فقرة خطيرة وردت فى أحد هذه الخطابات وفيها يقول  
مستر بلنت : (( ورد الى اليوم خطاب من لورد ملنر وفيه يقول :  
« كنت أحب الا يهتم زغلول باشا بمسألة ضرورة النص على الغاء  
الحماية ويتشبهت به الى هذا الحد ، اذ يكفي أن تعتبر شروط المشروع  
ومواده الغاء للحماية وفى استطاعة زغلول باشا أن يقول لمواطنيه  
ذلك دون أن يعترض عليه أحد هنا أو هناك ( أى فى انجلترا ومصر )  
هذا مع أن كثيرين من زملائه الذين يعملون معه ويسعون مثله الى

نفس الغاية وهي الاستقلال ، يحاولون اقناعه وأفهماه بعدم ضرورة هذا التثبيت وترك الموضوع للمعالجة في المفاوضات الرسمية المقبلة، ولكنهم لم يوفقوا معه حتى الآن واني لارجو منك يا عزيزي بلنت أن تستخدم مكانتك الرفيعة في نفس زغلول باشا فتكتب اليه لكي يتساهل ويتفق مع زملائه على عدم الضرورة في النص على الغاء الحماية صراحة من الآن ، واني أعرف أن زغلول باشا يثق بك ثقة كبيرة وهو كثير التشكك في نيات كل وزير بريطاني وأن كان يثق بي شخصيا أكثر من ثقته في سائر الوزراء البريطانيين الآخرين ، واني مستعد أن أنفذ المشروع كما هو والحكومة البريطانية موافقة على ذلك تمام الموافقة . فإذا سقط هذا المشروع بعد ذلك فلن يكون ذلك الا بسبب العراقيل التي يقيمها زغلول باشا وحده في سبيل المفاوضات الرسمية وفي سبيل الاتفاق المنشود )) .

ثم قلت : (( هذه هي الفقرة الخطيرة التي لفتت نظري وأقنعتني اقتناعا تاما بأن ملتر يعلم كل العلم بالانقسام الموجود في الوفد ويعرف أسبابه وبواعثه ومداه فمن الذي أحاطه بكل دقائق الموقف الى هذا الحد غير عدلى .العليم الخبير بالحالة داخل الوفد ؟ . لاشك عندي في أن تشبث ملتر في رفض طلباتك انما يرجع الى عرفانه بحقيقة الخلاف داخل الوفد )) .

وقعت كلماتي هذه على مسامع الرئيس أجمل وقع ، وكانى به قد شعر بالغبطة . ثم أخذ يهز رأسه وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة وقال في مراة : (( ومع ذلك ترى النحاس وصاحبيه يريدون منى أن أستمر في العمل مع هؤلاء القوم وأغمض عيني عن الواقع الشائك الاليم ، كان مجرد اغماض العين عن الحقائق يزيل الاشواك او كان الكلام الطيب الكاذب يمهّد الطريق ويزيل الاخطار ويحقق الاحلام ، ان هذه سياسة النعمة )) .

ثم قلت للرئيس : فى نفسى سؤال لا أعرف له جوابا . قال : ما هو ؟

قلت : لماذا لم تعقد جلسة للوفد يحضرها جميع الاعضاء قبل عودتهم الى مصر ، وتطلعهم على خطاب مستر بلنت هذا الذى يهتك المستور ولا تجدى معه مراوغة أو انكار ، انك لو فعلت هذا لكنت تخجلهم وتفجعهم أو توقظ ضمائرهم .

فقال الرئيس : سؤالك هذا يا كامل ليست له القيمة العملية التى تتصورها . ولا فائدة مطلقا فى عقد اجتماع لمثل هذه المسألة ، لان

الاعضاء سوف يقولون (( وما شأننا نحن اذا كان ملنر قد عرف رأينا ورأيك في مسألة معينة أو في أى موضوع من الموضوعات ، اننا لم نذهب اليه ونخبره . فقيم اللوم والعتاب )) ، واذا قلت لهم أن صاحبكم عدلى هو الذى أخبره واطلعه على أسرار المداولات فى الوفد لانه الوحيد المطلع على هذه الاسرار ومتصل بملنر فى الوقت عينه ، أجابوا : هذا شأن بينك وبين عدلى كلمه وحاسبة واصرف رايه، ولكن لاداعى الى عقد جلسة للوفد ينظر فيها فيما لا شأن له به ؟ ومن يدري فقد يقولون أكثر من هذا . يقولون مثلاً : ان لك رأيا فى مسائل معينة ولعدلى رأى مخالف فى هذه المسائل ، وعدلى ليس عضواً فى الوفد حتى يلتزم بالتزامات الاعضاء ، فاذا سألته ملنر عن رأيه الخاص هل كان من الممكن أن يكتمه ولا يبيح به بملنر لانه مخالف لرأيك ؟ واذا سألته ملنر عن أى الرايين : رأى عدلى أو رأى سعد يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الوفد هل كان من الممكن أن يمتنع عدلى عن الاجابة بأن رأيه الخاص أرجح كفة من رأى سعد ؟

ثم استطرد الرئيس فى تدفقه وكأنه يلقي كلاما محضرا أو يقرأ من ورقة مكتوبة: ولو أنى عاتبت عدلى أو وجهت اليه الاتهام لانكر الاتهام واستنكر العتاب ولاجانبى بأننى انما أحكم بالقرائن والشبهات وليس لدى دليل حاسم سوى سوء الظن والاستنتاج ، وما الذى يمنع ملنر من أن يكتب ما يشاء الى صاحبه بلنت أو غير بلنت ؟

ان المسألة يا كامل ليست بالبساطة التى تصورتها وليست لها فى الواقع أية فائدة عملية ، بل الضرر منها انها ستزيد العلاقات سوءا بينى وبين عدلى ان كان وراء سوئها الحال متسع للزيادة )) .

أصغيت الى الرئيس وهو يتحدث فى سهولة ويسر ، ثم قلت عند انتهائه من كلامه لقد اقتنعت . ولكنك يا سيدى قد جاوزت حدود الاقناع ووصلت ببيانك الى حدود الاقحام . فابتسم وقال : هذا أسلوب جميل فى التعليق .

### حياة بلنت

٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

لقد لعب مستر بلنت دورا على أعظم جانب من الاهمية على مسرح العلاقات المصرية البريطانية ، وكان موضع الاحترام والتقدير من جميع

الزعماء المصريين قديما وحديثا .. وأرى من واجبي أن ألخص حياته وبواعثه وأهدافه عرفانا بفضلته وتنويرها بذكره وتبييننا لماثره وآثاره .  
ولد ( بلنت ) في سسكس في ١٧ أغسطس عام ١٨٤٠ وكان والده ضابطا اشترك في معركة الجزيرة ، واسرته ارسنقراطية وغنية ومحافظنة .

في سن ١٨ التحق بالسلك الدبلوماسي سكرتيرا في السفارة البريطانية بأثينا ثم مدريد فباريس ثم البرتغال وسويسرا وأمريكا الجنوبية ، وقضى في هذه الخدمات الدبلوماسية حوالى ١٢ سنة .  
اعتزل خدمة الحكومة البريطانية عند زواجه من لادى آن حفيدة الشاعر المشهور بيرون .

في ١٨٧٢ ورث بعد وفاة أخيه الأكبر ضيعة ضخمة في مقاطعة سسكس واشتغل بالكتابة في الصحف وبالتأليف شعرا ونثرا ، وبدأت تبرز مواهبه المتعددة الجوانب ، فاشتهر اسمه كاتبا نابها وشاعرا مبدعا ومتحدثا بارع الحديث ، فكثرت أصحابه المعجبون به .  
أحب السياحة فزار استنبول والجزائر ومصر والعراق والجزيرة العربية .

في شتاء عام ١٨٧٦ كان أول لقاء بين بلنت ورجال مصر في ذلك الحين فشهد الثورة العربية وصاحبها ، وكان يعطف على المطالب القومية المصرية اشد العطف ، كما استنكر بلسانه وقلمه في الصحف السياسة البريطانية الاستعمارية اشد الاستنكار اذ رآها رأى العين تحريك المؤامرات وتلجأ الى كل أساليب الختل والكذب والخداع تمهيدا لتدخلها واحتلالها لمصر ، وكان صديقا حميما لعرابي والشيخ محمد عبده ، وأجرى معهم أحاديث متنوعة وعرف نواياهما وأهدافهما فاعجب بهما ، وأرسل رسالة ضافية الى جلاستون رئيس الوزراء البريطانية بخلاصة أحاديثه مع عرابي ، وقد اشترك معه في وضع هذه الرسالة الشيخ محمد عبده نفسه وأطلع عليها عرابي قبل ارسالها الى لندن ، وكان عمره في ذلك الوقت ٤٢ سنة وعمر سعد زغلول ٢٢ سنة وقد تعرف به سعد في منزل الشيخ محمد عبده واعجب به .

ظل بلنت يعطف على قضية مصر طوال حياته وظل جزيئا على مرور السنين بسبب احتلالها ، وقد ألف بلنت كتابا ضخما بعنوان ( التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر ) وطبعه ونشره عام ١٩٠٧ .

وقد ضايق هذا الكتاب ( بأسراره الخطيرة المكشوفة ) الحكومة البريطانية حتى أنها حاولت مصادرتها ومنع انتشاره بشراء كل النسخ المعروضة فى الاسواق حتى لا يطلع عليه الناس خارج بريطانيا .

وعندما فشلت ثورة عرابى واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ قام بلنت بنشاط كبير فى لندن للدفاع عنه ، فأختار المحامى الانجليزى القدير برودلى ليكون محامى عرابى فى اثناء محاكمته ، كما قابل رئيس الوزراء جلاستون وولى العهد وكثيرين من أعضاء البرلمان ، ولما فشل فى انقاذ عرابى من مخالب السياسة الاستعمارية ومخالب الخديو توفيق الذى كان يريد اعدام عرابى من فرط غيظه وحقدته عليه ، نظم فى عرابى قصيدة طويلة بعنوان ( الريح والعاصفة ) .

ودرس بلنت ( اللغة العربية ) وأتقنها وأحب الادب العربى ، وكان يرى أن العرب هم ورثة مدنية عامرة بالبطولات والادب الحى الجميل .

ومما هو جدير بالذكر أن المحامى برودلى ( بعد عشرة أيام من بدء محاكمة عرابى ) أرسل برقية الى بلنت جاء فيها أن أزمة خطيرة قد ظهرت اذ علم من ثقة أن الخديو مصمم على شنق عرابى وأنه لن يرضى بأقل من ذلك عقوبة ، فهاج بلنت وماج وكتب مقالا ضافيا فى جريدة التيمس هاجم فيها الخديو واتهمه علنا بأنه سبب كل المتاعب ، كما اتهمه صراحة ( بالارغبة ) فى اعدام عرابى الوطنى المصرى ، فنار الراى العام فى انجلترا حتى اضطرت الحكومة البريطانية أن تنصح الخديو ألا يتدخل وأن يعدل نهائيا من رغبته فى شنق عرابى فعدل كارها .



ولما صدر القرار بنفى عرابى الى جزيرة سيلان مع بعض صحبه  
هزت الاريحية بلنت الى السفر الى سيلان فى ٢٠ من اكتوبر عام  
١٨٨٣ لزياره عرابى \* (١)

واخيرا وليس هذا بالاقل اهمية من كل ما سبق . .

ما كاد بلنت يعلم بوصول سعد زغلول الى لندن لمفاوضة ملنر  
حتى ارسل اليه خطابا يعرض فيه خدماته ويقول أنه يكون  
سعيدا جدا أن يكون فى خدمة قضية مصر فى هذه المرحلة وفى  
خدمة الوفد ورئيسه رغم شيخوخته وكثرة أمراضه ( ولأن بلنت  
فى الثمانين من عمره عام ١٩٢٠ ) ، فكان رد سعد على هذا الخطاب  
الرفيق الكريم أن سارع الى زيارته فى بيته الجميل فى مقاطعة  
سسكس وقد صحبت الرئيس فى هذه الزيارة .

سألت الزعيم سعد زغلول عقب عودتنا الى لندن عن مشاعره  
بعد هذه الزيارة ، فقال : (( هذا الرجل تحفة نادرة )) بين الانجليز  
وقد بلغ من نبلة وشهامته أن تمرد على الظلم ومكائد الاستعمار  
البريطانى فى مصر . من فرط حبه للحرية والكرامة الانسانية  
وانصاف المصريين من بغي أبناء وطنه وطفقيانهم ، وكان صديقا وفيئا  
غاية الوفاء لعرابى ومصر وأبناء مصر ولا أعرف له هفوة واحدة فى  
صدق خدمته لنا ، انه رجل مثالى فى عصر ضاعت فيه المثاليات ،  
وأنا لا أعرف نبلا أعظم من نبلة فى خدمة قضايا الضعفاء ضد الاقوياء  
وأية ذلك أنه تبنى قضايا التحرير فى مصر وايرلندة والهند )) .

(١) \* ملاحظة : ( كان الحكم قد صدر على عرابى وصحبته  
بالنفى فى ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأخرجوا من مصر الى المنفى  
يوم ٢٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعاد من المنفى فى سبتمبر سنة ١٩٠١  
وكان يسكن فى شارع خيرت . فحضر بلنت الى مصر فوراً لزيارة  
عرابى والاطمئنان على حاله فى اكتوبر سنة ١٩٠١ وظل يزوره  
يومية طوال شهر كامل ومعه الشيخ محمد عبده ، وتوفى عرابى فى  
٢٢ سبتمبر عام ١٩١١

وقد سجل عرابى رأيه فى بلنت اذ قال : (( هذا رجل عظيم  
كريم لم يدخر جهداً ولا مالا فى معاونته لى فى ساعة محنتى وحاجتى  
القصى الى المعونة ، بعد أن تخلى عنى اصداقائى المصريون الذين  
كانوا يلازموننى ولا يتركوننى فى أيام اليسر )) .

وقد ظل بلنت الى آخر يوم في حياته يشجع كل مصرى يقابله  
وببارك كل مجهود يبذل لخلاص مصر من الاحتلال البريطانى الذى  
اعتبره وصمة في جبين بريطانيا ومظهرا لحقارة السياسة البريطانية  
الاستعمارية المخاللة المخادعة \*

### خطاب من الرئيس الى النحاس

أملى على الرئيس سعد صباح اليوم خطابا منه الى مصطفى  
النحاس جاء فيه ما نصه :

(( كنت انتظر منكم ان تحيطونى علما من آن لآخر بتفصيلات  
الاحوال عندكم خصوصا ما يتعلق منها بقدوم اصحابنا فلم ترسلوا  
الا ذلك التفرد الذى اجملتم فيه تلك الاحوال ، ولكنى الى الآن  
لم اعلم ما قالوه لكم في الاجتماع الذى عقدتموه مع اعضاء الوفد ،  
ولا السبب الذى حمل القاعدين منكم على الاشتراك مع العائدين  
في ذلك البلاغ ولم يطلب من القاعدين بيان وانما الذى كلف به  
العائدين كما لم اعلم السبب في عدم الاجابة على بلاغى الذى نشرته  
الاخبار اذا كان معنى الاثنين واحدا ، ومهماهما واحدا ، وكيف  
وافقتم انتم على هذا الخلاف وهل اعتقدتم معهم ان العدلين  
الذين اشعلوا نار الخلاف بما كتبوه في الجرائد خصوصا في جريدة  
الافكار والاهرام ، كانوا يروجون سياسة الدخول في المفاوضات  
على اساس المشروع حبا للوطن ورغبة في الصالح العام كما ورد في  
ذلك البلاغ ؟ هل اعتقدتم ان تلك المناقشات بريئة ان الامر خطير  
وستظهر الايام ما كان خافيا )) .

### برقية من النحاس

٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

في الساعة السابعة صباحا جاءتنى اشارة تليفونية من الرئيس  
ان اذهب اليه فوراً في منزله ، وبعد دقائق معدودات خرجت

✽ توفي بلنت عام ١٩٢٢ وهو في سن الثانية والثمانين .  
وقد قابل المصريون وفاته بالاسف والحزن الشديد . وكان  
اول اكليل من الورد والازهار وضع على قبره في سسكس هو اكليل  
سعد زغلول زعيم مصر الذى عذبه الانجليز ونفوه اخيرا كما فعلوا  
مع عرابى الذى سبق ان حاربوه ونفوه من قبل الى جزيرة سيلان

مسرعا من حجرتي وذلك لانني تصورت ان الرئيس قد يكون مريضا وفي حاجة قصوى الى ولا معنى لاضاعة دقيقة واحدة ان امكن . وجدت الرئيس في حجرة مكتبه وكل ما هنالك ان تلغرافا بالشفرة وصله من النحاس سلمه الى لاجل رموزه ، ونصه كما يلي :

(( لم يعمل أى عضو من العائدين حديثا بعد البلاغ الذى صدر ، والامة منتظرة بفارغ الصبر بلاغا منكم وعسى أن يكون قراركم  
النهائى سائما ومرضيا )) •

وما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى أمر بحفظها وقال :  
 (( هل تعلم ان عبد العزيز فهمي ولطفى السيد وحمد الباسل  
 ومحمد على علوبة لا يكونون الحب لمصطفى النحاس .. انها  
 الحقيقة الاليمة )) .

بريد من مصر

وصلت جرائد مصر الآن وأنا جالس مع الرئيس وتسلم معها بضعة خطابات منها اثنان من النحاس وفيهما وصف استقبال الاعضاء وما بدله من مجهود كبير ليمنع وقوع أية مظاهرات عدائية لهم ، وأن نقابة المحامين قررت عدم ارسال نائبين عنها لاستقبالهم بعد أن سبق أن قررت ذلك ، وان النحاس وحافظ عفيفي وويصا واصف أرسلوا برقية لاسلكية الى ظهر المركب يرجون فيها الاعضاء بالا يدلوأ بأى حديث أو تصريح عند وصولهم حتى يقابلوهم ، وليس فى الخطابين شئ مطلقا عما قاله الاعضاء لهم عند لقائهم ولا ما جرى فى اجتماعهم الذى انتهى باصدار بلاغهم .

هذا وقد لاحظ الرئيس ان جرائد ( الامة والمحروسة والاهالى )  
 طعننت فيه أشد الطعن كما نشرت برقيات زعمت أنها وصلت اليها  
 من أنحاء البلاد بسحب التوكيل منه وكتب أحمد وفيق المحبامي  
 ( حزب وطنى ) مقالا جاء فيه : (( ان سعد زقلول لم يتشبث بعدم  
 الدخول فى المفاوضات المقبلة كدافع وطنى ، وانما لمجرد معاكسة  
 عدلى الذى أظهر ملنر الميل اليه دونه )) .

## سعد يقول : عودتى لمصر ضرورية !

٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تناولت الشاي مع الرئيس اليوم ثم قال وعلى وجهه ابتسامة خفيفة (( عجباً !!! أن بعض جرائد مصر قد أخذت الآن تتهجم على والادى من ذلك أن المدعو اسماعيل بك ليبب (من الحزب الوطنى) قد أرسل برقية الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بأن الشعب المصرى لا يؤيدنى وبأنى لم أعد أمثل مصر ، وأن كل اتفاق معى لا قيمة له ولن تقبله مصر ، هكذا بلغت الحماسة والخيانة بعض الناس ، وكان الوطنية فى نظرهم هى أن يظعن بعضنا على بعض ، وأن نسقط كل زعيم يحوز ثقة الأمة حتى لا يرتفع رأس وحتى تضيق كل ثقة . الثقة لا بد من الثقة فهى سر نجاح الانجليز اذ تتوافر الثقة بين ابنائها ، ولا خير فى امسة لا تحترم قادتها . تصححهم ان اخطاوا لا أن تقتلهم قتلا ، واسفا على مصر ما دام فى بعض ابنائها هذا الطغام الحافد الاعمى الذين لا يدركون انه ليس من السهل ايجاد الزعماء الاكفاء فى المراحل الحاسمة من مراحل التاريخ )) .

بهذه النغمات تحدث الزعيم ، ولكن سرعان ما انتفض اقوى ما يكون وقال : (( هؤلاء ليسوا هم الأمة وانما هم انتهازيون لا فى العبر ولا فى النفر ، ولا وزن لهم ولا تأثير ، وفطرة الشعب المصرى سليمة يمكن الاعتماد عليها . ثم قال :

(( ان الحكمة والضرورة تقضيان بعودتى الى مصر لانولى المعركة بنفسى بعد أن أعيد تنظيم الوفد من جديد . انها معركة ضارية قاسية . انظر الى جرائد المتأمرين تحد الاهالى والمحروسة والمنبر ولا هم لها فى جميع مقالاتها الا مهاجمة الوفد ومحاولة اثبات تقصيره وهى تهدف من وراء ذلك كله الى اسقاط التوكيل عنه وفض الناس من حوكة ، وهى فى كل ذلك لا تتعرض للانجليز بكلمة نقد واحدة . . ولا شك فى انها جرائد ماجورة من الانجليز الذين يفدون عليها المصاريف السرية بسخاء واسراف . وللانجليز اسلحة مختلفة لمحاربة الشعوب ، فقد اتخذوا الوطن والمنبر ليمدحا كل ما عرضه الانجليز حتى التى تخدم الاستعمار البريطانى بشكل مكشوف لا ثقة للناس بها ، لذلك لجأ الانجليز الى نوع آخر من الجرائد ، وهى جرائد الحزب الوطنى .

انها جرائم تنطرف في الوطنية وتطلب المخال السودان وملحقاته والصومال وذيلع بلا قيد ولا شرط وهي تمطر الوفد وابلا من التهم الباطلة وليس لها قصد في ذلك التطرف والتظاهر بالوطنية الجامحة الا زعزعة ثقة الناس في الوفد ورئيسه، ثم هي لا تتعرض للانجليز باي سوء او نقد . لقد تتبعت كل ما كتبت فلم احدها تعرضت ولا مرة واحدة للاعضاء العائدين بكلمة نقد ، وانما النقد الشديد محصور ومركز كله على سعد زغلول بغير اي ذاع او مبرر، ولكن عداها السافر نحوى لا سيما وهم يرون ثقة الامة بشخصي ثقة فريدة معدومة النظر .

حتى جريدة الاهرام اصبحت مملوءة بكتابات العدليين وانصار الاعضاء العائدين وتحييد مشروع ملتر ، أن عودتي اصبحت لازمة واني لقادر على تحطيم كل هؤلاء القادرين والمنحرفين )) .

### سفر ثلاثة الى لندن فجأة

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تقرر اليوم سفر على ماهر وسينوت، حنا الى لندن ومعهما الدكتور حامد لان البرلمان سيفتح في ١٥ منه ، ويحسن مقابلتهم لبعض أعضاء مجلس العموم من حزب العمال العاطفين على مصر لكي يضعوا أسئلة محددة لكشف الطريق عن نيات الحكومة البريطانية ازاء مصر في ضوء تقرير ملتر الذي لم ينشر بعد . وفي اثناء تناولي الشاي مع الرئيس سألته عن الحكمة في ارسال سينوت حنا وهو لا يعرف الانجليز فابتسم وهر رأسه وقال : (( لا تنس أن لسينوت شهرة في مصر من أيام مقالاته المشهورة )) .

هذا وقد وضع الرئيس مذكرة عن التحفظات المراد تعديل مشروع ملتر على أساسها وطلب مني أن اترجمها الى الانجليزية حتى يأخذها على ماهر معه .

١٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سلمت الرئيس الترجمة الانجليزية للتحفظات فسلمها بدوره الى على ماهر ، وعند الانصراف في الساعة الواحدة بعد الظهر رجاني احمد نجيب أن اكلم الرئيس في مسألة اذاعة خبر سفر على ماهر وسينوت بواسطة مراسل الاهرام لا الاخبار وأفهمني أن

عملا كهذا قد يقتله ويقتل الاخيار لا سيما أن الاهالى قالت انه سخر لخدمة الرئيس وانه لا يجوز بعد التضحيات الكثيرة التي تحملها أن يعامل اليوم على هذه الصورة ، فضحكت وقلت لاهل الرئيس أراد أن يثبت للاهالى أنك غير مسخر لخدمته وخدمة سياسته ، فكرر الرجاء . وفى المساء كلمت الرئيس فدهش كثيرا وقال : (( كيف عرف نجيب هذا الخبر بهذه السرعة )) ثم قال متعجبا (( لم يستطع اصحابنا كتم شيء ، ان الحقيقة هى انى لا اريد أن أعلن عن سفرهم حتى لا تؤمل الامة املا باطلا ، فتساءل عن القصد من المهمة وعن نتيجتها بعد عودتهم الى باريس ، وانى اشرت عليهم أن يسافروا بلا إعلان منى فى الاهرام او الاخبار، ولكن ما الحيلة ، وقد تسرب الخبر ؟ )) .

### مهمة محمد محمود باشا فى أمريكا

١٣ من فبراير سنة ١٩٢١ :

علمت من الرئيس فى أثناء تناولى الشاى معه أن محمد محمود باشا كان قد ذهب الى أمريكا ومعه ٣٥ ألف جنيه من اموال الوفد، وبعد إودته قدم تقريراً للرئيس أوضح فيه أنه اتفق مع مستر فولك المحامى على أن يفلق مكتبه ويتخصص لخدمة القضية المصرية معه مقابل ألف جنيه فى الشهر .

وبعد أيام من وصوله الى باريس أراد محمد محمود أن يسافر الى إنجلترا للدعاية هناك ، ولكن الرئيس رأى تأجيل النظر فى هذا الاقتراح فوافق أعضاء الوفد على ذلك .

١٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سافر صبيحة اليوم على ماهر وسينوت حنا وحامد الى لندن وأرسل نجيب الى الاخبار برقية قال فيها : ان سفرهم كان بناء على دعوة خاصة من بعض اصدقاءهم من أعضاء البرلمان الانجليزى .

### تفتيش واستجواب

١٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

فى الساعة الواحدة من بعد الظهر عدت الى البانسيون للغداء كالعادة ، واذا بخطاب من الدكتور حامد محمود ينتظرنى وهو بتاريخ أمس ١٥ من فبراير وهو اليوم التالى لوصولهم الى لندن

فأسرعت الى فضه واذا بداخله خطاب خاص معلق باسم الرئيس فحملته اليه بعد الظهر وفتحه ، فاذا مطلعته : (( عزيزى كامل )) فقال لى الرئيس هذا لك واخذ يقرأه بصوت مسموع وعلمنا منه ان ثلاثتهم ( على ماهر وسينوت وحامد ) كانوا مراقبين أشد المراقبة على ظهر السفينة من ( كاليه الى دوفر ) . وما أن نزلوا الى شاطئ دوفر حتى تقدم اليهم موظف بريطانى وطلب منهم أن يتبعوه الى مكتبه ، وهناك أخذ فى استجوابهم : سأل الدكتور حامد عن سبب قدومه الى انجلترا وعلاقته بالوفد وما ينوى عمله ومدة الإقامة فيها ، ثم سأل على ماهر عن مهمته. وعن المدة التى يريد قضاءها فى لندن ، ولما أجابه بأنه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته سألته عدة أسئلة فى هذا الموضوع ، ثم جاء دور سينوت خنا ووجهت اليه نفس الاسئلة وبعد ذلك فتنش هذا الموظف الدكتور حامد تفتيشا دقيقا حتى بطانة ملايسه وقبعته ، كما فتشت أمتعتهم جميعا وعثر فيما عثر من أوراقهم على الترجمة الانجليزية للتحفظات وشرحها بقصد طبعها وتوزيعها على أعضاء البرلمان ، واستمر التفتيش طويلا حتى فاتتهم القطارات المخصصة لسفر الركاب من باخرة دوفر الى لندن .

واخيرا اضطر الموظف الى مصاحبتهم الى فندق ليقيموا فيه الليلة حتى يستشير لندن ، وفى صبيحة اليوم التالى ( وكانوا يتناولون طعام الفطور ويتباحثون فى هل يعودون الى باريس فورا ويقيمون فى الفندق ليلة أخرى ) حضر الموظف واعتذر لهم طويلا ، وفى أدب جم سمح لهم بالسفر الى لندن ، وانتظر على الرصيف حتى تحرك القطار بعد أن كرر الاعتذار .

اطلع الرئيس على كل هذه التفاصيل وهو فى ذهول من هذه المعاملة الجافة الخشنة الوقحة ، واستاء منها أشد الاستياء وتطير لها كثيرا فى تشاؤم وانقباض . وقال فى دهشة : (( كيف علم الانجليز بسفرهم قبل وصولهم الى دوفر ؟ )) .

قلت يا سيدى ان دومانى قد ذهب بجوازات سفرهم الى القنصلية البريطانية وحصل منها على التأشيرات اللازمة لزيارة انجلترا ، فلا يستبعد أن يكون القنصل الانجليزى قد أبلغ حكومته بذلك ، بل لعله استأذن حكومته أولا قبل اعطائهم الفيزات اللازمة

فقال الرئيس : اذن نحن مراقبون هنا فى باريس وأصبحنا مشبوهين فى نظر الانجليز ؟ .

فقلت : أما المراقبة فمؤكدة . بدليل ما حدث من قرائنها ، ولا شك أن الحكومة البريطانية تخشى من حركاتك وسكناتك لا سيما والبرلمان البريطاني على وشك الاجتماع ، وقد بدأت فعلا دورة انعقاده أمس وبدأت أسئلة الاعضاء تنهمر على الوزراء . ثم قلت : (( ولكن الذى لا أفهمه يا سيدى لماذا قال على ماهر انه يريد التفيتش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته ولم يقل الثلاثة بايجاز أنهم قادمون للزيارة ، مجرد الزيارة وتمضية أجازة قصيرة فى لندن ؟ )) .

فقال الرئيس باسمنا : (( المتهم يرتبك دائما وقل أن يقول الحقيقة ويرى فى غيرها منجاة له )) ..

### تصريح رئيس الوزراء البريطانية فى مجلس العموم

١٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

أدى رئيس الوزارة البريطانية فى مجلس العموم أمس بيان جاء فيه أن حكومته لا تبت بقرار فى مسألة مصر إلا بعد استشارة الحكومة المصرية ، فأرسل الزعيم خطابا ظهر اليوم الى على ماهر جاء فيه : (( أن أعضاء البرلمان لا شك يعترفون أن وزارة مصر لا تمثل أى جزء فى الأمة ، ولا هى من الحزب الذى النفوذ فى البلاد ، وانها لا تعبر الا عن رأى أشخاصها وكلهم تكرات ولا وزن لهم فى البلاد )) .

وقصد الرئيس فى هذه العبارة أن يلفت على ماهر نظر بعض انصارنا من أعضاء البرلمان الى هذه الحقائق وأن يسألوا فى ذلك حكومتهم .

### برقية رئيس اللجنة المركزية للوفد الى رئيس الوزارة البريطانية :

١٨ من فبراير :

لاحظ الرئيس فى ضيق ظاهر أن محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية فى مصر أرسل برقية احتجاج الى رئيس الوزارة البريطانية على تصريحه الأخير ، كما سبق أن أرسل برقية احتجاج على تصريح تشرشل وزير المستعمرات الجديد ، فأملى على الرئيس خطابا موجه الى مصطفى النحاس جاء فيه :



(( لاحظت مع الاسف ان رئيس اللجنة المركزية أرسل باسمه وعن أعضاء الوفد الموجودين في مصر ، برفقة الى لويد جوج رئيس الوزارة البريطانية ، وهي أول مرة تخاطب اللجنة المركزية سلطة أجنبية خارج مصر . وكانت خطتها من يوم تأليفها مراسلة الوفد بما يعن لها من الآراء والأفكار ، وهو يتصرف فيها بحسب ما يراه وذلك طبقاً للأنحة الوفد التي تشكلت بمقتضاها ، ولم يترتب على هذه الخطأ من يوم وضعها الا ما قدر لها من وحدة العمل وانتظام السير . ولم تبد من الأمة ( خصوصاً في هذه الايام ) الا مايؤيدها ويؤكد صفة من يمثلها ، فلماذا اختارت في هذه المرة طريقة غيرها ولا تنفق مع نظام العمل ؟

ان كان المقصود ان تحل اللجنة محل الوفد ورئيسها فحل رئيسه فلا يكون ذلك الا بإرادة الأمة ، وما دامت هذه الإرادة غير موجودة فلا يتأتى لي ان أتخلي عن المسؤولية التي ألقيت على عاتقي ، وإذا كنت قد سكوت حتى الآن لعدم تأكدي من هذا القصد فاني لا أبيع لنفسي السكوت عنه اذا تكرر العمل وتأكد القصد والسلام))

توقيع

سعد زغلول

### إذاعة تقرير ملنر :

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

نشر اليوم تقرير لجنة ملنر . ظهر في لندن بالانجليزية وظهر في القاهرة مترجماً الى اللغة العربية . وفي المساء وصلت الينا نسخة بالانجليزية أرسلها الينا على ماهر بالطائرة من لندن ، فكلفني الرئيس أن أقوم بترجمة التقرير كله الى العربية بأسرع ما يمكن ولو أسهر الليل كله ، وذلك حتى يطلع على ما فيه اذ لا يطبق الانتظار حتى ترد اليه الترجمة العربية الرسمية من القاهرة . وبعد العشاء عدت الى شقة الرئيس كالعادة في الساعة التاسعة مساء بعد أن اشتريت في طريقى جريدة التيمس . وقد وجدت قد نشرت مقالة افتتاحية عن مصر وخلاصة موجزة من آراء اللجنة ملنر الواردة في التقرير .

### سعد يقول انها حماية مقنعة

وقد ترجمت كل هذا شفويا للرئيس وهو مصبغ أتم اصغاء بلا سؤال منه أو استفسار ، فلما فرغت من الترجمة قال :

(( يا عجباً !!! ايمكن ان يشك اى انسان فى ان هذه حماية مدعمة مستوررة حيناً • وعارية حيناً آخر ؟ اشتراك فى الادارة الداخلية والخارجية ، وشئون التشريع وابقاء قوة عسكرية لها فى البلاد فى غير منطقة قنال السويس ، ثم موظفون بريطانيون يملأون الوزارات الحكومية ومصالحها واستخدام لكل وسائل النقل والمواصلات فى مصر ، وحمايتها مدة السلم والحرب ؟ فماذا عملنا بعد كل جهودنا فى لندن ؟ ))

ولما اكفهر وجه الرئيس غضبا وسخطا وبعد صمت قليل طلب الى أن انصرف فوراً لاتصفح التقرير كله لكى أخبره فى الصباح بانهم ما ورد فيه من آراء ومقترحات خطيرة ، ثم أبدأ بالترجمة على وجه السرعة .

خرجت وأنا حائر مذهول كيف أقرأ هذا التقرير الطويل العريض المسهب لكى أكتشف أهم ما فيه مما اعتقد أنه يعنى الرئيس أن يعرفه فوراً ؟ ثم كيف أترجمه فى أيام قلائل والرئيس يريد على ما يظهر أن تتم الترجمة فى ساعات ؟ أن التقرير وثيقة من أهم الوثائق وكل كلمة فيه موزونة بميزان الذهب ، والسرعة فى الترجمة تضر ولا تنفع الا قليلا ، ومع ذلك سأفعل ما أستطيع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

ويا عجباً مرة أخرى كما قالها الرئيس عند انتهائى من ترجمة ما نشرته التيمس فقد رأيت ضوء الفجر يثسرب الى حجرة نومي وأنا أعدو فى قراءة التقرير عدوا وأطوى صفحاته طيا حتى وصلت الى ثلثه الاخير . ثم نظرت الى الساعة فاذا هى الخامسة صباحا ، ولم أتم لحظة واحدة فقد نسيت النوم ونسيت نفسى ، ولم أذكر الا التقرير وواجبى ازاءه وازاء الرئيس وازاء وطنى مصر ، فلما رفعت عيني من التقرير لاستريح قليلا نظرت الى المرأة فاذا عيناى مختقنتان يكاد الدم يقطر منهما ، واذا برأسى يكاد ينفجر من شدة ما فيه من حرارة فغسلته بالماء البارد بلا فائدة ثم بللت منديلا بالماء البارد ووضعت على وجهى وعلى عيني عساه يتمكن بالتبخير من تخفيف ما أعانيه من حرارة كأنها حرارة حمى ضارية .

كنت فى اثناء قراءة التقرير ممسكا بقلم احمر واضح علامة او اشارة على كل كلمة او عبارة او فكرة أظن ان الرئيس يجب ان يعرفها اذ محال ان اذكر كل ما قرأت ولكن هذه العلامات الحمراء تساعد الذاكرة على ما استوعبته فى المطالعة السريعة حيناً بحين وقت التلخيص للرئيس بلا أفراط أو تفريط .

انقضت ساعة كاملة وأنا منصرف الى عملية تخفيض حرارة رأسي واحمرار عيني بطريق التبخير ، ثم استأنفت القراءة السريعة الملهوفة حتى الساعة الثامنة صباحا فحضر الفطور ولا أدري كيف التهمت .

وفي الساعة التاسعة صباحا كنت في شقة الرئيس ، واذا هو جالس في مكتبه ينتظرني بفارغ الصبر ، فحدثته عما اكتشفته في هذا التقرير . واستغرق حديثي معه ساعتين كاملتين وهو مطرق لم ينظر الى وجهي مرة واحدة ليدرك ما في عيني من احمرار مسرف ودون أن يسأل كيف حملت ذاكرتي كل هذه البيانات والمعلومات ، فلما فرغت ونظر الى الظاهر اعجابا واشفاقا وتقديرا دمعت له عيناي ، وطلب الى أن اذهب فورا الى الفراش لاستريح قليلا ثم ابدأ في الترجمة الحرفية لكل هذا التقرير وأن أعود اليه في المساء بعد العشاء كالعادة ومعنى ما ترجمته .

لا حاجة الى تسجيل كم دقيقة نمت واسترحت وكم ساعة ترجمت وارهقت ، هذه أمور يصفها الخيال بالقصور ويعجز القلم عن ايفاء حقها في الوصف والبيان ، ثم هي مسائل شخصية لا تهم أحدا غيري فلأنصرف عنها الى ما هو إجدي واقوم .

٢٠ من فبراير الى ٢٥ فبراير ١٩٢١ :

في ستة أيام كاملة بنهارها ولياليها فرغت من ترجمة هذا التقرير العتيد ، كل فقراته المهمة ترجمتها ترجمة حرفية دقيقة كاملة ، وما عداها وهو قليل لخصتها تلخيصا يعطى فكرة دقيقة عنها . .

قرأ الرئيس الترجمة في نهم وحماسة أولا بأول فلما فرغ وانتهى منها اشتد سخطه والله وضيقه بهذا التقرير في كثير من فقراته وقال بصوت مرففع (( هذا كذب كذب ، لم أنصور لحظة ان ملئر يمكن أن يهبط الى هذا الحضيض من الكذب والبهتان )) . . ولاذكر على سبيل المثال لا الحضر ما وصفه الرئيس بأنه تجرد من الصدق والامانة من عبارات التقرير :

١ - ان أعضاء الوفد عادوا الى مصر لظهار ما في المشروع من فوائد ومزايا ولحمل الناس على قبوله .

٢ - ان مبداء ابقاء قوة عسكرية في القطر المصرى مسلم به من الوفد ولم يبق الا تعيين مكانها .

٣ - ووصفه الوفد بأنه كان يسلم أحيانا بعدالة الحجج الانجليزية ولكنه كان يخشى من حكم الناس عليه في مصر ، وكان يخاف أن يتهم بالخروج عن توكيله .

### برقية الرئيس الى مصطفى النحاس

أرسل الرئيس يوم ٢٤ من فبراير بريقة الى مصطفى النحاس يطلب فيه :

(( ان ينشر مشروع الوفد الاول لانه ابلغ رد على مقترحات تقرير لجنة ملنر فيما ينسبه الى الوفد من الرضا عن مشروعه لا سيما فيما يختص بمبدأ بقاء قوة عسكرية بريطانية في مصر والعلاقات الخارجية والداخلية بين البلدين )) .

فورد الرد من النحاس يوم ٢٥ من فبراير جاء فيه :

(( ان جميع أعضاء الوفد هنا يرون تأجيل النشر حتى يتم درس التقرير كله وكانت الموافقة بالاجماع على هذا الرأي )) .

- ما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى ثار ثورة عاتية خشيت أن يصاب بعدها بمكروه .

وفيما يلي أبرز ما ورد في تقرير ملنر مما دارت بشأنه المفاوضات واستطالت عدة جلسات ، لاهميتها ، وهى :

- ١ - سياسة بريطانيا ازاء السودان .
- ٢ - رأى ملنر في زيارة المندوبين الاربعة لمصر .
- ٣ - مصر والتمثيل السياسى .

### ملنر والسودان

فقد جاء فى التقرير عن موضوع السودان ما نصه :

(( يجهل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادئ التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ، وأشير فى الوقت نفسه الى الخطة العامة التى يلوح لنا أنها أصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول :

(( ان الاكثرية الكبرى من اهل مصر متجانسة بالنسبة الى سواها  
واما السودان فمقسوم بين العرب والسود وفي كل من هذين  
الجنسين الكبيرين اجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا  
عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . اما عرب السودان فيتكلمون  
باللغة التي يتكلم بها اهل مصر وتجمع بينهم جامعة الدين .  
والاسلام اخذ في الانتشار في السودان حتى بين الاجناس غير  
العربية من اهله ، وهذه المؤثرات تطف ما بين اهالي البلدين من  
التضاد والتنازع ولكنها لا تقوى عليه بعد ما زادت ذكريات سوء  
الحكم المصرى الماضى قوة وشدة )) .

(( اما الروابط السياسية التي ربطت السودان بمصر في فترات  
مختلفة من الزمان الماضى فكانت دائما روابط واهية ، فان الفاتحين  
المصريين اجتاحتوا اقساما من السودان بل السودان كله ، ولكن  
مصر لم تخضع السودان قط اخضاعا حقيقيا ولا ادغمته فيها  
وجعلته بعضها منها بمعنى من المعانى ، وكان فتحها له في القرن  
الماضى نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى امره بفتنة المهدي التي  
قلبت السلطة المصرية راسا على عقب في اوائل العقد الثانى من ذلك  
القرن ، ولم يبق للسلطة المصرية اثر في السودان مدة اكثر من  
عشر سنوات الا في مقاطعة صغيرة حول سواكن ، فاضطرت بريطانيا  
العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات انفتت عليها  
اموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التي كانت  
عرضة لسيل عصابات المهدي الجارفة ، واستلمت الايدى  
البريطانية زمام حكومة السودان فعلا منذ فتحت القوات البريطانية  
والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين في سنتى ١٨٩٦ - ١٨٩٨  
وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية في سنة ١٨٩٩ لان  
الحاكم العام وان كان يعينه سلطان ( وسابقا خديو ) مصر  
فالحكومة البريطانية هي التي ترشحه ، وكل مديرى المديرات  
وكبار الموظفين هم من البريطانيين فتقدم السودان تقدما عجيبا  
ماديا وادبيا تحت رعاية الحكومة المنظمة هذا النظام لاننا اذا حسينا  
حساب كل ما تقضيه بساطة هذه القضية وهي ادخال المبادئ  
الاولية لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد اهلها لا يزالون في اول عهد  
السداجة ، حكما بأن النجاح العظيم الذى نجحته بلاد السودان فى  
المدة الطويلة التي كان فيها السير رجندل ونجت حاكما عاما عليها  
يعد امجد صفحة في تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب المتأخرة  
.. اما الحكومة الحالية فمقبولة ومحوبة عند اهل السودان ،  
والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد الا فيما ندر )) .

(( غير انه وان تكن مصر والسودان بلدين متمايزين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين ، فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جداً في السودان وهى ان النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات الاميال في بلاد السودان ، فمن اهم الامور لمصر منع أى تحويل لماء النيل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية أو أن يمنعها من اصلاح أراضيها التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصير قابلة للزراعة اذا خزن ماء النيل وزاد ما يرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأساً من النيل قليلة حتى الآن ، ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم الى ماء اكثر لاجل تقديمها ، وقد يفضى ذلك الى التضارب بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ، ولكن الامل وطيد أنه اذا حفظت مياه النيل جيداً ووزعت كذلك ، كفت لرى كل الاطيان التى يمكن ان تحتاج الى الرى سواء كانت في مصر أو في السودان . ولكن التحكم في مياه النيل وضبطها للرى مسألة في أعظم مكان من الاهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى في رأينا تعيين لجنة دائمة من خبيرين من الطبقة الاولى وأيضاً من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الامر وهى مصر والسودان وأوغندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم في ماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط .

ولتجاور مصر والسودان ولاشتراكهما فى المصلحة فى النيل يحسن أن تكون بينهما رابطة سياسية على الدوام ، ولكن هذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر ، فبلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها وبحق لها أن تكون كذلك أيضاً ، ولم يحسن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها في آخر الامر وكيفية لقضاء أغراضها في الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخير السودان عن الترقى والتقدم مستقلاً عن مصر .

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السودان كله تحت سلطة واحدة عليها ولكن لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله في حكومة مركزية ، بل الواجب ألقاء مقاليد إدارته بقدر الامكان الى حكام

من الوطنيين حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظرا لاتساع أرجائه واختلاف طباع أهله وأخلاقهم ، فالحكومة البيروقراطية المركزية لا تلائم السودان على الإطلاق وإنما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطيع لقضاء الاعمال الادارية البسيطة التى تحتاج اليها البلاد فى الحالة التى هى عليها من التقدم لأن ذلك يقلل نفقاتها ويؤيد فى كفاءة رجالها وحسن ادارتها . والموظفون الآن من أهل البلاد لا يزالون قليل العدد بجانب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة فى السودان ، ولكن هذه الصعوبة ستدلل كلما تقدم التعليم فى السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفاءا من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب فى الوقت عينه الانتباه الكلى الى أمر التعليم حتى لا يرنكب فيه الخطأ الذى ارتكب فى مصر بإدخال نظام إليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الاعمال الكتابية والوظائف الادارية الصغيرة وتخريج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم الى الاستخدام فى الحكومة . فليس فى السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يوجه التعليم بحيث يربى فى السودانيين القابلية والميل الى الاعمال الاخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة اذ حاجة تلك البلاد الآن هى الى الترقى المادى ، وفى وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان . .

ان القواعد العسكرية التى لا تزال تستخدم فى السودان كبيرة جدا . نعم ان وجود جيش كبير فى تلك البلاد كان لازما لاتمام فتحها ولاستتباب السكون فيها ، ولكننا نرى ان الزمان قد حان لاعادة النظر فى مسألة القوات العسكرية فى البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على عاتق مصر من بقائها هناك . ثم ان وظيفتى الحاكم العام على السودان والقائد العام للجيش المصرى لا تزالان مجتمعتين فى شخص واحد ، وكانت الاسباب التى تقتضى ذلك وجيهة فى الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه اذا أريد أن يكون كذلك دائما ، ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الغرض الذى ترمى اليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين فى المستقبل على قاعدة تضمن ارتقاء السودان ارتقاء مستقبلا ومصالح مصر

الحيوية في ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه في الحصول على  
ايراد كاف مضمون من الماء لرى اراضيها الزراعية الحالية ، وعلى  
نصيب عادل من كل زيادة في ايراد الماء يتييسر للبراهة الهندسية  
أن تأتى بها ، فاذا صرحت بريطانيا العظمى رسميا باعترافها بهذا  
الحق وانها عاقدة النية على المحافظة عليه في كل حال ، سكنت  
بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا  
القبيل . ورأينا أن هذا التصريح يفي بالغرض المقصود اذا تم في  
الوقت الحاضر )) .

### حول زيارة المندوبين الاربعة لمصر

اما ماسجله ملنر في تقريره عن زيارة المندوبين الاربعة لمصر  
وبيان مهمتهم فنصه كما يلى :

(( بعد انتهاء المناقشات التى أسفرت عن مشروع ١٨ أغسطس  
سافر زغلول باشا وسائر رجال الوفد وعدلى باشا أيضا من لندن  
الى باريس ، ثم سافر في الحال اربعة من أعضاء الوفد وهم ( محمد  
محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك وعبد اللطيف المكباتى بك  
وعلى ماهر بك الى مصر طبقا لما تم الاتفاق عليه لكي يحصلوا من  
مواطنيهم على تأييد المشروع . وكانت خلاصة هذا المشروع قد  
وصلت الى الجرائد مع بعض الاخطاء الطفيفة في تفصيلها ، وقد  
قوبلت خلاصة المشروع هذه في مصر بعبارات الرضا والاستحسان

وحوالى ذلك الحين نشر في مصر بيان طويل من زغلول باشا  
نوه فيه بصفة الوفد النيابية التى يمثل فيها الامة وبما لقيه من  
تأييدها ، وأشار الى المسامى التى بذلها الوفد لعرض القضية  
المصرية على مؤتمر الصلح وعلى العالم كله ، مدعيا أنهم اكتسبوا  
شيئا كثيرا من الميل والعطف في البلاد الاجنبية .

ثم استطرد تقرير لجنة ملنر الى مقاطعة الشعب لاعضائها  
بسبب اصرارها على بقاء الحماية ، وما جرى بعد ذلك حتى أفضى الامر  
الى زيارة الوفد المصرى للندن والمناقشات التى جرت فيها .  
وأعلن في الختام ان الاقتراحات التى نشأت عن تلك المناقشات  
ستعرض على الامة على يد رسل منتدبين لذلك ، فاذا قوبل  
المشروع بالاستحسان عين ممثلون للمفاوضة في عقد معاهدة على  
القاعدة المقترحة )) .



## بريطانيا والتمثيل السياسى

وأوضح ملنر في تقريره موقف بريطانيا من الموضوع الثالث الخاص بالتمثيل السياسى كما يلى :

(( كنا ولا نزال نرى من المبادئ الاساسية أن تكون علاقات مصر الخارجية تحت ادارة بريطانيا العظمى بوجه عام وجميع عقلاء المصريين يدركون عظم قيمة الضمان الذى يناولونه من محالفة بريطانيا العظمى لهم مهما كانت ميولهم شديدة الى الحركة الوطنية . . . واضح أنه لا يمكن أن ينتظر من بريطانيا العظمى أن تحمل على عاتقها مسئولية الدفاع عن سلامة مصر واستقلالها من جميع الاخطار اذا تركت مصر وشأنها فى اتباع السياسة الخاصة بها ولو كانت ضارة بالسياسة البريطانية وغير مطابقة لها ، وهذه أولية لم ينازعها فيها أحد من المصريين الذين كنا نناقشهم ، بل كلهم كانوا مستعدين أنهم عند عقد معاهدة المحالفة يعطون كل الضمانات اللازمة لمنع مصر من كل عمل يمكن أن تعمله اذا كان يوقع بريطانيا العظمى فى ارتباك ، ولم يقع بيننا وبينهم خلاف فى الراى فى هذه النقطة عند المناقشة .

واستطرد فقال : المسألة الحقيقية التى كانت موضع الاخذ والرد لم تكن : هل يجوز أن تكون مصر حرة فى اختيار سياسة أجنبية مستقلة عن بريطانيا العظمى اذ لا خلاف فى أن موافقتنا على هذه المسألة ضرب من المحال ، وانما كانت هل يتضمن هذا المبدأ وجوب أن تبقى ادارة جميع علاقاتها الخارجية فى ايد بريطانيا ؟ ، هذه المسألة كنا قد اتفقنا فيها على قرار نهائى قبل أن نناقش المصريين فيها . وهذا القرار هو أن تقتصر السيطرة البريطانية على علاقات مصر السياسية ، وانما مصالح مصر التجارية وسواها من مصالحها الخارجية غير السياسية فالأفضل تركها فى أيدي المصريين ، وهذه المصالح كثيرة وعددها آخذ فى الازدياد ، فاتساع نطاق التجارة والمواصلات وازدياد عدد المصريين الذين يسافرون الآن الى البلدان الخارجية وقيمون فيها وخصوصا فى قرب أوروبا ، والعلاقات العديدة التى تحصل لهم هناك تحتاج هذه كلها الى حماية رسمية ، فإذا ظل سفراء بريطانيا العظمى وقناصلها يرعون مصالح جميع المصريين خارج بلادهم ثقلت اعباء ذلك جدا عليهم ، ولذلك رأينا فى بادىء الامر أن تعيين مصر لممثلين لها فى الخارج يكون عين الصواب ولكن الذى

كنا نقصده في الاصل هو أن تكون صفة هؤلاء الممثلين صفة قنصلية فقط لا سياسية . فلما دارت المناقشة في لندن بيننا وبين المصريين عدلنا رأينا في هذه النقطة بعد تردد وتمنع مع جانبنا ، ذلك لأن المصريين أجمعوا على أن انكار الصفة السياسية مع الممثلين المصريين يفسد فكرة المحالفة ويحمل أبناء وطنهم على رفض التسوية التي كنا نفكر فيها . ثم رأينا نحن أنهم مصيبون فيما يقولون لاننا أدركنا ونحن في مصر أن المصريين جميعهم والسلطان ووزراءه في جملتهم يرغبون في أن تمثل بلادهم سياسيا في الخارج مهما اختلفت آراؤهم في المسائل الأخرى . وكانوا كلهم متعاضدين من الغائنا منصب وزير الخارجية المصري عند اعلاننا الحماية وتسليمنا زمام وزارة الخارجية الى العتد السيساسي البريطاني . وكذلك كانوا كلهم يرجون أنه متى آن الاوان لتسوية العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تسوية دائمة يعين وزير مصرى في وزارة الخارجية المصرية ويتلقى ممثلو مصر في البلدان الخارجية اعتمادهم من حاكم مصر رأسا . وكانوا يلحون على هذا المبدأ أيضا بعد زوال السيادة العثمانية أن الذين ترسلهم مصر الى البلدان الاجنبية ليمثلوها فيها تكون لهم الصفة السياسية التي تكون لممثلى الدول الاجنبية في مصر .

فلذلك لم يخامرنا ريب في أن أعضاء الوفد المصرى كانوا يعبرون عن رأى بلادهم كلها في هذه المسألة . . كانوا يقولون لنا قولا صريحا باننا اذا لم نوافقهم على هذه النقطة فلا أقل أمل في تسوية العلاقات بطريق الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر في المستقبل . واما اذا اعترفنا بها لمصر أرضينا المصريين إرضاء تاما بمراعاة عزة نفوسهم ، فيسهل ذلك قبول سائر شروطنا . وتساءلوا قائلين : لماذا أنتم حائقون ؟ فقد اعترفتم أن لمصر مصالح كثيرة خاصة بها في البلاد الاجنبية يحسن المصريون رعايتها أكثر مما يحسنها غيرهم . ولا مزية لبريطانيا العظمى من الضن بالصفة السياسية على الذين يعينون للاعتشاء بتلك المصالح لانهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا يضر بالمصالح البريطانية أو يناقض السياسة البريطانية ما لم يخرقوا المعاهدة التي تم الاتفاق عليها . هذا فضلا عن أن عدد الممثلين السياسيين الذين يمثلون مصر في الخارج سيكون قليلا جدا لأن مصر لا تروم أن يكون لها ممثلون منهم الا في بلدان قليلة إذ لا يسعها أن تقوم بنفقات كثيرة ، وفيما عدا ذلك ستوكل مصر بريطانيا العظمى برعاية مصالحها وكفى بذلك دليلا على متانة العلاقات وحسنها بين البلدين .

فلم يسعنا الا الشعور بقوة هذه الحجج الوجيهة ومع ذلك فالامر واضح وقد قلناه لهم واكدناه على مسامعهم وهو أنه متى وجد ممثلون سياسيون من المصريين ولو في قليل من عواصم أوروبا . . ووجد ممثلون سياسيون من الاجانب في مصر انفسح بذلك المجال لدسائس يمكن أن تكون عواقبها وخيمة ، لان قلة وجود أعمال يعملونها ضمن الدائرة السياسية قد يغريهم بتعدى حدود وظائفهم حتى لا يقال انهم لا يجدون شغلا يشغلهم . ولكن رجال الوفد لم يسلموا بأنه يخشى في حدوث أمر كهذا بل كان رأيهم ان المصريين يرتضون ويسرون بالمركز الذي نالته مصر بعقد المعاهدة فيكونون آخر من يوافق على دسائس يمكن أن تفتح للاجانب سبيل التدخل في شئون بلادهم . وان أعظم ضمان يقينا شر هذه الدسائس هو ان المصريين يوافقون من صميم أفئدتهم على مخالفة يعترف فيها بحالتهم القومية وكرامتهم الوطنية ، هذه هي الادلة والبراهين التي حملتنا على إعادة النظر في مركزنا ازاء مسألة الصفة السياسية مع علمنا تمام العلم كما قلنا للوفد صريحا ان تساهلنا في هذا الامر قد يلقي الرعب المقلق في دوائر الرأي العام البريطاني يخشى منه ان يمنع الشعب البريطاني من قبول الاتفاق برمته . واذا بنينا حكمنا على ما نشأ عنه في الانتقاد والاقوال الدالة على عدم الرضى عنه في دوائر كثيرة اتضح اننا أصبنا ولم نخطيء في توقعنا له المعارضة الشديدة ، ومع دفعه ذلك فنحن لا نزال نرى كفة الحجج الراجحة هي في جانبه بلا مشاحة . لانه ما دام الجفاء والخلاف ضارين اطنابهما بين بريطانيا العظمى ومصر . فنحن نظل معرضين لعداوة المصريين لنا في البلاد الاجنبية . . فالجمعيات التي أنشئت لنشر الدعوة ضد انجلترا تنشرها بجهد واجتهاد منذ أهوام في سويسرا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا .

ولا علاج لذلك الا باعادة ملاقات الوداد . ونحن نعد السياسة التي اوضحناها هنا كفيلة بتحقيق ذلك فاذا تمت لنا هذه النتيجة ، فاعطاء الصفة السياسية لمثلى مصر في الخارج نافع لنا لا محالة لانه اذا بقى قوم من المصريين غير راضين بالمصالحة وبقوا مصريين على ادامة الدعوة ضدنا كما هو المنتظر اضطر الممثلون الرسميون المصريون أن يسعوا في كبح جماحهم وابقائهم عند حدهم اذ لايسع معتمدا مصريا الا الاعراض عن كل عمل يعمله ابناء وطنه ضد حليفة مصر والنفور منه والا قصر في الواجب عليه وتعرض للعزل من منصبه ))

## الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي

وفي ٢٥ فبراير كذلك علمنا مما نشرته جريدة التيمس أن الحكم في قضية عبد الرحمن فهمي بك قد صدر أمس وهو يقضى بعقوبه ١٥ سنة أشغالا شاقه بعد أن كان الحكم عليه بالاعدام ، ولا حظ الرئيس أن صدور الحكم في نفس الوقت الذي ظهر فيه تقرير ملنر ذو مغزى كبير ، لقد بدأت المحاكمة في اثناء المفاوضات في لندن وكانت المفاوضات مهددة بالقطع بعد أن تعثرت في أزمة حادة ، فكانت المحاكمة جزءا من سياسة الارهاب للامة وللوفد .

والآن يظهر التقرير في نفس الوقت الذي يصدر فيه الحكم الظالم القاسي ، وهذا التوقيت العجيب ملاحظ فيه كذلك أن يكون استمرارا لسياسة الارهاب والتحذير معا . . .

ولعله يهدف فيما يهدف اليه الى حمل الوفد والامة على الطاعة والاتفاق والاستسلام بدل المعارضة والمقاومة والاستنكار ، وكان لسان حال الانجليز يقول ( يا أيها الناس اذا اردتم الخلاص مما انتم فيه من كرب وظلم وعسف وارهاق ، فما عليكم الا أن تقبلوا مشروع اللجنة ) .

لقبذ ثار الرئيس في سخط والهم وانفعال ليس الى وصفه من سبيل وقال : ( أن الحكم ظلم وقسوة هائلة ولا يستند الى دليل ، وليس له من سبب سوى مجرد الانتقام والتشريد والارهاب لطلاب الاستقلال في مصر )

هذا وقد ارسل الرئيس برقية الى على ماهر في لندن كي يطلع بعض انصار الوفد من اعضاء مجلس العموم على حقائق هذه القضية وخفاياها وما انطوت عليه من ظلم صارخ حتى يخرجوا حكومتهم ويكشفوا سوءاتها ويفضحوها أمام شعبها وامام العالم .

## خطاب من حافظ عفيفي الى الرئيس !

ولما عدت للرئيس بعد العشاء ابلفني أنه تلقى خطابا من الدكتور حافظ عفيفي جاء فيه : ( انه من رأى الرئيس وسياسته ، وأنه معه قلبا وقالبا ) . ولكنه ختم خطابه بسؤال ماكر اذ تساءل عن الخطة العملية الواجب اتباعها الآن بعد أن وقف الوفد هذه الوقفة الحاسمة .

ثم ابتسم الرئيس ساخرا وقال :  
 (( لماذا لا يفكر حضرتك ويقترح علينا ما هداه اليه عقله الرجيع  
 اذا كان يؤمن حقا بوجوب اتباع سياستي ؟؟ انه يعلم تمام العلم  
 ان مشروع ملنر في ذمتي واعتقادي مشروع حماية . فلا يمكن  
 لي مطلقا ان احسنه للامة باية طريقة . وليس امامنا الآن من طريقة  
 عملية بعد رفضه ، الا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد  
 بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة ،  
 ومحاربة كل من يتصدى لتأييد الحماية ومشروعها الجديد ،  
 واستمرار الاحتجاج على بقائها في كل فرصة وكل مناسبة وغير  
 مناسبة ، ثم التشجيع المستمر على الاستعمار البريطاني لبلادنا في  
 الداخل والخارج ، في الداخل للانهاء المستمرة ، وفي الخارج  
 لايقظ الضمير الدولي على مخازي الانجليز في مصر والتنكيل  
 برجالاتها الوطنيين .

هذا هو برنامجي ومنهaji حتى ياتي الله بالفرج ، ولا يجوز  
 مطلقا ان نسمح للياس ان يتسرب الى قلوبنا ولا للضعف ان يتسلل  
 الى نفوسنا ، كما لا يجوز ان ننسى اهدافنا العليا وهي الحرية  
 والاستقلال والجلء التام عن البلاد .

ولابد ان ياتي يوم يعاوي فيه الحق على الباطل ، هذه سنة الله  
 وسنة الطبيعة ودرس التاريخ وليس العجز يعد على الامم ، وانما  
 العار كل العار ان تضع الامة غل الاستعباد في عنقها ، وان تقبل  
 المهانة في استسلام وان تدل نفسها برضاؤها لعزة الاجنبى ))

### عودة الثلاثة من لندن

في ٢٦ من فبراير : عاد من لندن الى باريس على ماهر وسينوت  
 حنا والدكتور حامد محمود وقد استقبلتهم في المحطة نيابة عن  
 الرئيس ، او بعبارة أدق بناء على تكليف من الرئيس

وفي المساء وصلت النسخة العربية الرسمية لترجمة التقرير  
 ارسلها مصطفى النحاس مع خطاب رجاء فيه ألا يتعجل ببدء رأى  
 في التقرير حتى يتمكن اعضاء الوفد من دراسته وتبادل الرأى معه .  
 أما الاعضاء الثلاثة فكان معهم تقرير ملنر بالانجليزية .

### مصادمة عنيفه مع على ماهر

٢٧ من فبراير : أعد الرئيس بيانا ليرسله الى النحاس بخصوص  
 تقرير ملنر وكلفنى بدعوة الاعضاء الموجودين في باريس للاجتماع  
 به في مقر الوفد ، وهم على ماهر وسينوت حنا وواصف غالى .

وما كاد الرئيس يفرغ من تلاوة بيانه حتى انبرى على ماهر بالكلام ورجا في الحاح تأجيل ارساله يومين أو ثلاثة حتى يرد من مصر شيء جديد . فقال الرئيس : (( وما الذى يعنى ان يكون بيانى برأى تحت نظر الاعضاء في مصر حتى يكون قرارهم في ضوء بيانى بالموافقة أو المعارضة أو التعديل ؟ )) فأجاب على ماهر : ( انتظر يوم أو يومين خير من العجلة حتى نتم نحن أيضا دراسة التقرير ) ، فانفعل الرئيس وقال غاضبا : (( ليس من المعقول أو المقبول أن تمنعوني عن العمل وتشلونى حتى تفوت الفرصة المناسبة . لقد مضت تسعة أيام على ظهور التقرير ولم يخبرنى أحد في مصر برأيه ، فانا في حل أن اتصرف بما اراه ، لا سيما أن جريدة التيمس نشرت اليوم كلمة لمراسلها في مصر زعم فيها حسن استقبال الناس للتقرير واغتباط السياسيين المصريين به فلا بد أن أبدي رأى )) .

فكرر على ماهر رجاءه في هدوء وادب جم فازداد الرئيس انفعالا وصدمة بصراخه المعهودة : (( ما هذا يا على بك ؟ يظهر أن ما قاله عبد العزيز فهمى عنك صحيح من أنك هنا تمنعني عن العمل )) فتألم على ماهر واهتز الى اعماقه حتى أشققت عليه من هول الصدمة وقال : ( لا يا باشا ، هذه قسوة ) ثم وقف وهم بالخروج ، فدعاه الرئيس أن يعود ويجلس . فعاد وأطاع وجلس وقال : ( افعل ما تريد يا باشا فليس لى رأى بعد اليوم ) . فرأى الرئيس تأجيل الجلسة الى الغد ودعانا جميعا لتناول الشاي معه في منزله الساعة الرابعة بعد الظهر .

لم يحضر على ماهر لتناول الشاي بعد الظهر واعتذر عنه سينوت حنا بحجة أنه متوقع أثر نوبة عصبية أصابته أسالت دموعه بالبكاء بمناسبة الحكم القاسى على عبد الرحمن بك فهمى ، فظهر الرئيس الشفاق عليه ، واستبعد جدا أن هذا هو السبب .

### برقية الرئيس الى النحاس برأيه في التقرير !

٢٨ من فبراير : ارسل الرئيس صباحا برقية الى النحاس وكلفنى ان اتولى ارسالها بالتلغراف المستعجل جاء فيها : ( ان التقرير خيب كل آمال ، وكشف نيات الانجليز ازاء مصر ، وهو يخول بريطانيا المراقبة فى الداخل والخارج يديرها مندوب سام مستند الى قوة

عسكرية موجودة فى البلاد ، وهو ما لا نقبله بحال من الاحوال  
وسبق أن رفضناها أكثر من مرة ) .

وحوالى الظهر حضر واصف غالى وسينوت حنا فأطلعهما  
الرئيس على البرقية ووافقا عليها ، وكلفنى الرئيس بمخاطبة على  
ماهر بعد الظهر للسؤال عنه وهو فى فندق كلاردج فقابلته بعد  
الغداء مباشرة وهو متأثر غاية التأثير ويريد العودة الى مصر فطبيت  
خاطره وأبلغته ان الرئيس يحبه ويقدره ويعتبره من اخلص الناس  
اليه ، فاستراح قليلا .

### راى سعد فى عبد العزيز فهمى !

وردت برقية من على الشمسى يقول فيها أن عبد العزيز فهمى  
نشر مقالة فى الاهرام انتقد فيها التقرير وجاء فيها أنه يمهّد لحماية  
فى شكل جديد فتعجب الرئيس غاية التعجب وقال : (( أن عبد  
العزيز هذا قال عن مشروع ملتر فى لندن أنه ( استقلال ونص ) .  
ثم رفض اقتراح الرئيس بمقارنته بمشروع ملتر الاول . وهنا  
سكت الرئيس قليلا ثم قال : ما رأيت رجلا فى حياتى مثل عبد  
العزيز فهمى أنه رجل غرار ومغرور . كذاب فى صورة صادق ،  
وجبان فى صورة شجاع . ومغرور فى متواضع . وحقود فى راض  
وطامع فى قانع ، وسفيه فى صريح ، وأناى فى وطنى ، ومن يدري لعل  
انتقاده للمشروع الآن هذا رغبة فى كسب ثقة الناس ليعبث بها  
فيما بعد وليستخدمها فى مآرب أخرى )) .

### برقية النحاس عن مشروع تأليف وفد رسمى !

#### اول مارس :

كنت فى مكتبى فى مركز الوفد فى الساعة الثامنة صباحا واذا  
بالرئيس يكلمنى بنفسه تلفونيا من بيته ويرجئنى أن اذهب اليه  
فورا . وبعد دقائق كنت معه فأعطانى برقية بالشفرة من مصطفى  
النحاس لاحتلها وتتلخص فى أن مظلوم باشا تحدث مع على الشمسى  
واخبره بأن السلطان كلفه بان يكون رئيس الوفد الرسمى  
للمفاوضة ، وانه انتخب معه رشدى باشا وعدلى باشا وتوفيق  
نسيم باشا ومحمد سعيد باشا ويوسف وهبه باشا واسماعيل  
سرى باشا ، وان مظلوم اقترح على السلطان اسم سعد باشا  
فقبل ويرجو الا يرى الرئيس مانعا فى القبول ، هنا انفجر الرئيس  
بالضحك حتى أغرورقت عيناه ثم قال ساخرا ( كتر نخيرك يا مظلوم

والله ما نستناش ) . وختم النحاس برقيته بعبارة ، أنه علم  
أن إلغاء الحماية سيتم في المفاوضات الرسمية .

سكت الرئيس قليلا وتجههم ثم قال لى : ( هل زال الحياء من  
هذا العالم أو هذه لؤثة أصابت هؤلاء الناس في مصر ؟ رجال  
من أسوأ الناس صفات ، يجمعون في شكل وفد لبث في مصائر  
البلاد ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، انهم ما بين منشىء  
للحماية أو مجند لها ، أو مؤيد للانجليز أو هو صنيعه لهم ، انهم  
جميعا خونة ومجرمون وأنا أربأ بنفسى أن أجلس معهم فى وليمة ،  
فما بالك بالاشتراك معهم فى أى عمل يمس البلاد ؟ ما هذا الهراء  
وهذا التخريف ؟ ) ..

### مصادمة مع المكباتى !

٢ من مارس :

كلفنى الرئيس بدموة الاعضاء الثلاثة لمقابلتة فى مقر الوفد ،  
فحضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا قبل وصول الرئيس  
بدقائق ، ثم حضر المكباتى على غير انتظار وبغير دعوة ودخل  
قاعة الجلسة ، ولم تمض دقائق حتى وقع صدام عنيف بينه  
وبين الرئيس .

قال المكباتى فى جد ظاهر ( ان الحالة تستدعى التفكير والعمل  
المفيد كوضع حد لانقسام الامة ، وانى أرى ضرورة الاسراع  
بدموة الاعضاء الذين سافروا الى مصر ليعودوا الى باريس فوراً ) .  
فاجاب الرئيس سناخرا : ( أى انقسام فى الامة تعنى ، ليس  
فى الامة انقسام مطلقا ، أما عن العائدين فلا تتكلم عنهم ، وتكلم  
انت عن نفسك وأحوالك بصراحة ) .

المكباتى : انت تحاول أن تستفزنى وتثيرنى بدل أن تعمل على  
توحيد الصفوف .

الرئيس : اسمع انا أصارحك بانى لا أستطيع أن أعمل معك  
لانى لا أثق بك .

المكباتى : ( قال مرتبكا مضطربا ) لا يا باشا الثقة موجودة  
والحمد لله .

الرئيس : كلا انها غير موجودة وكذلك تنكر الواقع الملموس .

المكباتى : أنا ما جئت اليوم لأهان ، وليس لدى أى مينل  
للمصادمة معك .



**الرئيس :** أنا لا أهدف الى اهانتك وإنما أنا أقرر الحقيقة الواقعة الملموسة فإذا كنت مصرا على انكارها فأجبنى لماذا سافر أصحابك فجأة بعد أن تصافحنا ؟

**المكبائي :** سافروا لانك لم تقبل رأيهم في تأييد عدل .

**الرئيس :** أنا لا يمكننى مطلقا أن أخالف ضميرى وعقيدتى .

**المكبائي :** وأنا أيضا لا أخالف ضميرى وعقيدتى .

**الرئيس :** حسن جدا أنا ما طلبت منك أن تخالفهما ولكنك أنت الذى تطالبنى بمخالفتهما . إذا كان ضميرى وعقيدتى عكس ضميرك وعقيدتك فليس من المعقول أن نعمل معا ، وإذا عملنا فليس للعمل ذرة من أمل فى النجاح .

فوقف المكبائي وانصرف غاضبا هائجا وانتهت جلسة الوفد فى هذا الجو المكهرب .

وبعد الظهر عدت الى الرئيس فى منزله ، وفى اثناء تناولى الشاى معه قال لى :

(( لقد شهدت ما حدث فى جلسة الصباح فما رأيك فيه ؟  
فقلت يا سيدى : هذا المكبائي رجل شاذ وهو مستهتر معتز بغناه ،  
وقد أثبت اليوم غيابه بحضوره من غير دعوة وبعد مقاطعة طويلة  
لك ، ثم بتقديم اقتراح سخيف لا يمكن أن يقبل .

**الرئيس :** علام احتمل هذا الرجل ، ليست فيه صفة واحدة تحب فلا هو كاتب قدير يحتاج الى قلمه ، ولا هو مفكر يحتاج الى رايه ، ولا هو مؤدب يؤنس اليه . وإنما هو جاهل وسخيف ومتكبر لا عمل له الا ان يحاول تعليم الناس الوطنية وهو مجرد منها ، ان فى عبد العزيز فهمى ولطفى السيد مواهب ومزايا يحتاج اليها الانسان ، وقد يقفر لهما بعض ضعفهما أو مخازيها ، ولكن هذا المكبائي خلو من كل فضيلة وكل موهبة وكل مزية ، انه زارنى مع العائدين موهما انه عائد معهم ، ثم بقى فى باريس ، وارسلوا برقية الى مصر بعودتهم وذكروا اسمه ضمن اسمائهم لبيان كثرتهم ورغبة فى التأثير بانهم الاغلبية ، وارنكب غير ذلك من الاساءات ولم يعتذر مرة ولم يتأسف )) .

وهنا حضر زائر فرنسى فخرجت الى مكتبى .

## خطاب وبرقية بقرار الحكومة البريطانية

٣ من مارس :

وصل خطاب الى الرئيس من الدكتور حامد جاء فيه : ( انه علم من مستر رامزى ماكدونالد ان الحكومة البريطانية قررت الغاء الحماية وانها ارسلت في ٢٦ من فبراير دعوة الى السلطان بواسطة النبي لكي يؤلف وفدا رسميا لمفاوضتها ، والوصول الى اتفاق يحقق المطالب المصرية ويضمن المصالح البريطانية ، وسيعلن الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وذلك لتسهيل الدخول في المفاوضات واثباتا لحسن نية الحكومة البريطانية ) .

ثم وصل تلغراف مطول الى الرئيس من مصطفى النحاس وهو يحمل نص خطاب النبي الى السلطان وقرار الحكومة الانجليزية الذي يقضى لأول مرة باعتبار الحماية علاقة غير مرضية بين مصر وبريطانيا ، وامتاز خطاب النبي بهذه الجملة وهي ( ان الحكومة البريطانية اظهرت حسن النية بقبولها التساهل في امر الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ) .

وفيما يلي نص هذا الخطاب :

### بسم الله الرحمن الرحيم

معالي صاحب العظمة السلطان - سراى عابدين . .  
( يا صاحب العظمة ، لم اناخر عن ابلاغ حكومة جلالتك  
الرأى الذى اهديتموه مرارا عن ضرورة وصول الحكومة الى قرار  
فى موضوع اقتراحات لورد ملنر يتفق مع آماني مصر والشعب  
المصرى . تلك الامانى التى اشتهر عطف عظمتكم عليها ، ويسرنى  
ان ابلغكم قرار حكومتى ، وانى متأكد ان هذا القرار يطابق رأى  
عظمتكم ويسهل المهمة العظيمة الشأن التى عهد فيها الى عظمتكم :  
وهى تعيين وفد رسمى لاجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة  
جلالتك . فيما يختص بالاتفاق المنوى عنده ، وانى اود بصفة خاصة  
ان اوجه نظر عظمتكم الى روح حسن النية الذى اظهرته حكومتى  
بقبولها التساهل فى امر الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ،  
وستقدرون عظمتكم ان هذا التساهل الكبير دليل على الاهمية التى  
تعلقها حكومتى على اقامة علاقاتها مع الشعب المصرى على أساس  
ودى ودائم وهذا نص قرار حكومتى الذى كلفت بابلاغه الى  
عظمتكم :

(( ان حكومة جلالة الملك يعد بدراس الاقتراحات التي اقترحها لورد ملنر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية تبقى فيها مصر تجاه بريطانيا العظمى ، ومع ان حكومة جلالتهم لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص باقتراحات لورد ملنر ، فانها ترغب في الشروع في تبادل الآراء في هذه الاقتراحات مع وفد يعينه مظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التي لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية ، وتطابق الاماني المشروعة لمصر والشعب المصري ..

وانى اغتنم هذه الفرصة فافكر لعظمتكم تأكيد احترامى الفائق )) ..

(( النبى ))

### راى سعد فى التبليغ البريطانى

٥ من مارس :

حضر الرئيس الى مركز الوفد فى الساعة العاشرة صباحا وكنت قد اتصلت بليفونيا بالاعضاء الثلاثة فحضروا مبكرين فى الساعة التاسعة والنصف وحدثهم بما علمت بنبا قرب الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية فلما تم الاجتماع كلفنى الرئيس بتلاوة ترجمة نص التبليغ البريطانى ، واستمرت المناقشة وتبادل الراى فيه ساعة كاملة ثم امل على الرئيس مشروع برقية لأرسلها فوراً الى النحاس فى مصر وهذا نصها :

(( فى التبليغ البريطانى معنى عظيم الاهمية وهو الحكم على الحماية بالفشل وقرب الانتهاء ، ولكنه فيما عدا ذلك لم يات بجديد ولم يخرج عما جاء فى التقرير ولا فيما صدر به ملنر مشروعه الاول الذى رفضه الوفد ، ومع ذلك اصبح الدخول فى المفاوضات بناء على هذا التصريح لا يعتبر قبولا للحماية ، ولكن الهدف مازال قائما وهو تحقيق اغراضها فى العلاقة الجديدة التى يراد الوصول اليها ، والراى عندنا ان نتيجة المفاوضات المقبلة ستوقف على صفات المفاوضين )) ..

## وافق الاعضاء الثلاثة على هذه البرقية بالاجماع ، وخرجت

مسرعا لارسالها .

٦ من مارس :

املى على الرئيس الخطاب الى مصطفى النحاس تفسيرا لما  
اوجزه في برقيته السابقة :

(( . . ان هذا التبليغ البريطانى يراد به خداع المصريين وايهامهم  
بفائدة ما لا نفع فيه ، ويحاول استمالتهم بعد وقت الى الرضا ،  
لا أقول بما لا ينفعهم فيه ، بل بما يضرهم ، انه تضمن عدم  
الرضا عن الحماية ، ولكنهم لم يعبين الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشئ  
والاسلوب يدل على أنها الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشئ  
الفلانى غير مرض فصدت بذلك أنه ليس وافيا بالغرض المقصود  
منه ، ويحتمل أن يكون المعنى منه انه غير مرض للطرفين كما نشرت  
النيهمس ، ويحتمل كذلك أن يكون المراد به الجهة المصرية كما تدل  
عليه الظروف ، على ان هذا الاتهام في ذاته يقلل كثيرا من أهميته ،  
ولا يجعل للمصريين فيه نصيب الا بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكذلك  
تضمن ان هذه الحماية لا ينبغي دوامها ، ولكنه لم يعلن مع ذلك  
الفاءها وقال باستبدالها ، وهذا الاستبدال يكون في شكل علاقة  
جديدة تضمن مصالح إنجلترا وتمكن الحكومة البريطانية من تقديم  
الضمانات اللازمة للدولة الأجنبية . واذا راجعت تقرير ملتر وجدت  
شرح هاتين النقطتين بما فتأكد منه ان ذلك مضر كل الضرر بالمصريين  
ان هذا الاستبدال ليس جديدا بل كثيرا ما عرضت علينا صيغة  
المختلفة وهو ما صدر به ملتر أول مشروع قدمه للوفد ورفضناه  
رفضاً باتاً . أما ما تضمنه خطاب النبي للسلطان فلا يمكن أن يكون  
له معنى أزيد من معنى التصريح أو القرار ، بل يمكننى أن أذهب  
ابعد من ذلك وأقول بأنه سد كل باب للأمل في الفاء الحماية الفاء  
صريحا يجعله غاية النجاح في المفاوضات المقبلة . ولا يمكن أن يكون  
النبي قد قصد في خطابه أكثر من الاستبدال الذى ذكرته حكومته .  
نعم ان المفاوضات صارت بهذا التبليغ حرة في أساسها ولا يعد  
الدخول فيها قبولا للحماية ولا لمشروع ملتر ، ولكنه يعد قبولا  
للافراض التى تصينت لها وهى ضمان المصالح الانجليزية ، ويمكنها  
من تقديم الضمانات للدول الأجنبية للمحافظة على مصالحها ،  
فالمفاوضون المصريون لا يمكنهم اذا دخلوا المفاوضات على هذا

الاساس الا أن يعطوا انجلترا حقوقا تمكنها من ضمانه هذه المصالح  
.. وهذه المسألة من أهم المسائل لان انجلترا اذا نالت من المصريين  
حق حمايتها لهذه المصالح على طريقة ملنر تكون قد ملكت حق  
التدخل فى كل شئون مصر بحكم أن هذه المصالح متشابكة بمصالح  
المصريين وشاقعة كل الشفوع فيها ، ولهذا أرى ان الموقف دقيق  
جدا ويستوجب أشد الحذر والسلام )) ..

سعد زغلول

### روح التردد والهزيمة فى نظر الرئيس

٧ من مارس :

قال لى الرئيس فى حديثه معى أثناء تناول الشاى ما خلاصته :  
( ان العائدين من أعضاء الوفد عدلى وكل أنصار عدلى من  
صحفيين وكتاب فى الصحف ، ينتشرون فى مصر روح الهزيمة  
والتردد يوما بعد يوم اذ يقولون وينشرون ويكررون القول والنشر  
بضرورة الاتفاق مع انجلترا الآن وعدم تضييع هذه الفرصة لان  
بريطانيا قوية غاية القوة ومصر ضعيفة غاية الضعف وليس لها  
أى عون أو سند فى الخارج ، ثم يردفون هذا كله بالدفاع عن  
أنفسهم خشية اتهام الناس لهم بالسعى وراء المنافع العاجلة على  
حساب الوطن وقضية البلاد . فيقولون انهم لا يريدون أية وزارة  
ولا أى منصب ولا أى مكسب ، وانما يصرحون بما يعتقدون أنه فى  
مصلحة مصر الضعيفة المسكينة البائسة .. الى آخر هذا الهراء )) .  
فسألت الرئيس : وهل تظن ان لمثل هذه الدعاية تأثيرا فى نفوس  
بعض الناس الى حد أن يخلهم على الانضمام اليهم ؟ .

فاجاب الرئيس على الفور : (( من غير شك .. هذه دعاية  
مسمومة وسينتأثر بها كثيرون ، لان هذا الإيحاء المستمر بضعف  
مصر والمصريين وقوة بريطانيا وجبروتها وفقدان العون والنصر ،  
كل ذلك يؤثر فى النفوس الميالة بطبعها الى الضعف والتشاؤم .  
ولذلك فأنى افكر جديا فى العودة الى مصر ، لان المعركة كلها قد  
انحصرت الآن داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن  
ان ادبر معركة بالبرقيات الموجزة الفالية الثمن أو الرسائل  
المطولة التى لا يقرؤها الا اصحابها ومن حولهم من الاصدقاء .  
ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك .

## برقية شفرية من النحاس وويضا واصف وحافظ عفيفي

### ٨ من مارس :

وردت في المساء برقية مطولة بالشفرة وهى بامضاء النحاس وويضا وحافظ عفيفي يقولون فيها ، بأنهم لم ينشروا برقية الرئيس لانها غير وافية في نظرهم ويرجون منه أن يصدر بلاغا أو بيانا بتلغراف مستعجل بشأن التبليغ البريطاني لان في البلاد تيارات مختلفة ، فريق يرى وجوب الدخول في المفاوضات الرسمية بأى شكل ، وفريق يرى وجوب وقوف الوفد على الحياد مع العطف والتشجيع للمتفاوضين ، وفريق يرى وجوب استمرار الوفد وحده بالقيام بالمفاوضات الرسمية أسوة بالمفاوضات الماضية مع ملر وان الأعضاء الثلاثة هم من الفريق الآخر وهم يناشدون الرئيس ان يعيد الوحدة ويدعو أعضائه للعودة الى باريس .  
وانتهت البرقية برجاء الرئيس ان يسرع ببيان رأيه تفصيلا في كل ما يشغل بال الناس في مصر .

هنا أطرق الرئيس قليلا ثم قال : ( علام هذه السرعة وهذه الهولة وهذا الإلحاح ، ان الوفد لم يدع للمفاوضات حتى يشترط لها شروطها ويتخذ الخطوات اللازمة للنهوض بأعبائها والدعوة موجهة للسultan ، والسultan لم يتخذ بعد أية خطوة .. ان أمرهم لعجيب ) .

ثم سألنى : (( متى أرسلنا البرقية ومتى أرسلنا الخطاب الذى يبين الرأى تفصيلا في التبليغ البريطانى ؟ فقلت : أرسلت البرقية في الخامس من مارس والخطاب في اليوم التالى مباشرة أى منذ يومين ، ولا يصل الى مصطفى النحاس الا بعد خمسة أيام اخرى . فقال : حسن .. لا داعى للعجلة )) .

### بيان للرئيس ( أرسل الى النحاس ) :

### ٩ من مارس :

عدت الى الرئيس في الصباح فوجدته أعد بيانا لارساله الى النحاس لاذاعته فورا ، وكلفنى بدموة الاعضاء فدموتهم وتلا عليهم البيان الآتى فوافقوا عليه ما عدا على ماهر ونصه كما يلى :

(( ليس في التصريح الصادر من الحكومة البريطانية بالدموة الى المفاوضات الرسمية للوصول الى استبدال علاقة الحماية بعلاقة



## برقية شفرية من الرئيس الى النحاس

١٢ من مارس :

املى على الرئيس بريقة مستعجلة لارسالها الى النحاس بالشفرة وهذا نصها :

(( أرجو أن تنشروا في أنحاء البلاد وبكل الوسائل المختلفة البيان الذى أرسلته اليكم لانه هو خطة الوفد ورأيه ، والتأخر فى نشره الى ما بعد تكوين الوفد الرسمى قد يكون عرضة لسوء التأويل ، وان بياننا فى المعنى الذى اقترحتموه لا أقره ولا فائدة فيه ، ثم أنه قد يساعد المتفاوضين الآخرين الذين لا خير فيهم )) .

حولت هذه البرقية الى ( الشفرة ) ونزلت مسرعا لارسالها وكانت الساعة قد بلغت الخامسة بعد الظهر . فاعتذر عامل التلغراف من قبولها قائلا بأن عنده تعليمات رسمية من ليلة أمس بالا يقبل بركات شفرية ترسل الى مصر ، وان كل البرقيات يجب أن تكون مكشوفة منذ اليوم . فعدت الى الرئيس وأبلغته ما حدث فبهت مذهولا ، ثم هز رأسه وقال مبتسما فى سخرية ظاهرة : (( انهم يريدون إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، ليست هذه عظات لمن يمكن أن يتعظ ويريد أن يواجه الحقيقة الكالحة مواجهة صريحة فى شجاعة ! ))

وفى هذه اللحظة دخل واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنا فأخبرهم الرئيس بالمنع الجديد فدهشوا وذهلوا مثله بل أكثر منه .. وقال واصف : (( أنا لا أفهم هذا الشلوذ فى وقت السلم ، لو كنا فى وقت الحرب لسلمنا به )) . فقال الرئيس : (( ان الاحكام العرفية البريطانية مازالت مبسوطه على مصر وفى ظلالها الثقيلة يفعلون ما يشاعون ، ولكن العجيب أن تنزل على رأيهم حكومة فرنسا القومية الحرة بلا حياء )) .

## الرقابة تمنع بركات سعد

١٤ من مارس :

وردت بريقة من النحاس بأن الرقيب أصدر الاوامر الى الصحف بالا تنشر أى شىء يرد من الرئيس من الآن فصاعدا ..



## استقالة وزارة توفيق نسيم

١٥ من مارس سنة ١٩٢١ :

وصلت برقية من النحاس تحمل أنباء استقالة وزارة نسيم  
البغيضة وأن عدلى يكن باشا كلفه السلطان بتأليف الوزارة الجديدة  
كما كان منتظرا وسيتم تأليفها الرسمى غدا ، وقامت مظاهرات  
تهتف للرئيس والوفد .

## تأليف وزارة عدلى باشا

١٧ مارس :

صدرت المراسيم الخاصة بتأليف وزارة عدلى وهى مكونة من  
( عدلى رئيسا وحسين رشدى باشا نائبا للرئيس ، وعبد الخالق  
ثروت باشا وزيرا للداخلية ، واسماعيل صدقى باشا وزيرا للمالية  
واحمد زيور باشا وزيرا للمواصلات ، وجعفر والى باشا وزيرا  
للمعارف ، وأحمد مدحت يكن باشا وزيرا للأوقاف ومحمد شفيق  
باشا وزيرا للاشغال والحربية ونجيب بطرس غالى باشا وزيرا  
للزراعة وعبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للحقانية .

وأذاع عدلى برنامج وزارته وبواعثه وأهدافه من تأليفها وجاء  
فيه ما نصه :

(( ان الوزارة ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى  
ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين  
مصر ، الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال مصر ،  
وستجرى فى هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ، ومسترشدة  
بما رسمته ارادة الامة ، وستدمو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد  
زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الغرض . ومما  
يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات  
ستجرى على أساس إلغاء الحماية من شأنه ان يسهل مهمة  
الوزارة من هذه الوجهة ، فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن  
استعداد بريطانيا العظمى مما يدمو الى الامل بأن المفاوضات  
التي ستحصل بهذه الروح ستفضى الى اتفاق محقق للامانى

الوطنية ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة ، وسيكون للامة على لسان الممثلين لها في الجمعية الوطنية القول الفصل في هذا الاتفاق ، وبما ان هذه الجمعية ستكون ايضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادئ الحديثة للانظمة الدستورية ، وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التي تكفل تمام حريتها وتنظمه بكيفية تحقيق رأى الامة تمثيلا صحيحا ، وفي هذا المقام تعرب الوزارة من اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع في الرجوع الى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ مظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة في القريب العاجل ، وانا نعتد على حكمة الامة في تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أعل أمانى الوزارة .

واننا لنندرك حق الادراك ما تحتاجه البلاد من اصلاحات الكبرى بيد اننا لئتمسكنا باشتراك الامة في وضعها ، نمتنع عن كل تغيير جوهري قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد، على اننا بتأييد مظمتكم لنا سنعنى بأدارة أمور البلاد وننشط بها في خير الطرق واصلاحها للمحافظة على مرافقها ولتوسيع نطاق رقيها ، وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة لعلى يقين من أن هذا المنهج يوافق المقاصد التى ما زالت عظمتمكم تصبون اليها لخير رعاياها ، وهى مع ما تشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها ، تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود ، معترزة بعطف وتعزير عظمتمكم ، ومعمدة على ثقة البلاد ، وانى لعظمتمكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص (الامين ) .

عدلى يكن

### برقية من عدلى الى الرئيس

١٨ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من عدلى رئيس الوزارة الجديدة تحمل تحياته ورجاءه الى الرئيس فى كسب معاونته الودية لتحقيق الفرض المشترك الذى فصله فى برنامج تأليف وزارته، فرد الرئيس عليها (( بالشكر وتمنى له كل توفيق فى تحقيق قبول التحفظات حتى يؤيده )) .

## وبرقية من حافظ رمضان الى الرئيس

١٩ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى قال فيها ان الوزارة الجديدة مرضت عليه ان يكون فيها واحدا عن الحزب الوطنى ، فرفض الحزب وطلب من الرئيس رايه فى ذلك . .

فعقب الرئيس قائلا : (( ان الحزب لم يفعل الا ما ينطبق على مبادئه )) .

ثم ضحك وقال : (( لا اظن هذا صحيحا ، واذا كانوا لم يطلبوا الى الوفد نفسه فكيف يطلبون ذلك من الحزب الوطنى )) .

## خطاب من عدلى لسعد

٢١ من مارس ١٩٢١ :

تسلم الرئيس خطابا رقيقا من عدلى باشا وبرقية برنامج الوزارة السياسى الذى قدم الى السلطان يوم تأليفها ( وقد سجلته هنا بتاريخ ١٧ مارس ) وما كاد الرئيس يتم قراءته حتى قال :

(( هذا بيان مكتوب بدهاء سياسى بارع وان عدلى لم يرتبط فيه بشيء قط . خذ مثلا قوله (( والوزارة ستمكن بفضل نفوذ عظمى من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة )) ، وهو كلام لا ينم عن وعد أو تعهد برفعها ولا بالغائها )) .

ثم أخذ يملئ كلمة لارسالها الى عدلى مطلعها :

(( يائكم بديع فى أسلوب بليغ يشف عن رغبتكم فى التمشى مع ارادة الامة وتحقيق مطلبها من الاستقلال وانتم أعلم الناس بانها لا تريد الاستقلال تاما أى استقلالاً دوليا وصريحا ، وقد استقر رأينا على العودة الى مصر . لتبادل الآراء فى عملية انتخاب أعضاء الوفد الرسمى )) . .

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنسا فطلب الى أن اتلو عليهما ما أملاه على فلما فرغت سكوت واصف وقال سينوت ان واصف كتب كلمة فى هذا الموضوع فطلب الرئيس أن يسمعها وهي :

(( قرأنا باهتمام بالغ بيانكم الممتع ، وانكم لتعلمون ان البلاد لا تريد الا الغاء الحماية الغاء صريحا لا غامضا ، ودوليا لا خاصا بين مصر وبريطانيا وحدهما ، والامتراف بالاستقلال التام ، وان الغاء المراقبة ورفع الاحكام العرفية يجب أن يتم أولا قبل الانتخابات ، ولكن قبل البدء في المفاوضات الرسمية ولا شك ان الامة بفضل ثباتها وايمانها قد وصلت الى ما وصلت اليه من تأليف وزارة سياسية تعلن احترامها لارادة الامة ، على أن يكون مفهوما ان الاغلبية من عضوية الوفد الرسمى تكون من أعضاء الوفد المصرى وان تكون الرئاسة له )) .

وعقب الرئيس على هذا قائلا : (( لا يا واصف انا اميل الى كلمتى الموجزة التى مطلعها رقيق وفيها أهم نقطة فى كلمتك وهى (( الاستقلال الدولى )) ..

وهنا طلب الى الرئيس ان اكلف جورج دومانى بترجمة كلمة الرئيس الى الفرنسية ثم أرسلت البرقية الى عدلى فى المساء كما أرسلت صورة منها الى النحاس لنشرها ..

٢٢ من مارس :

وردت برقية من النحاس جاء فيها ان الرقيب منع نشر رد الرئيس على برقية عدلى ..

### واخيرا تمت اجراءات العودة لمصر

٢٣ من مارس :

منذ عشرة ايام تقريرا استقر راي الرئيس نهائيا على ضرورة العودة الى مصر بعد ان ثبت له ان المقام فى باريس أصبح عبثا بل شرا من العبث . فكلف دومانى بشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا قبل آخر هذا الشهر ، واليوم عاد دومانى ومعه كل التذاكر اللازمة وبهذا تقررت مواعيد السفر كما يأتى :

السفر من باريس يوم ٢٩ مارس الساعة السابعة والنصف .

الوصول الى تريستا يوم ٣٠ مارس الساعة ١٢ ظهرا .

الوصول الى الاسكندرية يوم ٤ ابريل ( ومبيت ليلة واحدة )

الوصول الى القاهرة يوم ٥ ابريل .

وفي اثناء تناول الشاي مع الرئيس الساعة ٢٠ ر بعد الظهر قال لي : ان عدد الحقائق له ولحرمة ١٤ حقيقه وصندوقان يحتويان علي كتبه وأوراقه ومذكراته ، وأنه يخشى ضياع شيء منها في زحمة الاستقبال أو في الجمره ، ولذلك يرى أن أسافر أنا قبله ببضعة أيام ومعى كل هذه الحقائق والصندوقان وأسلمها جميعا إلى سعيد زغلول في منزل الرئيس عقب وصولي إلى القاهرة .

فرحبت بهذا الرأي واتخذت الاجراءات لتغيير تذاكر سفرى الذى تقرر أن يكون يوم ٢٥ مارس وأبرقت إلى مصطفى النحاس بمواعيد سفر الرئيس من باريس إلى الاسكندرية مع زملائه أعضاء الوفد .

وحوالى الساعة ١٢ ظهرا دخلت على الزعيم مستأذنا في الانصراف حتى أتمكن من اعداد حقايبى بمناسبة سفرى غدا صباحا ، فطلب إلى الانتظار لانتناول الغداء معه ومع السيدة الجليلة حرمة ، وكدت أعترض لولا حياء غلبنى أن أخالفه ساعة الفراق ، وقال لي في اثناء الغداء متلطفًا ، (( أنا اهتديت إلى صيغة جديدة بسيطة يفهمها كل انسان في مسألة الغاء الحماية وسأعلنها في مصر لأول مرة )) سأقول تنتهى الحماية التى أعلنت سنة ١٩١٤ وأن يعترف باستقلال مصر فى الداخل والخارج .

انها صيغة بسيطة واضحة يفهمها رجل الشارع ، فاذا قبلت حل كل اشكال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ولكن هيهات هيهات !!

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ودمت الزعيم والسيدة الجليلة حرمة في تأثر شديد ، وانصرفت . . لتقابل مرة أخرى في مصر ان شاء الله .

### في انتظار دخول الزعيم

وأضيت في الاسكندرية ثلاثة أيام للاستجمام انتظارا لمقدم الزعيم غدا واستعدادا لان أكون أول صاعد على الباخرة للقائد والتحدث إليه بأهم ما رأيت وما سمعت في مصر ، وذلك بناء على طلبه منى قبيل سفرى من باريس ، كما سيصعد الاستاذ مصطفى النحاس السكرتير العام للوفد وفتح الله بركات باشا اللدان وصلا اليوم إلى الاسكندرية .

وفي اليومين الاخيرين لاحظت هنا ظاهرتين يلفتان النظر . .

**الظاهرة الاولى :** اختفاء الانكليز مدنيين وجنودا من شوارع الاسكندرية ، اما المدنيون منهم فقد عادا أكثرهم الى القاهرة مسرعين ، واما الجنود والضباط فقد اختفوا من الميادين والشوارع والحدائق وانسحبوا الى ثكناتهم فعادوا الى قواعدهم سالمين ، فازدادت الاسكندرية روعة وجمالا وجهلا بهذا الجلاء المبكر للمحتلين واستراحت ميون المصريين .

**والظاهرة الثانية :** ازدياد مطرد في عدد سكان الاسكندرية بسبب كثرة الوافدين اليها ليكونوا في استقبال الزعيم يوم وصوله ، وقد علمت ان جميع القطارات قد نقلت الى الاسكندرية الاف الوافدين من القاهرة والوجه القبلى ومديريات الوجه البحرى حتى ازدحمت المقاهى والمطاعم والشوارع والحدائق ، كما شاهدت كثيرين ينامون على الكراسى فى المقاهى وفى الحدائق العامة ، ولولا ان الاستاذ مصطفى النحاس قد فطن الى ذلك الزحام الهائل لما حجز سلفا أربعة فنادق كبرى بأسماء البارزين من القادمين وكان فى طليعتهم أعضاء اللجنة المركزية للوفد وأعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات والبلديات وممثلو نقابات المحامين والاطباء والعلمين وغيرهم .

حسبى الآن ان اذكر بعض أسماء البارزين الذين نزلوا فى فندق ريجينا (( وندسور الآن )) حيث كنت أشغل غرفة بثلاثة سراير لى ولصديقى أحمد أمين وأخى حسين كامل سليم ، وحجرات مثلها يشغلها الاساتذة عباس العقاد وابراهيم المازنى وأمين يوسف وطاهر اللوزى وبهى الدين بركات وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وسلامة ميخائيل وفخرى عبد النور ومرقص حنا ومكرم عبيد والدكتور نجيب اسكندر وراغب اسكندر ونجيب الغرباوى وتوفيق دياب وعلى الشمسى وصادق حسنين وعبد الرحمن الرافعى وأمين الرافعى وسلامة موسى وعبد الخالق مذكور وغيرهم وغيرهم .

### تجديد البيعة للزعيم

ما معنى هذا كله ؟ ما مفزاه ؟ ما السر فيه ؟  
لا سر هناك ولا خفاء ، فالشعب المصرى بايجاز أراد أن يجدد البيعة للزعيم سعد زغلول .

لقد سبق أن سجلت في مذكراتي التي طبعت ونشرت في كتابي الثاني (( أن الخلاف بين سعد وأعضاء الاغلبية قد استعصى على كل حل ، فالزعيم والاقلية متمسكون بمبدأ الاستقلال التام لا يحددون عنه قيد أنملة ، وأن أعضاء الاغلبية يقولون أنهم كانوا على هذا المبدأ كذلك حتى راوا تغير الظروف والاحوال وانسداد كل المنافذ والابواب في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وانهم لذلك اعتقدوا بأن الخير هو في قبولهم مشروع ملنر الذي هو دون الاستقلال )) .

وقلت في مذكراتي : (( ان هذه أزمة حادة ولا مخرج لها الا بأن ينفسم الوفد علنا وفي صراحة تامة ثم يلجأ كل فريق الى الاحتكام الى الامة في عملية استفتاء عام ، وأنه ليس أخطر من وضع الورق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية هدمه )) .

ثم ختمت رأيي هذا قائلا : (( لابد من مواجهة الازمات بروح ايجابية فعالة لايجاد الحلول الحاسمة لها بدل التستر عليها بروح سلبية والا مشنأ نخرج من أزمة الى أزمة ، ومن عذاب الى عذاب، وهذه حالة لا تطاق )) .

والآن يتحقق الاستفتاء وتتجلى الحقائق الحاسمة .

سبق أن عاد عدلى الى مصر ليؤلف وزارة جديدة، فلم يستقبله الا عشرات من أنصاره ومريديه والطامعين فيه ويفضل مساعدة الزعيم له بعد أن تم الصلح بينه وبين عدلى قبيل سفر عدلى من باريس .

ثم عاد أعضاء الاغلبية الوفدية المعتزون بأغليبتهم ، فلم يستقبلهم احد الا أقرب المؤيدين لهم من ذويهم وأهلهم ، وقد حاصروهم الصحفيون وبعض المعلمين من المصريين ، حاصروهم بالاسئلة المخرجة لماذا عدتم ؟ ماذا وراءكم ؟ وأين الزعيم ؟ هبل انتم راجعون اليه مرة ثانية في باريس ؟ وما الى ذلك من الاسئلة مما هو أشد احراجا وازعاجا وتضييقا للخنفاق ، وكان عليهم أن يجيبوا بما وسعتهم الحيلة واللباقة وقوة الخيال أكثر من اعتمادهم على الصدق والصراحة والامانة والتعبير الصحيح من واقع الحال

وأخيراً، وما أدراك ما أخيراً !! يصل الزعيم بسعد زغلول عائداً  
إلى الوطن بعد غيبة طويلة فيقابلة الشعب كله .. لقد جاء عن  
بكرة أبيه ليستقبله استقبالا منقطع النظير في تاريخ هذه البلاد .

هل هناك استفتاء أعجب وأكمل واشمل من هذا الاستفتاء  
الجافل ؟ أليست هذه هي البيعة التي قل أن يكون لها شبيه أو  
نظير ؟

نعم إنها البيعة الكبرى .



## الفهرس

صفحة	
٣	● المقدمة
٩	● الفصل الاول سعد وعدلى :
٤٧	● الفصل الثانى سعد يقول : لا أثق فى أعضاء الوفد :
٦٥	● الفصل الثالث خطاب خطير الى سعد :
١١١	● الفصل الرابع ستة أعضاء اتفقوا على العودة الى مصر :
١٢٥	● الفصل الخامس سعد يقول أنا الوفد :
١٤١	● الفصل السادس سعد يعتزم أمرا :

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٢٦٩ / ٧٦  
الترقيم الدولي - ١٦ - ٧٠٤١ - ٩٧٧ ISBN

---

( مطابع الاخبار - ٢٦٢ - ٢٦٣ / ٧٦ )

---

مارس ١٩٧٦



QAL of the Alexandria Library (QAL)

كتاب اليوم القادم

# عصر الفضاء

بقلم

لواء مهندس

سعد شعبان

رئيس تحرير مجلة القوات الجوية

وعضو لجنة الفضاء بالاتحاد الدولي للطيران والفضاء بباريس

يصدر أول أبريل



## هذا الكتاب

هذا ثالث كتاب للمؤلف في سلسلة تاريخية متصلة  
الحلقات .

الكتاب الاول : « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها »  
والكتاب الثاني : تناول « صراع سعد زغلول في  
أوروبا » وجهاده بعد خروجه من المنفى والمفاوضات التي  
دارت بين الزعيم والوفد من جهة ، ومانر واجنته من  
جهة أخرى .

وهذا الكتاب الثالث : يتناول أحداثا مثيرة وتحولات  
خطيرة بعيدة المدى ، عميقة الآثار . .

● خصومات ومصادمات عنيفة بين سعد وعبدلى  
قبيل عودة عبدلى الى مصر . .

● خصومات ومشاحنات ومصادمات أشد عنفا  
بين سعد وأغلبية أعضاء الوفد . ثم عودته هذه  
الأغلبية الى مصر في غضب ظاهر وخصومات  
استخالت معها كل محاولة للعمل .

● ظهور تقرير ملنر واثاره الوبيلة .

● تأليف وزارة مصرية برئاسة عبدلى ، وبيان  
المشاعر وتبليل الافكار في مصر .

● اضطراب الزعيم الى العودة الى مصر حيث  
انتقل ميدان الصراع وبدأت المعارك الجديدة . .

يجد القارئ كل التفاصيل المثيرة المذهلة في  
هذا الكتاب .